﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

تفسير

قَبَسٌ مِنَ القُرْآن

الجزء الرابع

من سورة يس إلى آخر القرآن الكريم

تأليف

آية الله العظمى

سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

تعريب وحواشي

الدكتور سعد رستم

عنوان الكتاب بالفارسية

تفسير تابشى از قرآن

عنوان الكتاب باللغة العربية

تفسير قبس من القرآن

من سورة يس إلى آخر القرآن الكريم

تأليف

آية الله العظمى العلامة

سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِي

(١٣٣٠هـ-١٤١٤هـ.ق) الموافق (١٩٠٨-١٩٩٢ م)

www.borqei.com

ترجمة وتحقيق

د. سعد رستم

دار العقيدة

www.aqideh.com

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م

الإشراف والإعداد

مجموعة الموحدين

www.mowahedin.com

contact@mowahedin.com

ح سيد أبو الفضل الرضا القمي، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القمي، سيد أبوالفضل الرضا

تفسير قبس القرآن. / سيد أبوالفضل القمي؛ سعد رستم-
الرياض، ١٤٣٨هـ

١٦,٥ ×٢٤سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٣٠٧٢-٣ (مجموعة)

٩٧٨-٦٠٣-٠٢-٣٠٧٦-١ (ج٤)

١. القرآن - تفسير أ.رستم، سعد (محقق) ب.العنوان

ديوي: ٢٢٧ ١٤٣٨/١٥٨٤

جميع الحقوق الفكرية والطباعية محفوظة

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح الإفادة من هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي)، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

توزيع شركة

مكتبة العبيكان

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية

طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 - فاكس: 4889023

هاتف مجاني: 920020207

ص.ب: 62807 الرياض 11595

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

الفهرس ١

سورة يس ٧

سورة الصافات ٢٤

سورة ص ٣٧

سورة الزمر ٥٤

سورة غافر ٧٣

سورة فصلت ٩٠

سورة الشورى ١٠٢

سورة الزخرف ١١٥

سورة الدخان ١٢٧

سورة الجاثية ١٣١

سورة الأحقاف ١٣٨

سورة محمد ١٤٧

سورة الفتح ١٥٥

سورة الحجرات ١٧٢
سورة ق ١٧٨
سورة الذاريات ١٨٣
سورة الطور ١٨٩
سورة النجم ١٩٣
سورة القمر ١٩٩
سورة الرحمن ٢٠٤
سورة الواقعة ٢١١
سورة الحديد ٢١٨
سورة المجادلة ٢٢٨
سورة الحشر ٢٣٥
سورة الممتحنة ٢٤٦
سورة الصف ٢٥٣
سورة الجمعة ٢٥٧
سورة المنافقون ٢٦١
سورة التغابن ٢٦٦
سورة الطلاق ٢٧٠
سورة التحريم ٢٧٣
سورة الملك ٢٨٠
سورة القلم ٢٨٤

سورة الحاقَّة ٢٩١

سورة الـمعارج ٢٩٥

سورة نوح ٢٩٩

سورة الجن ٣٠٢

سورة الـمزمل ٣٠٧

سورة الـمدثر ٣١٠

سورة القيامة ٣١٥

سورة الدهر ٣٢١

سورة الـمرسلات ٣٢٥

سورة النبأ ٣٢٨

سورة النازعات ٣٣٣

سورة عبس ٣٣٨

سورة التكوير ٣٤٣

سورة الانفطار ٣٤٦

سورة الـمطففين ٣٤٨

سورة الانشقاق ٣٥١

سورة البروج ٣٥٣

سورة الطارق ٣٥٥

سورة الأعلى ٣٥٧

سورة الغاشية ٣٥٩

سورة الفجر ٣٦١
سورة البلد ٣٦٣
سورة الشمس ٣٦٥
سورة الليل ٣٦٦
سورة الضحى ٣٦٨
سورة الانشراح ٣٧٠
سورة التين ٣٧١
سورة العلق ٣٧٢
سورة القدر ٣٧٤
سورة البيِّنة ٣٧٥
سورة الزلزلة ٣٧٦
سورة العاديات ٣٧٨
سورة القارعة ٣٧٩
سورة التكاثر ٣٨٠
سورة العصر ٣٨١
سورة الهمزة ٣٨٢
سورة الفيل ٣٨٣
سورة قريش ٣٨٥
سورة الماعون ٣٨٦
سورة الكوثر ٣٨٧

سورة الكافرون ٣٨٩

سورة النصر ٣٩٠

سورة الـمسد ٣٩١

سورة الإخلاص ٣٩٢

سورة الفلق ٣٩٣

سورة الناس ٣٩٥

سورة يس

مكية وهي ثلاث وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾ [يس: ١-٦].

الفوائد: كما ذكرنا مرارًا لم تُوضع الحروف الـمُقطَّعة في أوائل بعض السور للدلالة على معنى مُحدَّد بل لُمجرَّد تركيب كلمات منها. ولكنَّ الـمُفسِّرين صرفوا النظر عن هذا الأمر وأخذوا يفترضون معانٍ لكلمة «**ياسين**» من جملة ذلك قولهم: إن «**ياسين**» تعني: يا سيِّد، أو يا سيِّد الـمُرسلين، وأمثال ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ إشكال وهو أن الكفار لم يكونوا يؤمنون بالقرآن ولا بمحمَّد ﷺ نفسُهُ، فكيف يُقسم هنا بهذا القرآن في مقام إثبات نُبُوَّة محمَّد ﷺ؟ والجواب عن هذا الإشكال: إن هذا القَسم قَسمٌ في الظاهر فقط أما حقيقته فهي دليلٌ على النُبوَّة، لأنَّ القرآن معجزةٌ ودليلٌ على النُّبُوَّة، فما أراد الحق تعالى قوله: قَسمٌ بهذا الكتاب الـمُوضِّح لحقيقة النُّبُوَّة وأنَّك من الـمُرسلين. يُضاف إلى ذلك أنَّ الكفار كانوا يعلمون أنَّ القرآن عظيمٌ جدًا لدى محمَّدﷺ ولدى أصحابه ولا يُمكن أن يُقسموا به على كذب، لذلك أقسم الله بالقرآن الحكيم. ويدلُّ وصف القرآن بصفة الحكيم أن القرآن كلَّه وجميع آياته حكمة.

واعتبر بعضهم حرف «**مَا**» في جملة: ﴿لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ﴾ مَا الـموصولة، واعتبرها آخرون ما الـمصدرية، وبعضهم اعتبرها مُبهمة، والظاهر أن كل هذه الاحتمالات قابلة

للصحة ولا يُنافي بعضها بعضًا بل معناها مُتقارب.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس: ٧-١١].

الفوائد: ما هو القول الذي حقَّ على أكثر الكفار وأشار اللهُ إليه بقوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾؟

يُمكننا أن نقول: إنَّهُ قول اللهِ الذي جاء في سورة ص: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥].

وَالـمُرَاد مِنْ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ أغلال العصبيَّة واللِّجاج والـمِنَّة والعُجب والتكبُّر التي جعلت رؤوسهم نحو الأعلى حتى لم يعودوا قادرين على رؤية الطريق أمامهم، أو أن يحنوا رؤوسهم كي ينظروا إلى الطريق الذي يسيرون عليه هل هو آمن أم فيه حفر؟ ومثلهم في ذلك مثل من وُضعت الأغلال في عنقه ولم يعد قادرًا على أن ينحني رأسه إلى الأسفل.

وكذلك الـمراد من جملة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ سدُّ الجهل والعصبيَّة الذي أحاط بهم من كل جانب وحجب عنهم رؤية الحقيقة فأصبحوا كأنَّهم لا يُبصرون. ومعنى «الجعل» الذي نسبه اللهُ إلى نفسه بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أنَّه تعالى وضع قوانين العِلَّة والـمعلول وجعل العصبيَّةَ والجهالةَ عِلّةً لعدم الالتفات إلى الحقيقة، فرغم أن العبد يختار بإرادته العصبيَّةَ، لكنَّ اللهَ هو الذي جعل هذه العصبيَّة عِلَّةً لعمى البصيرة، فجملة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا....﴾ لا تدلُّ على الجبر.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ أن كل من لم

يتوجَّه إلى القرآن ولم يتَّبعه فإن إنذار رسول الله ﷺ له لن يكون مُثمرًا ولا مؤثرًا فيه.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢﴾ [يس: ١٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾ أن إحياء الأموات عمل الله وحده فقط، وصفة خاصة به، بدليل الإتيان بضمير الفصل (نحن) بعد ضمير الوصل (نا).

وتدلُّ كلمة: ﴿ءَاثَٰرَهُمْ﴾ أن آثار أعمال الإنسان التي تبقى بعد موته تُسجَّل في صحيفة أعماله، كمن سَنَّ سُنَّةً حسنة أو سُنَّةً سيئة فعمل الناس بها، أو الأولادُ الصالحون الذين قوَّوا الدين بمال أبيهم وبوصيته لهم بذلك، أو الأولاد غير الصالحين الذين يظهر منهم الفساد في الأرض (إذا كان أبوهم قد ربَّاهم على ذلك).

وَالـمُرَاد مِنْ: ﴿فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ صحيفة الأعمال، وإنما سُمِّيت إمامًا لأنها تُوضع يوم القيامة أمام الإنسان، ووُصِفَ كتاب الأعمال بالـ«مُبِين» لأنه واضحٌ ليس فيه أي إبهام.

وقيل المقصود من (ونكتب آثارهم): نكتب خطاهم إلى المسجد؛ لِمَا رواه أبو سعيد الخُدريّ أن بني سَلمة كانوا في ناحية من المدينة بعيدين عن مسجد رسول الله ﷺ فشكوا إليه بُعْد منازلهم والصلاة معه [وأرادوا أن يتحوَّلوا إلى قُرْب المسجد] فنزلت الآية[1]. وروى الطبرسيّ عن [أبي موسى الأشعري] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إِنَّ أَعْظَمَ النّاسِ أَجْراً فِي الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إليها مَمْشَى فَأَبْعَدُهُمْ**»[2]. فبِناءً عَلى ذَلِكَ، يُمكن أن يكون المقصود من كلمة ﴿ءَاثَٰرَهُمْ﴾ في الآية آثار أقدامهم.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ١٣ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ١٤ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٤/ ٤١٨. وانظر البخاري (١٧٨٨) ومسلم (٦٦٥) في صحيحيهما.

٢- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٤/ ٤١٨. والحديث رواه البخاري (٦٢٣) ومسلم (٦٦٢) في صحيحيهما.

وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾ [يس: ١٣-١٧].

الفوائد: تتعلَّق هذه الآيات بإرسال عيسى ﷺ رسولين مِنْ قِبَلِهِ إلى أهل مدينة أنطاكية، وقد سمَّاها اللهُ قريةً واعتبرها بعيدةً عن المدنيَّة لأن أهلها لم يكونوا مؤمنين بالله. قالوا بعث عيسى ﷺ رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية، فلما قَرُبا من المدينة رأيا شيخًا يرعى غنيمات له وَهو «حبيب» صاحب «يس»، فسلَّما عليه فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن. فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم نحن نشفي المريض وَنبرىء الأكمه وَالأبرص بإذن الله. فقال الشيخ: إن لي ابنًا مريضًا صاحب فراش منذ سنين. قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله، فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحًا. ففشا الخبر في المدينة وَشفى اللهُ على أيديهما كثيرًا من المرضى. وَكان لهم ملك يعبد الأصنام فبلغه الخبر إليه فدعاهما فقال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى ﷺ جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع وَلا يبصر إلى عبادة من يسمع وَيبصر. فقال الملك: أَوَلنا إله سوى آلهتنا؟؟ قالا: نعم، من أوجدك وَآلهتك. قال قُومَا حتى أنظر في أمركما، فأخذهما الناس في السوق وَضربوهما. وخرج الملك ذات يوم فكبَّرا وَذكرا اللهَ فغضب الملك وَأمر بحبسهما وَجلد كل واحد منهما مائة جلدة، فلما كُذِّب الرسولان وَضُربا بعث عيسى ﷺ شمعون الصفا رأس الحواريين على إثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكرًا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه وَرضي عشرته وَأنس به وَأكرمه ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وَضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما؟ قال الملك: حال الغضب بيني وَبين ذلك. قال : فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما. فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء لا شريك له. قال وَما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه. فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وَموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعًا مثل هذا فيكون

لك وَلإلهك شرفًا، فقال الـملك: لا أخفي عنك بأن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع، ثم قال الـملك للرسولَين إن استطاع إلهكما على إحياء ميت آمنا به وَبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شيء. فقال الـملك: إن هاهنا ميتًا منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه وَكان غائبًا، فجاؤوا بالـميت وَقد تغيّر وَأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وَجعل شمعون يدعو ربه سرًّا فقام الـميت وَقال لهم: إني قد مت منذ سبعة أيام وَأُدخلت في سبعة أودية من النار وَأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله. فتعجب الـملك! فلما علم شمعون أن قوله أثّر في الـملك دعاه إلى الله فآمن وَآمن من أهل مملكته قومٌ وَكفر آخرون. وفي بعض الروايات أن الـميت الذي أحياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الـملك وَأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه، فقال له: يا بني! ما حالك؟ قال: كنت ميتًا فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحيِيَني، قال: يا بني! فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم. فأخرج الناسَ إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل، فمر أحدهما بعد جمع كثير فقال: هذا أحدهما. ثم مر الآخر فعرفهما وَأشار بيده إليهما فآمن الـملك وَأهل مملكته. وَفي روايةٍ [قالها ابن إسحق]: بل كفر الـملك، وَأجمع هو وَقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبًا وَهو على باب الـمدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم يذكِّرهم وَيدعوهم إلى طاعة الرسل[١].

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴿٢١﴾﴾ [يس: ١٨-٢١].

الفوائد: يُقال للتشاؤم: التطيُّر، وكان أهل الجاهليّة يتطيَّرون بكثير من الأشياء حتى ولو كان بعض تلك الأشياء أمورًا حسنةً فيها فلاحهم. وقد تشاءم أهل أنطاكية برسل الله وأرادوا قتلهم، فقام ذلك الرجل الذي يُدعى حبيب والذي كان قد آمن برسل الله، بنُصرتهم.

وَالـمُرَاد مِنْ: ﴿قَالُواْ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ أن كفركم وجهلكم معكم وهو السبب في

١- القصة بحروفها استقاها الـمؤلف من: الطبرسي، **مجمع البيان**، ٤/ ٤١٩ - ٤٢٠، باختصار.

شقائكم وشؤمكم وليس رُسل الله.

«التشاؤم» أحد الأمراض الاجتماعيّة، كاعتبار كثير من الناس أن رقم ١٣ رقمٌ نحسٌ أو تشاؤمهم من نعيق الغراب وصوت البومة، والذين يؤمنون بالتشاؤم من بعض الأمور يُضيِّعون أنفسهم ويفقدون راحة البال بسبب هذا التشاؤم الموهوم وأحيانًا يعيشون كل حياتهم في عذابٍ روحيٍّ وقلق، كقصة تلك الفتاة من نُبلاء أوروبَّا التي كانت تعتقد بأنَّ رقم ١٣ رقم منحوس، فلمَّا عرفت أنها وُلدت في اليوم الثالث عشر من الشهر بقيت حزينة ومُنزعجة وخائفة حتى آخر عمرها. إنَّ التشاؤم صنيعة الإنسان نفسه وآفةٌ نفسيّة ونوعٌ من التلقين الـمُزعج الذي يُكدِّر فِكر ضعفاء العقل والجاهلين، والإسلام ينفي أيّ حقيقةٍ للتشاؤم من الأشياء.

قَالَ رَسُولُ اللهِ [فيما رواه عنه عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ]: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»[١]. وقال أيضًا: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[٢]. وقال عليٌّ عليه السلام: «**وَالطِّيَرَةُ لَيْسَت بِحَقٍّ**»[٣].

أجل، إنَّ الناس ينسبون بعض الحوادث السيّئة التي يتسبَّبون هم أنفسهم فيها إلى بعض الأشياء التي يتشاءمون منها، فبعضهم مثلاً يشرب الخمر في اليوم الثالث عشر من الشهر ويسكر فيقع أرضًا وتُكسر إحدى عظامه فيعزو السبب في ذلك إلى نحس يوم الثالث عشر!

وقد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**الطِّيَرَةُ عَلَى مَا تَجْعَلُهَا؛ إِنْ شَدَدْتَهَا تَشَدَّدَتْ وإِنْ لَمْ تَجْعَلْهَا لَمْ تَكُنْ شَيْئًا**»[٤].

١- روى الكُلَيْنِيّ في **الكافي** في باب حديث قوم صالح، ح (٢٣٦)، ج٨/ ص١٩٨ بسنده عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «كَفَّارَةُ الطِّيَرَةِ التَّوَكُّل». وفي مصادر أهل السنة: رواه أبو داود في **السنن** (٣٩١٢) وابن ماجه في **السنن** (٣٥٣٨) بلفظ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ وَمَا مِنَّا إِلا، وَلَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». ورواه أحمد في **المسند**، ١/ ٤٤٠ وفيه تكرار لجملة «**الطيرة شرك**» مرتين.

٢- أخرجه أحمد في **المسند**، ٢/ ٢٢٠، عن عبد الله بن عمرو رفعه. وتتمَّته: [قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ لا خَيْرَ إِلا خَيْرُكَ وَلا طَيْرَ إِلا طَيْرُكَ وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ]. وعلق عليه شعيب الأرنؤوط قائلاً: حسنٌ.

٣- **نهج البلاغة**، قسم الحكم، الحكمة ٤٠٠.

٤- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٨/ ١٩٧.

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ**»[١].

وقد اعتبرنا «إِنْ» الشرطيّة في جملة: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ اسم موصول.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ أن الداعية الذي يقوم بتبليغ دين الله لا يجوز له أن يأخذ أجرًا من الناس على دعوتِهِ إيَّاهم إلى الدين، بل عليه أن يعمل بمهنةٍ ما كي يكسب لقمة عيشه منها، كما كان الأنبياء يفعلون.

نقل [الفيض الكاشاني] في كتابه «**المحجَّة البيضاء**»: «**كان سيد المرسلين ﷺ يشتري الشيء فيحمله إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه: أعطني أحمله فيقول: صاحب الشيء أحقُّ بحمله**»[٢]. ورُوِيَ أيضًا عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: «**رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَعْمَلُ فِي أَرْضٍ لَهُ قَدِ اسْتَنْقَعَتْ قَدَمَاهُ فِي الْعَرَقِ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَيْنَ الرِّجَالُ؟ فَقَالَ: يَا عَلِيّ! قَدْ عَمِلَ بِالْيَدِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي فِي أَرْضِهِ، وَمِنْ أَبِي. فَقُلْتُ لَهُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَآبَائِي عليهم السلام كُلُّهُمْ كَانُوا قَدْ عَمِلُوا بِأَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ عَمَلِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْأَوْصِيَاءِ وَالصَّالِحِين**»[٣].

١- روى الحر العاملي، في **وسائل الشيعة**، ج٦/ ص٢٣٧، ح (٧٨٢٤): «وَعَنْ (أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ) قَالَ سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام أَنَتَعَوَّذُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الرُّقَى؟ قَالَ: لا، إِلا مِنَ الْقُرْآنِ. إِنَّ عَلِيًّا عليه السلام كَانَ يَقُولُ: إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الرُّقَى وَالتَّمَائِمِ مِنَ الإِشْرَاكِ»، ورواه المجلسيُّ، **بحار الأنوار**، ج٩٢/ ص٥، كما روى فيه حديثًا آخر، ج٦٠/ ص١٨، ولفظه: «وَعَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنِ الرُّقَى بِغَيْرِ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يُعْرَفُ مِنْ ذِكْرِهِ». أما المتن الذي ذكره المؤلف فهو في مصادر السنة، أخرجه أبو داود، **السنن** (٣٨٨٥) وابن ماجه، **السنن** (٣٥٣٠)، وقال الألباني: صحيح.

٢- **إحياء علوم الدين**، الإمام الغزالي، وقال الحافظ العراقي في تخريجه: «أخرجه **أبو يعلى** من حديث أبي هريرة بسند ضعيف». انتهى. قلت: وأخرج نحوه الطبراني في **الأوسط**، ٦/ ٣٥٠، ولفظه: «صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفًا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم». وأخرجه بنحوه ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ٤/ ٢٠٥. قال العجلوني في **كشف الخفاء** (٢/ ١٩): «وله طرق كلها ضعيفة». انتهى. وَحَكَمَ الألباني في **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** (٣٤٦٠) بأنه موضوع.

٣- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٥/ ٧٥ - ٧٦.

وقد كتبتُ في كتابي الذي ألفته عن حياتي وسيرتي الذاتية (بيتان من الشعر):

اقتدِ بالإمام الذي قيل عنه لا فتى إلا وافرُق بين الدين الحق وبين البدع

ذلك الإمام كان عاملاً في بستان العطور ولم يكن إمامًا يتكسَّب بالدين

وتنكير ﴿رَجُلٌ﴾ للدلالة على كماله في الرجولة، والتنوين للتعظيم.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس: ٢٢-٢٥].

الفوائد: بيَّن اللهُ تعالى في هذه الآيات كيفيّة دعوة حبيب [النجار] قومه إلى الإيمان وإرشاده لهم، واستدلاله بأن العبد عليه أن لا يعبد إلا خالقهُ وأن لا يلجأ في حوائجه إلا إليه، لأنه هو الذي وهبنا الوجود. وثانيًا: لأن مرجع الكل إليه لأجل الحساب. وثالثًا: لأنه عندما يُريد اللهُ إنزال العذاب والعقوبة في عبدٍ من عباده فلن تنفع هذا العبد شفاعةُ أحد. ورابعًا: لأن الشُّفعاء لا يملكون إنقاذهُ، ولذا أعلن إيمانهُ وقال: أيُّها الكفار اسمعوا ... .

ورُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**سُبَّاقُ الْأُمَمِ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** عليه السلام**، وَ[حَبِيبٌ النَّجَّارُ] صَاحِبُ يَاسِينَ، وَمُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ**»[1].

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس: ٢٦-٣٠].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ﴾ أن حبيب النجار وكل شهيدٍ يدخل الجنّة

١- ابن شهر آشوب، **المناقب**، ٢/ ٦، وبنحوه: المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١٣/ ص٥٨ دون سند. وأصله لدى: الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ٨/ ١٢٦، بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه رفعه. والزمخشري، **الكشاف**، ٤/ ١٢، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٥/ ٢٠.

البرزخيّة أو الأخرويّة بعد استشهاده ويتنَّعم بنِعم الله لأنه تمّ ركلهُ وضربه أو رجمه أو شنقه وصلبه حتى خرج من الدُّنْيَا شهيدًا فأكرمه اللهُ بجنَّة البرزخ.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ على تحقيرِ اللهِ تعالى لقومه وأنه تعالى لم يأبه بهم بل أهلكهم بصيحة واحدة ولم يحتج في ذلك إلى جنود من السماء. ولكن اللهَ تعالى بيّن الأسف على حال العباد الذين كلّما جاءهم رسول استهزؤوا به. ومعنى تأسف الحق تعالى وتحسُّره هنا إخباره بأن هذا الأمر يستدعي التأسف. وقد سُمِّي حبيب النجار بالجندي المجهول.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥﴾ [يس: ٣١-٣٥].

الفوائد: إن كل ما في العالَم من أشياء يستدعي الاعتبار لأنه من آثار قدرة اللهِ تعالى، ولكن الإنسان لا يلتفت إلى ذلك بسبب تعوّده وكثرة تكرار رؤيته لهذه الآيات الكونيّة. وقد ذكر اللهُ في هذه الآيات عدة أمور بوصفها مدعاةً للعبرة ودلائل على قدرته:

الأول: أهالي القرون الماضية الذين ذهبوا ولا يملكون الرجوع إلى الدُّنْيَا.

الثاني: الأرض الميتة التي تحيى بواسطة ماء المطر.

الثالث: الحبوب التي تخرج من الأرض ولكل منها منافع كثيرة.

الرابع: بساتين النخيل والأعناب.

الخامس: العيون التي تجري في الجنان والبساتين.

وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ الأطعمة وأنواع الدبس والمُربَّيات والحلويَّات التي يصنعها الإنسان.

﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: ٣٦-٣٨].

الفوائد: إحدى الآيات التي تدلُّ على أن النباتات تنقسم إلى نباتات مُؤنَّثة ونباتات مُذكَّرة هي هذه الآية وبالتحديد جملة: ﴿خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا﴾ في الآية ٣٦.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾ على حركة الشمس وسيرها، وقد ذكر الـمُفسِّرون معاني متعددة لعبارة: ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾، والذي يظهر من الآية أن مستقر الشمس هو يوم القيامة. وحركة الشمس الحالية –كما يقول علماء الفلك– هي نحو نجم «فيكا» وسوف تتوقف الشمس عن الحركة يوم القيامة، وطبقًا لما يقوله علماء الفلك اليوم فإن للشمسِ حركةٌ خاصةٌ بها إذْ تتحرَّك على شكل التفاف الثعبان في مدارها بسرعة ٧٢٠٠٠ كيلومتر في الساعة نحو نجم فيكا.

﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: ٣٩-٤١].

الفوائد: منازل سير القمر عبارة عن البروج الاثني عشر أي: **الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والـميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت**، وكل واحد من هذه البروج عبارة عن مجموعة من النجوم تظهر إلى جانب بعضها على شكل مُعيَّن. مثلاً عدد من النجوم تبدو لأهل الأرض على شكل ميزان ذي لسان وكفَّتين فتُسمَّى هذه الـمجموعة بالـميزان، وقد جعل اللهُ سير القمر على هذا النحو كي يسيروا على ضوء هذه البروج. وقيل: إن للقمر ثمانيةً وعشرين منزلاً يدخل في كل ليلةٍ في منزل حتى يصل إلى آخر منزل.

﴿وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا

مُعۡرِضِينَ ۝٤٦﴾ [يس: ٤٣-٤٦].

الفوائد: الـمُرَاد مِنْ: ﴿مَا يَرۡكَبُونَ﴾ الجَمَل الذي هو سفينة الصحراء. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾ رحمتُنا بالذين يؤمنون.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ﴾ إمهال الله للذين لا يؤمنون حتى يحين موتهم.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ﴾ أنواع العذاب الدنيوي كالغرق والحرق والهزيمة في الـمعارك والجرح والآفات الأخرى. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿وَمَا خَلۡفَكُمۡ﴾ الـموت والقيامة وما فيها من عذاب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ تَوۡصِيَةٗ وَلَآ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٥٠﴾ [يس: ٤٧-٥٠].

الفوائد: هناك أمران مُهمَّان في نظر الإسلام: **الأول**: الخوف من الخالق وخشية عظمته. **والثاني**: الشفقة على الـمخلوقات ورحمتهم.

أما الأول فقد بيَّنته الآية ٤٥. وأما الثاني فقد أشار إليه تعالى في الآية ٤٧ حين قال: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وعلى كل حال، فقد ردّ الكفار على هذا الأمر ولم يقولوا: «أننفق؟» بل قالوا: «أنطعم؟»، أي أرادوا أن يُوصلوا مُخالفتهم إلى أقصاها ويقولوا: لا يقتصر الأمر على أننا لن نُنفق بل إننا لن نُطعم أيضًا.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أن الكفار كانوا يعتبرون الـمُوحِّدين في ضلال مُبين إذْ كان الكُفَّار يقولون للمؤمنين: إنكم تقولون شيئًا مُتناقضًا: فمن جهة تقولون إن اللهَ أراد أن يكون الـمؤمنون فقراء جائعين، ومن جهة تقولون إن علينا أن نطعمهم، فكيف لنا أن نعمل خلافًا لما يُريده الله فنُطعمهم!.

وفي جملة: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ إلى آخر الآية: تهديدٌ وتهويلٌ.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝٥٢ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ۝٥٣ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٥٤﴾ [يس: ٥١-٥٤].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ في هذه الآية: النفخة الثانية لإحضار الخلق عند الخالق ليقضي بينهم. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾ أن تشكيل هذه الـمحكمة الإلهية هو لإقامة العدل وإحقاق الحق والـمجازاة على الأعمال. وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أن الجزاء مطابقٌ للعمل.

﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ۝٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

الفوائد: يُستفاد من هذه الآيات أن أهل الجنَّة مرتاحون مُنعَّمون من كل النواحي، سواءً من الناحية الفكرية أم الـمعنوية أم من نواحي اللذات الجسمية، فمن ناحية الـمكان سيكونون على أرائك مُزيَّنة، ولن يكونوا وحدهم بل سيكونوا مع أزواجهم كما قال تعالى: ﴿هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾. ومن ناحية الطعام قال تعالى: ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾، وهكذا من جميع النواحي في راحةٍ وتمتُّعٍ ونِعمة. «**اللهم ارزقنا**».

وَالـمُرَاد مِنْ: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ أي لهم سلامةٌ بأمرٍ من الله.

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩ ۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ۝٦٢ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣

ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ [يس: ٥٩-٦٤].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ على فصل المجرمين وتفريقهم عن بعضهم حسب ظاهر الآية. ومقصود الآية أن المجرمين سيتمُّ فصل كل واحد منهم على حِدَة ليتمّ حسابه وعقابه وحده، وقد يكون المراد من الآية فصل المجرمين عن المؤمنين والتفرقة بينهم وهذا المعنى أظهر.

وَيدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ أن اللهَ أخذ على عباده عهد العبوديَّة والطاعة وميثاقها.

فإن قيل: متى وأين أخذ منا هذا العهد والميثاق؟

فنقول: إن هذا الميثاق هو ميثاق الفطرة والعقل كما تُشير إليه جملة: ﴿أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ﴾؟ ومن الممكن أن يُقال: إن هذا الميثاق هو الذي أخذه اللهُ على عباده بواسطة الأنْبياء، بقرينة قوله تعالى: ﴿إِلَيۡكُمۡ﴾، وإلا لقال: عهدناكم.

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يس: ٦٥-٦٧].

الفوائد: إحدى مراحل القيامة ومواقفها موقفٌ يُنطِقُ اللهُ فيه أيديَ الناس وأرجلَهم ويُخرِسُ ألسنتهم، وفي مراحل أخرى يُطلق ألسنتهم. والذي يقدر على إنطاق اللسان يقدر على إنطاق الأيدي والأرجل وعلى طمس الأعين، كما نُشاهد أن الإنسان بعد أن يطوي مرحلة الشباب تبدأ قواه جميعها بالضعف بل بالتوقف عن العمل والآية التالية تُشير إلى ذلك، ولكن جملة: ﴿لَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ تتعلّق بالدنيا.

﴿وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: ٦٨].

الفوائد: إن قوة الشباب ثم ذهاب قوى الإنسان في سن الشيخوخة دليل على قدرة خالق

الإنسان الذي يأخذ من الإنسان قواه دون اختياره ويُعيده في آخر العمر إلى حالة الطفولة بل أسوأ منها، فهذه القدرة الإلـهية ذاتها لقادرة على أن تُحضر الإنسان يوم القيامة وأن تأخذ منه كل وجوده.

والنقطة الأخرى أن الإنسان، طالـما كان يتمتَّع بكامل قواه في سن الشباب، فعليه أن يسعى لآخرته وعليه أن يسعى في السير بنفسه نحو الكمال قبل أن يدركه الكِبَر وتنهار قُواه. قال حضرة الصادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ [وَجَعَلَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ وَكَانَ الْقُرْآنُ حَجِيزًا عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]**»(١).

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٞ وَقُرْءَانٞ مُّبِينٞ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس: ٦٩-٧٠].

الفوائد: بيَّنا في أواخر سورة الشعراء بعض مفاسد الشعر. وفي هذه الآية من سورة يس يقول الحق تعالى إنه لم يُعلِّم نبيَّهُ الشعر، ولذا جاء في الحديث: «**كَانَ الشِّعْرُ أَبْغَضَ الْحَدِيثِ إِلَى رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم»(٢). وقد شرحنا هذا الأمر بالتفصيل في كتابنا: «شعر وموسيقى» [أي الشعر والـموسيقى].

فإن قيل: فكيف قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معركة حُنين:

أنــــــا النبــــــيُّ لا كــــــذب أنــــــا ابــــــن عبــــــد الـــــمطلب؟

فالجواب: أن هذا رَجَزٌ والعرب لا تعتبر الرَّجَزَ شعرًا(٣).

١- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٢/ ٦٠٣.

٢- النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ٦/ ٩٩. وأصله لدى أهل السنة من رواية أحمد في **المسند**، ٦/ ١٣٤، و١٤٨، و١٨٨، عن عائشة أنها سُئِلَت: «أَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يُتَسَامَعُ عِنْدَهُ الشِّعْرُ؟ فَقَالَتْ: كَانَ أَبْغَضَ الْحَدِيثِ إِلَيْهِ»، وصححه شعيب الأرنؤوط وقال: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وقال الهيثمي في الـمجمع رقم (١٣٢٩٧): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

٣- من الواضح أن الـمؤلِّف لا يريد ذم الشعر على إطلاقه، كيف وقد استشهد هو نفسه في كثير من مواضع كتابه هذا بأبيات من الشعر بل نظم بنفسه كثيرًا من الأبيات الجميلة وكان ذا قريحة شعرية بالفارسية، وإنما يقصد ذم

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا...﴾ أن الذي يتَّعظ بالقرآن ويخاف من الله هو من كان حيَّ القلب يُعْمِلُ تفكيرَه وكان سليم القلب، وبهذا تتمُّ الحُجَّة على الكافرين كما قال تعالى في سورة ق: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]. وهذه الآيات ردٌّ على ما شاع في زماننا من قراءة القرآن على القبور وعلى الـموتى.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۚ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧١-٧٣].

الفوائد: الـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ...﴾ حيث ما جاءت في القرآن: الرؤية العقلية والنظر الفكري لا الرؤية البصرية.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ أننا خلقناه بقدرتنا لا بقدرة مُعين أو وزير أو شريك. وكلمة: ﴿مَشَارِبُ﴾ قد تكون جمع مسرب بمعنى إناء الشرب لأن الإنسان يصنع الزِّق وأواني الشرب من جلد الحيوانات، ويُمكن أن يكون الـمقصود جمع مشروب، يعني اللبن واللبن الرائب وأنواع السمن. وباختصار هناك منافع كثيرة للبشر في الأنعام.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس: ٧٤-٧٦].

الفوائد: بعد أن ذكر الحقُّ تعالى نِعَمَهُ ليُبيِّن وجوب شكرها على الإنسان، وأن الإنسان لم يكتفِ بعدم شكر اللهِ على نِعمه بل زاد على ذلك أن توجَّه إلى الـمخلوقات بالعبادة فطلب منها العون مع أنها لا تضرُّ ولا تنفع، حتى ولو أحضر العابدون جندًا لمعبوديهم أو أحضر الـمعبودون جندًا لعابديهم، والـمعنى الأول أظهر.

الشعر الباطل الذي تكون معانيه كاذبة وفاسدة ومخالفة للقرآن وللشرع. أما إذا كانت معانيه صحيحة ومفيدة فهو مستحسن وجيد، وقال ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لسِحْرًا وَ إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لحِكْمَةً (أو حِكَمًا)». وكان ﷺ يُحِبّ أن يستمع محاسن الشعر.

﴿أَوَ لَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠﴾ [يس: ٧٧-٨٠].

الفوائد: في جملة: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ بيان لأسفل مقام وأعلى مقام للبشر أي أن هذا البشر الذي خلقناه من نطفة حقيرة واستخرجنا جوارحه وأعضاءه المختلفة من أجزاء النطفة المتشابهة، عندما يصل إلى مقام النطق والإرادة يبدأ بمُخاصمتنا، وإنكار قدرتنا على المعاد ويضرب لنا ولقدرتنا مثلاً، مع أن مَثَلَهُ دانٍ وأدنى، ولِلَّهِ المثل الأعلى، ولا يجوز قياس قدرة الله على قدرة الإنسان. فقدرة اللهِ هي أن يوجد من العدم بإرادة (**كُنْ**).

وَيُسْتَفَادُ مِنْ الآية ٧٨ وسائر آيات القرآن أن جميع الأبدان حتى أبدان الأَنْبياء والأولياء تتحلل وتبلى في القبور. يقول عليٌّ عليه السلام في مناجاته مع الله: «**إِلَهِي ارْحَمْنِي إِذَا تَغَيَّرَتْ صُورَتِي وَامْتَحَتْ مَحَاسِنِي وَبَلِيَ جِسْمِي وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالِي وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي**»[1].

ويقول عليُّ بنُ الحسين عليهما السلام في الصحيفة السجاديَّة: «**مَوْلَايَ وَارْحَمْنِي عِنْدَ تَغَيُّرِ صُورَتِي وَحَالِي إِذَا بَلِيَ جِسْمِي، وَتَفَرَّقَتْ أَعْضَائِي**»[2].

﴿أَوَ لَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: ٨١-٨٣].

الفوائد: استدل الله تعالى في هذه الآيات على إثبات المعاد، ردًّا على أُبَيّ بن خَلَف الذي خَاصَمَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم في إنكار البعث وأتاه بعظم قد بَلِيَ وَقَالَ: أترى أن ربَّكَ يُحْيِي هذا العظمَ

١- المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٩١/ ص ٩٩.

٢- **الصحيفة السجادية**، الدعاء ٥٣: وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ عليه السلام فِي التَّذَلُّلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَل.

بعدما رَمَّ؟! من هذا يظهر أنه لم يكن لدى الكفار دليل على نفي المعاد سوى الاستبعاد، لأنهم لم يكونوا يرون في أنفسهم القدرة على مثل هذا الأمر فكانوا يقيسون قدرة اللهِ على قدرتهم، فبيَّن الحقّ تعالى أنه لا يجوز التقليد في الدين والعقيدة كما لا يجوز إنكار شيء أو قبوله لُمجرَّد الاستبعاد، لأن اللهَ مالك الملوك ومُنزَّه عن العجز ولا يجوز بحال من الأحوال قياسه على الإنسان الذي يلفُّه العجز من رأسه إلى أخمص قدميه.

سورة الصافات

مكيّة وهي مئة واثنتان وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥﴾ [الصافات: ١-٥].

الفوائد: قد تكون صِفَات: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ و﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ﴾ و﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ لموصوف واحد وقد تكون لموصوفات متعددة أقسم اللهُ بكل منها لاتصافه بهذا الوصف كي يُبيِّن لنا عظمتها وأهميَّتها. وَالمَقْصود مِن الصافات المؤمنين الذين يصطفون في الصلاة أو في الجهاد، وَالمَقْصود مِن الزاجرات المؤمنون الذين يُجشِّمون أنفسهم التعب والعناء في جهادهم للكفار أو يزجرون أنفسهم عن العصيان. وَالمَقْصود مِن التاليات الذين يتلون القرآن أو الذاكرين الله.

و ﴿ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ أمكنة شروق الشمس خلال أيام السنة البالغة ٣٦٦ يومًا، كما أنه يُمكننا أن نتصوَّر للشمس أمكنةً لا حصر لها للشروق بالنظر إلى كون الأرض كرويّةً، ولما كان اختلاف المغارب بحسب اختلاف المشارق اكتفى اللهُ بذكر المشارق لأنها أكثر دلالةً على قدرة الله.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠﴾ [الصافات: ٦-١٠].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ أن الشياطين تصعد إلى

السماوات لسماع كلام الملائكة وأخبار السماء لكنها تُمنَعُ من السماع، والملأ الأعلى هم الملائكة، وكل شيطان يُحاول الصعود إلى السماوات يُصاب بشعلةٍ ناريَّةٍ وبعذاب إلهيّ، وفي زماننا حيث تصعد المراكب الفضائية إلى السماوات تكون مُسلَّحةً وتُحيط بها الشُّهب الكونيَّة، ولكنها تُردُّ بواسطة القوى الدافعة التي هي السطح الذي صنعوه للسفينة الفضائيَّة.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الصافات: ١١-١٨].

الفوائد: كان مُنكرو المعاد يستبعدون أن يتمّ إحياء الذرَّات المُتفرِّقة أو التي انعدمت، من جديد، فردَّ الحقّ تعالى عليهم بقوله: هل استبعادكم لذلك هو من جهة عدم قابليّة المادة لذلك أم من جهة عدم قدرة الفاعل؟ إن قالوا: من جهة عدم قابليّة المادة، فجوابهم: أنكم خُلقتم من العدم ومن طين رخوٍ لازب الذي هو اجتماع أجزاء مائيّة مع أجزاء ترابيّة، وهذه المادة لا تزال باقية. وإن قالوا من جهة عدم قدرة الفاعل، فكيف يعجز مَنْ خَلَقَ السماوات والأرض والجنّ والملائكة والبشر قبلكم، عن خلقكم مع أن خلق تلك الأمور أصعب من خلقكم، فكيف يعجز من قام بما هو أصعب عن القيام بما هو أسهل؟!.

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ إما الأمم الماضية التي كانت أقوى منكم أو العالَم كله من باب تغليب العقلاء على غير العقلاء، حتى عُبِّر عن جميعهم بـ ﴿مَّنْ﴾ الموصولة [الخاصة بالعقلاء].

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ١٩-٢٣].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ أن إيجاد القيامة أسهل على اللهِ من نفخة واحدة، وتكفي صيحةٌ واحدة لسوق الموتى جميعهم نحو الحساب والميزان.

وَالـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ الظالـمين وأمثالهم مثلاً: الـمُشْرِكُون مع الـمُشْرِكين واليهود مع اليهود وأهل البدعة مع أهل البدعة وهكذا... كما قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الواقعة: ٧].

﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الصافات: ٢٤-٣٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ أنه سيتمُّ إيقاف جميع الخلق في أحد مواقف القيامة للسؤال والاستجواب، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ، وَعَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وأين وَضَعَه، وماذا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»[1].

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ أنه في يوم القيامة لا يستطيع أي أحد أن ينصر أحدًا.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ إذا اعتبرنا اليمين كناية عن الخير: لقد كنتم أيها السادة الكبار تُضلُّوننا عن طريق الخير. أما إذا اعتبرنا اليمين كناية عن القوة والقهر والغَلَبَة فإن الـمعنى يكون: كنتم تتسلَّطون علينا بالقوة والقهر لتُضلُّوننا. وعلى كل حال، فالآية تدلُّ على أن التابع والـمتبوع والـمُقلَّد والـمُقلِّد سيذوقون جميعًا العذاب يوم القيامة.

١- أخرجه الترمذي في **السنن** (٢٤١٦) وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن قيس وحسين بن قيس يُضَعَّف في الحديث من قِبَل حفظه. وأخرجه **أبو يعلى في الـمسند** (٥٢٧١) ، والطبراني في **الكبير** (٩٧٧٢) ، **وابن عدي** (٢/ ٣٥٣ ، ترجمة ٤٨٢ الحسين بن قيس أبو علي الرحبي)، وقال : هو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق . والبيهقي في **شعب الإيمان** (٢/ ٢٨٦، رقم ١٧٨٤). وحسَّنه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزيادته** (٧٢٩٩). وهناك رواية أخرى عند الترمذي، **السنن** (٢٤١٧) بلفظ: «**حتى يُسْأَلَ عن أربع**... الخ». والـمعنى واحد، وقال الترمذي عنها: حسن صحيح.

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الصافات: ٣٣-٣٩].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أن الـمُتكسِّبين بالدين والأئمة الـمُضلِّين سيشتركون في العذاب مع أتباعهم. ومراد الكفار من: ﴿شَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ رسول الله ﷺ حيث كانوا يُلقِّبونه بذلك استهزاءً.

وكان الـمشركون يتكبَّرون عن قول: «لا إلا إلا الله» لأنهم كانوا يفهمون معناها! ويُدركون أن الـمقصود من هذه الجملة أن لا ملجأ ومعبود بحقٍّ ولا قاضٍ للحاجات ولا مُؤثِّر ولا يضرُّ ولا ينفع إلا الله، ومن لوازم هذه الكلمة أن لا يتوجَّه الإنسان إلى غير الله ولا يتعلَّق ببابٍ لطلب الحوائج إلا باب الله، أي لا يوجد دكانًا للتفرقة، ولهذا نجد أن الـمشركين كانوا لا يقبلون هذه الكلمة لرفضهم لوازمها كما يرفضها أهل زماننا، لكن بعض الناس من غير العرب لا يفهمون معنى هذه الكلمة ويُجرونها على ألسنتهم [رغم رفضهم للوازمها].

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٠-٤٧].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ على أن اللهَ سيُكرم الـمُخلَصين يوم القيامة وهذا أعلى درجة من اللذة والنعيم بالنسبة إليهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ﴾ أنه سيكون هناك في الجنَّة خمرٌ لكنها لا تُسكِرُ، إضافةً إلى أنه ليس فيها ضررٌ ولا فسادٌ ولا آفات، بدليل قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ

بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٥٠ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ۝٥١ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات: ٤٨-٥٣].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أن أهل الجنَّة يتكلَّمون مع بعضهم بعضًا حول الدُّنْيَا التي عاشوها قديمًا، بعد شربهم لأنواع المشروبات اللذيذة، وهذا بحدّ ذاته إحدى اللذات الممتعة جدًا أن يأنس الإنسان بأشخاص كرام يسألون عن أحوال بعضهم بعضًا. قال الشاعر:

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على المدام

وعلى كل حال، يقول هذا القائل لأصحابه ورفقائه: لقد كان لي رفيق في الدُّنْيَا يُنكر القيامة ويسخر منَّا، ولا أدري أين ذهب؟ فهل عندكم خبر عنه؟ فيُطلُّ برأسه من داخل الجنَّة فيراه في وسط الجحيم.

﴿قَالَ هَلۡ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ۝٥٤ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ۝٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ۝٥٧ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ۝٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ۝٦١﴾ [الصافات: ٥٤-٦١].

الفوائد: كلمة ﴿لَتُرۡدِينِ﴾ أصلها لتُرديني فأُسقطت الياء مراعاةً لسجع الآيات.

وجملة: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ﴾ وما بعدها يقولها المؤمن لأهل الجنَّة من باب التعجب، كمن أُعطي ثروةً هائلةً فقال متعجِّبًا: هل كل هذه الثروة لي! كما أن الآية تدلُّ على عدم الحياة في القبر.

ومن الممكن أن يُقال في جملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ أنها من كلام المؤمن، أو نقول: إنها قول اللهِ تعالى.

وجملة: ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ . إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ ردٌّ على القائلين بالرجعة.

﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ۝٦٦ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ۝٦٧ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ
أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ
﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الصافات: ٦٢-٧٤].

الفوائد: «**النُّزُل**» هو ما يُقدَّم للضيف ابتداءً كمُقدِّمة ويُسمَّى: «ما حضر في المنزل»، كي يُقام بإكرام الضيف بشكل كامل فيما بعد، بعد أن يزول عنه التعب.

والمقصود من: ﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ﴾ أنهم لما كانوا يسمعون قصة شجرة الزَّقوم كانوا يُنكرون ذلك بسبب قِلَّة معرفتهم بالحقّ ويقولون: كيف يُمكن لشجرةٍ أن تنبت في وسط النَّار، وأيضًا يمكن أن يكون المعنى أنهم عندما سيجبرون على الأكل من هذه الشجرة سيكون الأمر شديدًا عليهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ على عدم جواز التقليد.

وجملة: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ رغم أنها خطاب لرسول الله ﷺ لأجل تسليته وتقويته وتثبيت أقدامه في مواجهة المكذبين، إلا أن المقصود بالخطاب هم العُقلاء جميعهم.

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ
﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا
ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [الصافات: ٧٥-٨٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ أنه لم يبقَ بعد طوفان نوح إلا ذريَّته الذين كانوا ثلاثة أولاد: سام وحام ويافث وأربع بنات، وهلك البقيّة أجمعون أو ماتوا ولم يُخلِّفوا ذريةً.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ على استحباب السلام على نبيِّ الله نوح بأن نقول: سلامُ اللهِ على نوح، ولكن ليس كسلام الغلاة والضالين في زمننا الذين يُسلِّمون بالخطاب المباشر [أي يقولون: السلام عليك يا فلان] بل ينبغي أن يكون التسليم كما سلَّم الله.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الصافات: ٨٣-٩٤].

الفوائد: يعود ضمير: ﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ على نوح أي أن إبراهيم عليه السلام كان من شيعة نوح أي من أتباعه في الدين والعقائد وعبادة الله، وكلمة ﴿شِيعَتِهِۦ﴾ هنا وردت على معناها اللغوي لا المعنى الاصطلاحيّ الحزبيّ الذي يُسبّب التفرقة بين المسلمين. وللأسف فإن الحزب الذي سمَّى نفسه «**الشيعة**» وجعل ذلك شعاره، ليس مُتَّبِعًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعليّ المرتضى عليه السلام في الأصول والفروع! ولذلك لا يُمكن تسميته بكلمة «الشيعة» لغويًا، لأنه زاد على أصول الإسلام وفروعه وأنقص منها.

وعبارة: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ التي قالها إبراهيم عليه السلام قصد منها السقم الروحي لأن روحه كانت مُتعبةً إذ كان يرى اجتماع الناس على عبادة الأصنام وطريق الباطل، ولذلك لما خرج الناس في يوم عيدهم خارج المدينة تحجج إبراهيم بتعبه النفسيّ لكي لا يخرج معهم. ولما كان أهل زمانه يعتقدون بتأثير النجوم، نظر نظرةً إلى النجوم وقال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ كي يَقْبَلَ الناسُ كلامَه ويكون لدى إبراهيم عذر مقبول لعدم الخروج مع قومه. فلما ذهبوا جميعًا أخذ الفأس وحطَّم به جميع الأصنام.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات:٩٥-١٠١].

الفوائد: المقصود من جملة: ﴿وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ما تخلقونه أي ما تُشكِّلون صورته من المواد الأولية الموجودة، باعتبار أن حرف «ما» هنا هي «ما» الموصولة.

والـمقصود من «**البنيان**» في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ مكانٌ عرضُه عشرون مترًا في ثلاثين مترًا، ملؤوه بالحطب وأشعلوه ثم رموا إبراهيم في وسطه بواسطة منجنيق، وكلمة ﴿كَيْدًا﴾ إشارة إلى هذا العمل الذي قاموا به. وكلمة ﴿ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ تدلُّ على أن الله جعل نمرود وأتباعه أذلاء ومفضوحين، ويا ليت زماننا يكون كذلك وأن يُظهر اللهُ الـمُتكلمين بالحقّ على أعدائهم: «**اللهم أظهر كلمة الحق واجعلها العليا وادحض كلمة الباطل واجعلها السفلى**».

والـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ حسب الظاهر هو هجرة إبراهيمعليه السلام إلى الشام بعد نجاته من النار. والـمقصود من: ﴿غُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ حضرة إسماعيلعليه السلام.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

الفوائد: نشأ إسماعيل عليه السلام في مكة ونما فيها. وعندما جاء إبراهيم من الشام إلى مكة لرؤيته كان إسماعيل طفلاً في الثالثة عشرة من عمره، وكان قد عاد لتوِّهِ من الصيد وكان غبار الصيد لا يزال على وجهه وكان أثر الشمس على خدوده الـمسمَرَّة، ولما رأى إبراهيم وجنتيه الورديتين وقع في قلبه أجمل من القمر في ليلة البدر وتعلق قلب إبراهيم به، هنا أراد الله أن يمتحن إبراهيمعليه السلام فأراه في منامه ليلة التروية رؤيا قال له فيها: يا خليلي! ضحِّ بابنك الكريم الذي تعلق قلبك به لأجلنا! فلما رأى هذا الـمنام جلس يتفكر فيه سائر يومه، إلى أن رأى الحُلُم ذاته ليلة عرفة ثم رآه ثالثةً ليلة عيد الأضحى فأيقن أنه مأمور من الله بالقيام بهذا العمل، وهنا ورد حديث يقول: إن رؤيا الأنبياء حجة وبمنزلة الوحي، وقيل: إن إبراهيم أُوحي إليه من قبل بأنك سترى مثل هذا الحُلُم فامتثِلْ لما تُؤمَر به فيه.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ

مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٨-١١٣].

الفوائد: في جملة: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ مفعول به محذوف تقديره ذكرًا، كما نجد ذكر إبراهيم بالخير باقٍ في ملل اليهود والنصارى والمسلمين حيث يُجلُّه أهل هذه الأديان جميعًا. ورغم أن الموجودات الماضية جميعها والموجودات المستقبلية حاضرة لدى الله عز وجل، لم يقل تعالى: سلام عليك يا إبراهيم بل قال: سلام على إبراهيم، وهذا لكي يُعلّم عباده طريقة السلام وأن لا يقولوا للماضين منهم: السلام عليكم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ أن الآباء والأجداد مهما كانوا عظماء إلا أنهم لا يُفيدون الظالم.

﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصافات: ١١٤-١٢٢].

الفوائد: المراد بـ ﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ ذلك الأذى والاضطهاد الذي كان يُمارسه فرعون وآله بحق موسى وهارون، أو من الممكن أن نقول: إن ﴿ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ هو الوقوع في المصيبة وإنقاذ الله لهم من البحر. والمقصود من ﴿ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ﴾ التوراة التي كانت كلها تعاليم وأوامر الله عز وجل وهدايته.

﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات: ١٢٣-١٣٢].

الفوائد: قصة إلياس هي رابع قصة في هذه السورة، وإلياس هذا من أنبياء بني إسرائيل وهو

إلياس بن ياسين من أولاد هارون أخي موسى عليهما السلام.

و «بعل» اسم صنم كبير كان له أربعة وجوه، في كل طرف وجهٌ، وكانوا يعبدونه، وكان له أربعمئة سادن وحافظ وحارس وخادم واعتبروه ملجًا لحوائجهم وكانوا يطلبون منه قضاءَها. ويقولون: إن مدينة بعلبك في بلاد الشام كانت مقر ذلك الصنم ومسكن سدنته.

و «إل ياسين» هو إلياس هذا ذاته. ولا صحة لقراءة بعضهم هذه العبارة بشكل: «آل ياسين» وقولهم إن الـمقصود منها آل محمد! لأن اللهَ أتى في الآيَة التي بعدها بضمير مفرد عائد عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، ولو كانت الكلمة آل ياسين لوجب أن يكون الضمير جمعًا أي أن يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، هذا فضلاً عن أن ذلك الإدعاء تحريف لكلام الله والله تعالى قد حفظ القرآن الكريم وصانه عن التحريف!.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٣ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ١٣٤ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ١٣٥ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٣٨﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٨].

الفوائد: لما كانت قرية لوط واقعة على طريق القوافل وكان الناس يمرُّون عليها صباح مساء قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾. و﴿وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ ومعنى أفلا تعقلون أي: أليس لكم عقل تعتبرون به؟!.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ١٤٢ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ ۞فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤٨].

الفوائد: كان يونس بن متَّى من الأنبياء الـمعاصرين لداود عليه السلام، وقد ذكرنا قصته وأحواله في التعليق على الآيَة ٩٨ من سورة يونس فلتُرَاجَعْ ثمَّةَ. ولما أعرض يونس عن قومه وذهب إلى جهة البحر رأى سفينةً مكتظةً بالركاب فركبها، فلما صارت السفينة في عرض البحر أحاطت بها

الأمواج وأوشكت على الغرق، فقال رُبَّانُها: إن ها هنا عبدًا آبقًا وهو السبب فيما حلّ بالسفينة، ولم تُحط بنا الأمواج بدون سبب، فقال الـملاحون (أي الذين يجوبون البحر للتجارة): لقد جربنا الأمر وعرفنا أنه كلما أحاطت الأمواج بالسفينة دون ريح أو سبب آخر كان من الضروري إجراء قرعة فكل من وقعت عليه رميناه في البحر، وهذا أفضل من أن يغرق الجميع. فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس وأعادوا القرعة ثلاثة مرات وفي كل مرة كانت تقع القرعة على يونس، فقال يونس: أنا العبد الآبق فلفوه في عباءته ورموه في البحر فابتلعه حوت كبير، فخاطب الله الحوت أن لا تكسر عظامه ولا تقطع أوصاله، فبقي في بطن الحوت ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل عشرين يومًا وقيل شهرًا. وعلى كل حال، لم يُبيِّن القرآن الكريم مدة لبثه في بطن الحوت، إلى أن قذفه الحوت إلى ساحل البحر في مكان منبسطٍ فخرج يونس من بطن الحوت كهيأة فرخ ليس عليه ريش فأنبت الله له شجرة قرع كي تُظلّله من حرِّ الشمس فاستظلَّ بها.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٧].

الفوائد: كان هناك طوائف من مشركي العرب يعتبرون الـملائكة بنات الله رغم أنهم هم أنفسهم كانوا ينفرون من البنات ويعتبرونهنَّ عارًا عليهم! ولم يكن لدى هؤلاء الـمشركين أي حجة شرعية ولا عقلية على قولهم هذا، أما عقلاً فلا يجوز لهم أن ينسبوا إلى الخالق مخلوقًا هم يتعيَّرون منه، ولا دليل حسيّ لديهم على ما يقولونه لأنهم لم يُشاهدوا بالحسِّ خلقة الـملائكة، ولذلك قال الله عنهم: ﴿أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ﴾. وأما الدليل النقلي أو خبر الصادق فلم يكن لديهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، كما لم يكن لديهم كتاب سماويّ يدلّ على قولهم، ولذا قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ

بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ [الصافات: ١٥٨-١٦٣].

الفوائد: كان جماعة من الكفار يجعلون بين الله وبين الجِنّ نسبًا كقول من يقول إن يزدان وأهريمن أخوان! أو قول بعضهم: لقد صاهر اللهُ الجِنَّ، والله تعالى مُنزّهٌ عن مثل هذه الخرافات والأباطيل ولذلك قال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

ولو كان بين الله وبين الجِنّ مثل هذا النسب المزعوم لما أحضرهم الله للحساب والعذاب، مع أنهم هم أنفسهم يعلمون: ﴿إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ﴾.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الصافات: ١٦٤-١٧٠].

الفوائد: جملة: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ من كلام جبريل أو الملائكة الذي نزل في هذه السورة لكي يُعلَم أن كل واحد من الملائكة له مقام ودرجة لا يملك تجاوزها، وكلهم حاضر في صفّ العبودية ومستعدون لطاعة أوامر خالقهم.

وضمير: ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾ يعود على الكفار الذين كانوا يتمنَّوْن أن ينزل عليهم كتابٌ من السماء كي يكونوا من عباد الله المخلَصين ولكن لما جاءهم القرآن كفروا به.

﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٤﴾ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٧].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ أن سنَّة اللهِ في أنبيائه كانت دائمًا أن يجعل عاقبة أمرهم النصر على أعدائهم، وحتى لو غُلبوا في بعض الأحيان أو قُتلوا فإن حُجَّتَهُم تكون هي الغالبة أي أن اللهَ يُوضِّح حُجَّتهم وإن لم يقبل بها الكفار.

والمقصود من: ﴿وَأَبۡصِرۡهُمۡ﴾: بيِّن لهم.

ولما كانت كل قبيلة في زمن الجاهلية تسعى إلى تبييت أعدائها بالإغارة عليهم قُبَيْل الصبح وهم يغطُّون في النوم كي يتمكنوا من استئصالهم، شبَّه الحق تعالى حال الكفار حين حلول

العذاب بهم بحال القوم الذين استُئصلوا وكان صباحهم مريرًا عليهم ومقرونًا بالذل والخزي، فقال: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات:١٧٨-١٨٢].

الفوائد: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي حتى وقت مجيء العذاب ووقوع البلاء أو حتى موتهم، سيحلّ بهم ذلك كُلُّهُ بعد مدة وجيزة.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أن كل ما وصف البشرُ به الله وَجَبَ أن نعتبر اللهَ منزهًا عنه، وأنه لا يملك أحدٌ أن يصفَ اللهَ إلا اللهُ نفسُه. ولما أراد الحق تعالى للأنبياء السلامة والأمان، ومعنى السلامة الكمال والابتعاد عن النقص، فعلى أفراد البشر أن يقتدوا بالأنبياء.

وقد ورد في الحديث: «**من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه**: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ. وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾»[1].

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٤/ ٤٦٢- ٤٦٣. ورَوَاهُ ابْن أَبِي حَاتِم فِي **تَفْسِيره** مُسْندًا عَن الشّعبيّ أرسله عن النبي(ﷺ)، رقم (١٨٣٢٢) و(١٨٣٢٤). ورَوَاهُ الحافظ عبد الرَّزَّاق الصنعاني فِي **المُصَنَّف** بسنده عَن الْأَصْبَغ بن نباتة قَالَ قَالَ عَلّي بن أبي طَالب: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى فَلْيقُلْ حِين يفرغ من صلَاته سُبْحَانَ رَبك رب الْعِزَّة إِلَى آخرهَا». وَرَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ النيسابوري فِي تَفْسِيره **الكشف والبيان**، والواحدي فِي **الْوَسِيط** عَن الْأَصْبَغ بن نباتة وَقَالَ فِيهِ: فَلْيَكُن آخر كَلَامه من مَجْلِسه، وَمن طَرِيق الثَّعْلَبِيّ رَوَاهُ **الْبَغَوِيّ**.

سورة ص

مكيّة وهي ثمان وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣﴾ [ص: ١-٣].

الفوائد: «ص» -كما قلنا في سائر السور المبتدئة بالحروف المقطَّعة - حرفٌ من حروف المعجم وحروف الهجاء ولا يدلُّ على معنى مُعيَّن، أي لم يُوضع لأجل معنى مُحدَّد. لكن بعضهم جعله إشارة إلى الصمد أو صادق الوعد أو الصانع، وبعضهم اعتبر «ص» اسم السورة.

وعلى كل حال، الواو في عبارة: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾ هي واو القسم حسب الظاهر، وجواب القسم يجب أن يكون جملة: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ﴾، ويُمكن أن نجعل جواب القسم جملة مناسبة محذوفة مثل: جاء الحق أو ظهر الأمر أو إنه لمعجزةٌ، وأمثالها.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨﴾ [ص: ٤-٨].

الفوائد: كانت حُجَّة الكفار أن محمدًا مثلنا في الخلقة والصورة والنسب فكيف صار رسولاً لِـلَّهِ؟ ورغم أنهم كانوا يعلمون أنه رجل صادق إلا أنهم كانوا يعتبرونه ساحرًا وكذابًا، وهذا يدل

على كمال جهلهم، لأن محمدًا ﷺ دعاهم إلى التوحيد وترك الخرافات وكان عليهم – عقلاً – أن يُصدِّقوه، لا أن يتعجبوا من أنه جعله الآلهة إلهًا واحدًا.

«ذلك أن عمر بن الخطاب ﷺ أسلم، فشق ذلك على قريش، وفرح به المؤمنون، فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش، وهم الصناديد والأشراف، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سنًا الوليد بن المغيرة، قال لهم: امشوا إلى أبي طالب، فأتوا أبا طالب، وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء، فلا تمل كل الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: وماذا يسألوني؟ قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك، فقال النبي ﷺ: أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟ فقال أبو جهل: لِلَّهِ أبوك لنعطيكها وعشرًا أمثالها، فقال رسول الله ﷺ: قولوا لا إله إلا الله، [فنفروا] من ذلك وقاموا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا﴾؟ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟»[1].

وكان سبب تعجبهم أنهم كانوا يرون الناس جميعهم مشركين، وأنهم كانوا يتساءلون: كيف يُمكن لإله واحد أن يُدبِّر أمر العالَم كلِّه، ولم يكونوا من أهل الاستدلال، وكانوا يقولون: كيف لم يفهم كل هؤلاء الأقوام وكل هؤلاء الناس وفهم محمد وحده فقط، فهذا بعيد!.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

١- البغوي، **معالم التنزيل**، ٧/ ٧١. قلتُ: وأخرج نحوه الترمذي في **السنن** (٣٢٣٢) وقال: «هذا حديث حسن» (وضعَّفه الألباني)، والنسائي في **الكبرى** (٨٧٦٩)، وابن حبان برقم (١٧٥٧) ص (٤٣٥) من **موارد الظمآن**، وأحمد في **المسند**، ١ /٢٢٧، والطبري في **تفسيره**، ٢٣ / ١٢٥، و**ابن أبي حاتم** وغيرهم من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاء النبيَّ ﷺ .... الحديث، نحوه وليس فيه أوله. وأخرجه أيضًا: البيهقي في **السنن**، ٩ / ١٨٨، وصححه الحاكم، ٢/ ٤٣٢، والواحدي في **أسباب النزول** ص (٤٢٤). وانظر: السيوطي، **الدر المنثور**، ٧/ ١٤٢-١٤٣.

بَيْنَهُمَاۖ فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ
قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص: ٩-١٤].

الفوائد: المقصود من جملة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم أقوياء وأعزاء ومالكي خزائن الله وأنهم يستطيعون أن يفعلوا كل ما يريدونه ويستطيعون أن يأخذوا منك النُّبُوَّة ويُعطونها لمن يشاؤوا. ورد الله عليهم بقوله: كلا إنهم ليسوا سوى أحزاب متفرقة وسيُهزمون كما هُزم من قبلهم من المكذبين.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا
قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٥-١٨].

الفوائد: لما كان رسول الله ﷺ يُبيِّنُ للناسِ نعيم الجنَّة وعذاب النار، كان الكفار يقولون على سبيل الاستهزاء: عجِّلْ لنا نصيبنا من الثواب أو من العذاب في هذه الدُّنْيَا، وكانوا يسخرون بذلك من النبيّ ﷺ، فقال الحق تعالى مقويًا رسوله ومثبتًا له: اصبر واقتدِ بعبدنا داود، فرغم أن داود كان ذا قوة وسلطان، نسبوا إليه كثيرًا من التُّهم الباطلة واستباحوا في حقِّه كثيرًا من الأذى.

والمراد من ﴿ٱلْإِشْرَاقِ﴾ إما وقت الظهر وصلاتها، أو صلاة الصبح وهذا هو الأظهر.

﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةًۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ
﴿٢٠﴾ ۞وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُواْ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ
قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ
إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ
أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ
كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ

ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴿٢٥﴾ [ص: ١٩-٢٥].

الفوائد: تدل الآيات ١٧ حتى ٢٦ على جلالة قدر داود عليه السلام وصفاته الحسنة من الجهات التالية:

١- ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ حيث أُمِر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكره ويقتدي به.

٢- ﴿عَبۡدَنَا﴾ التي تدل على عبوديته لِـلَّهِ.

٣- ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِ﴾ التي تدل على قوته وسطوته الإلهية.

٤- ﴿أَوَّابٌ﴾ التي تدل على رجوعه إلى حكم الله وأمره.

٥- تسخير الجبال له.

٦- تسبيحه في المساء والصباح.

٧- تسبيح الطير معه.

٨- رجوع الكل إليه: ﴿كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾.

٩- تشديد ملكه.

١٠- إعطاؤه ﴿ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾: والمقصود من الحكمة: الكتاب والنُّبُوَّة وأداؤه الأعمال. والمقصود من ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ أن كلامه كان مختصرًا وفصيحًا وبليغًا أو أن كلامه في القضاء كان كلامًا فصلاً يفصل بين الحقّ والباطل.

١١- مقام قربه من الله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

١٢- جعل الخلافة له.

وقد مدحه الحق تعالى في آيات أخرى أيضًا. إذن، في وسط آيات المدح هذه ذكر اللهُ قصةً له فجاء بعض المُفسِّرين وحملها على ذمِّه لارتكابه ذنبًا عظيمًا، وهذا بعيد لأن الحقّ تعالى كان في مقام مدحه في هذه الآيات وأمر بالاقتداء به، فكيف يُمكننا أن نعتبر هذه القصة ذمًّا له؟ ونذكر هنا قصة التخاصم بين يديه على نحو لا يتنافى مع هذه الآيات:

استدل الـمُفسِّرون بجملة: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وجملة: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ وجملة: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ﴾ أن داود ابتُلي بالفتنة والوقوع في الخطيئة ثم استغفر ربَّهُ فغفر الله له ذنبه، ثم اختلفوا حول ماهية ذنبه وخطيئته فأدلى كلٌّ بدَلْوِهِ وقال أمورًا لا تُستفاد من هذه الآيات: فأحد ما ذكروه: أنه رأى حمامةً فوق محرابه فذهب ليأخذها فطارت الحمامة وذهبت إلى منزل أوريا فذهب داود وراءها حتى أشرف على منزل أوريا، فرأى زوجته الجميلة في حال الغُسل فعشقها فأرسل زوجها أوريا إلى حرب الأعداء وأودى به إلى القتل، ثم تزوج من زوجته!! وقال آخر: أن أوريا خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها أيضًا فزوجوها منه وقدَّموه على أوريا لمكان رئاسة داود، فعوتب داود على الحرص على الدنيا!! وقال ثالث: كان من العادات الرائجة في زمن داود أن يُطلِّق الرجل زوجته كي يتزوج منها صديقه، ولذلك لما علم أوريا أن داود يميل إلى زوجته طلَّقها رغم أنه لم يكن عنده غيرها زوجةً، لكي يتزوجها داود رغم أن داود كان لديه ٩٩ زوجة، وتزوجها داود!! وقد استخرج الـمُفسِّرون هذه الأفكار من جملة ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ وقالوا: النعجة كناية عن الـمرأة!!.

ولكن في نظرنا إن ما يُستفاد من هذه الآيات أنه لما كان داود عليه السلام مشغولاً بالقضاء والحكم والرئاسة وما كان ينبغي عليه أن يذهب إلى الـمحراب ليشتغل بالعبادة ويترك حل أمور الناس، فكان يُخصِّص يومًا للعبادة، ويومًا آخر للوعظ ويومًا آخر لأعماله الشخصية، ويختصُّ اليوم الرابع فقط بالنظر في أمور الشعب ومصالح الناس والقضاء بين الـمتخاصمين، حتى وصل الأمر إلى أن يقوم الحُجَّاب من موظفيه بمنع الـمتخاصمين من الـمجيء إليه حتى اضطر الـمتخاصمون إلى تسور جدار الـمحراب كي يصلوا إليه، ولذلك لما دخل الـمتخاصمان إلى الـمعبد بعد أن قفزا من فوق جداره خاف داود منهما وظن أنهما يريدان قتله. فقال الـمتخاصمان: ﴿لَا تُشْطِطْ﴾، وقالوا: إن الشطط معناه الظلم، ولكن هذا غير صحيح في نظرنا لأنه لو كان الـمقصود هو الظلم لقالوا له: لا تظلم، بل الشطط معناه البُعد، يعني لا تبتعد عن الحق وإحقاقه ولا تجتنبه.

ولَمَّا حدثت مثل هذه الحادثة انتبه داود ﷺ أنه حدث شيء غير صحيح وظن أن اللهَ أعطاه الرئاسة ليختبره ويمتحنه، وربما لم يعمل بواجب القاضي، لذلك استغفر ربَّه وتنبَّه، فغفر اللهُ له ذنبه، فهذه الآيات منهاجٌ عمليٌّ يجب على الرؤساء والقضاة أن يعتبروا منه ولا يغفلوا عن الناس ولا ينشغلوا بأمورهم الشخصية أو عباداتهم، لأن حلّ مشاكل الناس أهم وأفضل من أي عبادة أخرى. ولقد استفدنا هذا الذي قلناه من صدر الآيَة وذيلها، **والله أعلم**. أي أن ذنب داود كان ابتعاده عن الناس.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: ٢٦].

الفوائد: ﴿خَلِيفَةٗ﴾معناها (حاكمًا) تخلف من سبقك في الحكم، وليس معناها خليفة الله، ولم يأتِ في الآيَة تعبير: خليفة الله ولا خليفتي! ولو كان المقصود خليفة الله لقال تعالى: يا داود إني جعلتك خليفتي في الأرض، بل المقصود خليفة من مضى من السلاطين والأمم. وعلى كل حال، هذه الآيَة دليل على ما سبق بيانه في الآيات السابقة إذ قال تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي اقضِ بينهم حيث إن القضاء بالعدل أفضل مهمة يقوم بها النبيّ.

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٧-٢٩].

الفوائد: تدلُّ آيات القرآن التي بلغت هذا المبلغ من الجمال، وآيات خلق السماوات والأرض، على أنه لا يُمكن أن توجد هذه الآيات دون تدبير مُدبِّر وتنظيم ناظم عليم، فكل شيء خُلق بمقدار مُعيَّن يتناسب مع سائر المخلوقات في هذا العالَم. وهذا كله يدل على أن خالق العالَم لم يخلقه باطلاً ولا عبثًا بل خلقه لغاية عظيمة وهدف كبير. وقد ذكرت الآيات السابقة

دليلاً آخر بعد ذلك الدليل وهو عدل الله: فلو كان حال المؤمن مساويًا لحال الكافر وحال المُتَّقي مساويًا لحال الفاجر [وكان مصير المظلوم والظالم واحدًا] ولم يكن هناك جزاء ولا عقاب ولا قيامة لكان ذلك مخالفًا لعدل الله فهذا دليل على حتميَّة القيامة.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ٣٣﴾ [ص: ٣٠-٣٣].

الفوائد: يمدح الحقّ تعالى في هذه الآيات سليمانَ عليه السلام. لكنَّ المُفسِّرين كتبوا أشياء كلها ذَمٌّ فيه!

ذكرت التواريخ أن سُليمان جاهد كفَّار دمشق ونُصيبين واستولى على ألف فرس منهم وكان سُليمان يُحبُّ الخيل لأجل الجهاد في سبيل الله، وأمر يومًا أن تُعرض عليه وتسير أمامه وكان من صفات سُليمان الحسنة أنه يُعالج موضوع الخيل بنفسه ويرى أيُّها سمينٌ وأيها ضعيفٌ وأيها سريعٌ، أو كانوا ينظفون جلد الخيل بأمره. وعلى كل حال، كان يمسح بيده على أعناق الخيل وقوائمها حتى سارت مجموعة من الخيل أمامه وعبرت خيامه فأمر بإرجاعها إليه كي يفحصها بنفسه، ومسح بيده على رقاب الخيل وقوائمها. هذا هو الذي يظهر من الآيات الكريمة ويُستفاد منها. لكن بعض المُفسِّرين ذكروا خرافات تقول: إن سُليمان انشغل بالخيل حتى فاتته الصلاة فلكي يُكفِّر عن ذنبه ويُعوِّض الصلاة التي فاتته، أمر بذبح جميع الخيول وقطع رقابها جميعًا[1]، وبعد هذه الجريمة المنكرة (!) قال لِلَّهِ أو للملائكة: أعيدوا إليَّ الشمس، ثم تقول روايتهم: إن اللهَ لما رأى سُليمان قد عمل مثل تلك الأعمال - التي هي لغوٌ وحرام -، كافأه بأن أعاد له

١- الرواية إلى هنا وتفسير ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ بضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هو تفسير منقول عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين. انظر **تفسير الطبري**، ٢٣/ ١٥٦، و**معالم التنزيل** للبغوي، ٧/ ٨٩، و**زاد المسير** لابن الجوزي، ٧ / ١٣١، و**معاني القرآن** للفراء، ٢/ ٤٠٥، و**معاني القرآن** للنحاس، ٦/ ١١٢، و**تفسير القرآن العظيم** لابن كثير، ٤/ ٣٥.

الشمس كي يُؤدِّي صلاته أداءً لا قضاءً! ونحن لا ندري كيف فاتته الصلاة فعاقب الخيول بذبحها وقطع رقابها؟! وليت شعريَ ما ذنب الخيول في ذلك؟ ثم لماذا خاطبَ اللهَ بخطابٍ غير مؤدب فقال: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾؟[1] ولماذا لم يَقُلْ: اللهم؟ ولماذا عقر الحيوانات؟ ويا تُرى إذا انشغل الإنسان بمثل هذه الأعمال حتى فاتته الصلاة فهل يستجيب اللهُ لطلبه ويُطيع رغبته ويُعيد له الشمس؟! والعجيب أن بعض الكُتَّاب الشيعة استدلَّ بهذه الخرافات ليُثْبِتَ ردَّ الشمس لعليّ بن أبي طالب وكتب هذه الأوهام! بل كتب أن أمير المؤمنين عليه السلام فاتته الصلاة فأعاد اللهُ الشمس لأجله. لقد اخترعوا هذه الخرافات وكتبوها باسم تفسير القرآن وتلاعبوا بمعاني آياته واخترعوا معجزاتٍ للإمام لأهدافهم مع أنه لو كان الإمام حيًّا لما رضي بهذه الأمور ولأدَّبهم بشدَّة عليها.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٣٤-٤٠].

الفوائد: لا ينقضي العجب ممن يعتبر الأنبياء معصومين ولكنَّه يذكر في تفسيره لهذه الآيات أمورًا بعيدةً عن العقل من جهة ومخالفةً لظاهر القرآن وعصمة الأنبياء وطهارتهم من جهةٍ أخرى. وإذا رجعنا إلى ما جاء في بعض تفاسير الشيعة مثل: **تفسير نور الثقلين** و**منهج الصادقين** و**البرهان** و**تفسير عليّ بن إبراهيم القُمِّيّ** عن حضرة سُليمان عليه السلام لوجدناهم ينقلون أوهامًا وأحاديث مكذوبة وموضوعة عن الإمام الصادق وسائر الأئمة عليهم السلام!! من ذلك أنهم كتبوا أن اللهَ جعل ملك سُليمان في خاتَمه وسخَّر له الجِنَّ والإنس والشياطين والسباع، فذهب سُليمان مرَّةً إلى بيت الخلاء ليقضي حاجته وأعطى خاتمه لأحد خدمه فجاء شيطانٌ وخدعه وأخذ منه الخاتم فسُخِّرت له جميع الجِنِّ والإنس والطيور والسباع. وعندما خرج سليمان من بيت الخلاء ولم يجد

١- الضمير في ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ عائد على الخيل لا الشمس.

خاتمه هرب وبقي الشيطان الذي سيطر على ملك سُليمان حتى شك بنو إسرائيل في أمر ذلك الشيطان ورجعوا إلى أمّ سُليمان فقالت: لقد كان سُليمان يحسن إليَّ ولكن هذا الشخص عاداني. ورجعوا إلى جواريه وإمائه وتجسسوا عليهنَّ فقلنَ: إن سُليمان لم يكن يأتينا في حالة الحيض ولكن هذا الـملك يُقاربنا الآن في هذه الحالة، فعندما خاف الشيطان أن يُفتضح أمره رمى الخاتم في البحر فأرسل اللهُ عددًا من الأسماك، فبلعت ذلك الخاتم، وذهب سُليمان إلى ساحل البحر وتاب مما قام به لأنه كان قد سمح لنسائه الـمُدلَّلات أن يُمارسنَ عبادة الأصنام في بيته، وبعد أربعين يومًا من توبته اصطاد سُليمان بمُساعدة أحد الصيادين تلك السمكة التي ابتلعت الخاتم وأخذ سُليمان السمكةَ فلما ذهب ليغسلها وشقَّ بطنها وجد خاتمه فوضعه في يده وعاد إليه ملكه والأمور التي سُخِّرت له، فقبض على ذلك الشيطان وأعوانه وحبسهم في جوف صخرة ليظلُّوا محبوسين فيها إلى يوم القيامة، وقالوا: هذا هو الـمقصود من جملة: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ أي أن اللهَ فتن سُليمان وامتحنه وابتلاه وسلَّط على عرشه جسداً أي شيطانًا! تلك كانت بعض الأمور التي أوردها بعض علماء الشيعة في تفاسيرهم(١)، وأما شُعراؤهم فكان بعضهم يُصدِّق هذه الـمطالب ويذكرها في أشعاره، فمنهم حافظ الشيرازي(٢) الذي قال في مدح الأمير تيمورلنك السَّفاك والسَّفاح أنَّ الـمُلك الإلهيّ الذي وقع بيد أهريمن

١- الحقيقة أن نقل هذه القصة حول خاتم سليمان وسرقة الشيطان له ثم رميه في البحر وقصة السمكة .... الخ، ليس مقصورًا على بعض تفاسير الشيعة بل نقلها قبل ذلك معظم مفسري أهل السنة منسوبةً إلى ابن إسحق عن وهب بن منبِّه. فانظرها في أمهات تفاسير أهل السنة مثل: **جامع البيان** للطبري، ٢١/١٩٦-١٩٩، و**الكشف والبيان** للثعلبي النيسابوري، ٨/ ٢٠٢-٢٠٦، و**معالـم التنزيل** للبغوي، ٧/ ٩٠ - ٩٢. و**الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي، ١٥/ ١٩٩-٢٠٢، و**الكشاف** للزمخشري، ٤/ ٩٥-٩٦، و**تفسير القرآن العظيم** لابن كثير، ٧/ ٦٦- ٦٨ ، و**الدر الـمنثور**، للسيوطي، ٧/ ١٧٩ - ١٨٢. وغيرها. وهي من الإسرائيليات التي تطفح بها معظم كتب التفسير للأسف.

٢- في الواقع لم يكن الشاعر الإيراني شمس الدين محمد بن بهاء الدين الـمعروف بحافظ الشيرازي (ت ٧٩١هـ)، شيعيًّا بل كان سُنِّيًّا صوفيًّا كما هو معروف.

(أي الشيطان)[١] استرجعه الأمير تيمورلنك من يد الشَّيطان.

بشِّر خاتم جمشيد (لقب للملك سليمان) بحسن الخاتمة

فقد أبعد اسمُ الله الأعظم عنه الشيطان (وأرجعه إلى يد سليمان)

ولقد أضحت شوكة «أفراسياب» وسيفه الفاتح القاتل

أسطورة مرويةً في «حكايات الملوك» مُرَدَّدَةً في المجالس والمحافل

وقال في غزل آخر: لو وجدت خاتم سُليمان لأصبح مئة مُلْكٍ مثل مُلْكِ سُليمان تحت فصِّ خاتمي وتحت أمري.

وقد رددنا على حافظ هذا الأمر في ديواننا **حافظ شكن** (أي تحطيم حافظ) بعدَّة أبيات بينا فيها أن ملك سليمان لم يكن في خاتمه بل كان هبةً من الله تعالى له، وأنه لا يمكن للشيطان أن يسرق هذا المُلْك الربَّاني. وأن من يقول بمثل ذلك فهو يتصور أوهامًا وتخيُّلات .

وأما معنى الآية وحقيقة الأمر فهي ما يلي: **أولاً**: الشيطان لا يستطيع أن يتشبَّه بالملائكة والأنبياء وإلا لسقطت الثقة بالشرائع، إذ من الممكن أن يقول قائل: لعلَّ الشيطان هو الذي تمثَّل بصورة موسى وعيسى ومحمَّد الذين رآهم الناس، وَمِنْ ثَمَّ تصبح الأديان كلّها باطلة.

وثانيًا: إذا كان الشياطين قادرين على أن يفعلوا ذلك بالأنبياء فينبغي أن يفعلوا ذلك أيضًا بالعلماء والزُّهَّاد ويذهبوا بكل وجودهم.

ثالثًا: كيف يُمكننا أن نُصدِّق أن يُسلِّط اللهُ الحكيمُ الشيطانَ على زوجات سُليمان؟ وكيف يسمح سُليمان لزوجته أن تسجد للصنم؟ ولو صحَّ ذلك –والعياذ بالله- لكان سُليمان كافرًا!! فكيف مدحه اللهُ في هذه الآيات كل هذا المديح؟!.

فعلينا في ترجمة معاني الآيات أن نأتي بالرواية التي رُويت عن رسول الله ﷺ والتي قال فيها: «**قَالَ سُلَيْمَانُ: لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى تِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ: إِنْ شاءَ الله. فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ. فَطَافَ عَلَيْهِنَّ جَمِيعاً فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلاَّ امْرَأَةٌ**

---

١ – أهريمن في التراث الفارسي اسم لإله الشر الذي هو الشيطان.

وَاحِدةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ. (أي أسقطت وليداً ناقصاً) .... الحديث»[١]، فقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ إشارة إلى هذا السقط.

وأما جملة: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ التي حملها بعضهم على الحسد والبخل، فنقول في الردِّ عليهم: لا يليق بالسلاطين ولا بالأنبياء أن تُسخَّر لهم الشياطين أو تُسخَّر الريح والحيوانات والسِّباع لأحد، لأن هذا خلاف المصلحة وخلاف حُرِّية الاختيار ويؤدِّي إلى جعل الشياطين مجبرين، في حين أن اللهَ تعالى جعل الجِنَّ والإنس مختارين، وأن يسعى كل مخلوق مختار إلى الوصول إلى المقام الذي يريده بسعيه لا بتسليط اللهِ لشخص آخر عليه. ولذلك يُمكن القول: إن مُلْكَ سُليمان وسلطانه كان مُلْكًا استثنائيًا ولا يليق بأحد آخر.

أو نقول: أراد أحد الأُمراء في زمن سُليمان أن يقوم بانقلاب عسكريّ وبقرينة: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ انتبه سُليمان إلى أنه لن يُؤتى بابن لائقٍ جديرٍ كي يتصدَّى لزمام الأمور بعده فأراد من الله أن لا يتصدَّى أحدٌ أثناء حياته للمُلْك وأن يفشل الانقلابيون في حركتهم.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: ٤١-٤٤].

الفوائد: قصَّ اللهُ تعالى على رسوله ﷺ قصة سُليمان وداود اللذَيْن كانا صاحبَيْ رئاسة وعظمة وسلطان ونِعمة، وقصَّ عليه قصَّة أيُّوب الذي ابتُلي بمصائب جمَّة ومِحنَةٍ عسيرة، والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار كأن الله تعالى قال: يا محمد اصْبِرْ على سفاهة قومِكَ فإنه ما كان في الدنيا أكثر نعمةً ومالاً وجاهًا أكثر من داودَ وسليمانَ، وما كان أكثر بلاءً ولا محنة من أيوب. فتأمل في أحوالِ هؤلاء لتعرف أنَّ أحوال الدنيا لا تنتظم لأحد وأن العاقل لابدّ له من الصبر على المكاره.

١- رواه الشيخان في **صحيحيهما** والنسائي في **السُّنن** كلهم عن أبي هريرة رفعه.

وكان أيُّوب صهر يعقوب وكان يعيش في نِعمة وافرة وثروة وكان له أولاد راشدون ولكن اللهَ سلب منه ثروته وما عنده من نِعم الله ليمتحنه وبقي ثمانية عشر عامًا أسيرًا للمرض حتى تجنَّبه أصدقاؤه وأقرباؤه، وكانت امرأته «ليا بنت يعقوب» تذهب للعمل في المنازل لتأتيه، ووصل الأمر إلى أن جاءه اثنان من مريديه فلما رواه على تلك الحالة وبَّخاه وقالا: والله لقد أذنبتَ يا أيوب ذنبًا عظيمًا حتى ابتلاك الله بهذا المرض. وبلغ الأمر أنهم منعوا زوجته أيضًا من الدخول إلى بيوتهم للعمل فيها، ولم يعد يستعملها أحد، فاضطرت إلى قطع ضفيرتها وبيعها لتشتري بثمنها الدواء والطعام، وقد صبر أيُّوب حتى سمع توبيخ تلاميذه ورأى زوجته على هذه الحال، عندئذ اشتكى إلى الله تعالى من وسوسة الشيطان ومن ملامة الناس (وقال أيوب عندئذٍ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]). عندئذٍ هيَّأ الله له أسباب السلامة والصحة، وأمره أن يضرب الأرض برجله وكانت الأرض أرضًا قاحلةً مالحةً، فانفجرت منها عينٌ فاغتسل وشُفِيَ من مرضه، وشرب من ذلك الماء فزال عنه ذلك المرض كُلِّيًّا وأعطاه اللهُ ضعف ما كان له من مال وأولاد، ولما كان قد أقسم أن يجلد امرأته مئة جلدة لكلام قالته، ولكنه لما وجدها امرأةً صابرةً وغير مُذنبة جاءه الخطاب من الله تعالى بأن اضرب زوجتك ولا تحنث بيمينك ولكن ليكن ذلك بحزمة من أغصان الريحان التي لا تُحدث بها ضررًا أو أذًى. وعلى كل حال، لقد مدح اللهُ عزّ وجلّ حضرة أيوب عليه السلام لصبره. واختلفوا في ما عملته زوجته حتى أقسم أن يضربها فقال بعضهم: إنها قالت لأيوب: لعلَّك إذا طلبتَ شفاءك من غير الله أو أظهرت ألمك لغير الله جاءك الفَرَج! لذا أقسم أن يضربها مئة جلدة. ومن المناسب هنا أن ننقل حديثًا رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا أَرَادَ الله بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لهُ العُقُوبَةَ في الدُّنْيا وَإذا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ**»[1].

١- البغوي، **معالم التنزيل**، ١/ ٣٥٥. وأخرجه الترمذي، في **السنن**، كتاب الزهد (٢٥٠٧) وقال: هذا حديث حسن غريب. والحاكم في **المستدرك** (٤/ ٦٥١، رقم ٨٧٩٩)، وسكت عنه الذهبي. ورواه الطبراني في **الكبير** وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف، كما في **مجمع الزوائد** للهيثمي، ١٠/ ١٩١-١٩٢.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ [ص: ٤٥-٤٨].

الفوائد: مضت قصَّة إسماعيل وأحواله في سور متعدِّدة.

وأما قصة اليسع فقد جاء ذكرها في الآية ٨٦ من سورة الأنعام، وقد جاء في التاريخ أنه كان هناك نبيٌّ من بني إسرائيل اسمه «**إلياس**» فدعا قومه كثيرًا إلا أنهم أبوا إلا أن يكفروا به، فدعا عليهم وقال: «اللهم فأمسك عليهم المطر»، فحبس اللهُ عنهم المطر ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والهوام والدواب والشجر وجَهِدَ الناس جَهْدًا شديدًا. [وكان إلياس فيما يذكرون حين دعا بذلك على قومه، استخفى شفقًا على نفسه منهم، وكان حيث ما كان وُضع له رزق] وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان فطلبوه، ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرًّا. ثم إنه أوى ليلةً إلى امرأة من بني إسرائيل كان لها ابنٌ يُقال له «اليسع» به ضُرٌّ (أي مرض)، فآوته وأخفت أمره، فدعا إلياس لابنها، فعُوفي من الضُّرِّ الذي كان به، وآمن اليسع بإلياس واتَّبعه، ولما بلغ إلياس سنَّ الشيخوخة وأصبح اليسع شابًّا أكرمه اللهُ بالنُّبُوَّة[١].

وأما ذو الكفل فقال أهلُ التاريخ: إنَّه كان ابن حضرة أيُّوب وكان اسمه بِشر وقد نال النُّبُوَّة بعد حضرة أيُّوب وتكفَّل لأيُّوب أن يؤدِّي بعض العبادات ولذا أُطلق عليه اسم ذو الكِفل، وقد ورد اسمهُ في الآية ٨٥ من سورة الأنْبياء.

﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٤٩-٥٤].

الفوائد: في عبارة: ﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ﴾ يُمكن أن تكون كلمة الذكر لتَذَكُّر محمَّد يعني: أن ذكر الأَنْبياء السابقين هو لأجل أن تصبر أيها الرسول على سفاهة قومك. وقد يكون المقصود من

١- انظر الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ٢١/ ٩٨.

الذكر الشرف الجميل للأنبياء الذين خلَّد اللهُ ذِكرهم في الكتاب الإلهيّ، ومن الـممكن أن يكون الأمر من باب التبويب يعني: هذا القرآن وفصل منه، كما هو الـمقصود من كلمة «**هَذَا**» التي جاءت للطاغين كفصل آخر، كما هي قاعدة الـمُصنِّفين والكُتَّاب الذين يُفصِّلون كلامهم بابًا بعد باب.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ۝٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوۡجٌ مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ۝٦٠ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ۝٦١﴾ [ص: ٥٥-٦١].

الفوائد: يُقال: ﴿فَوۡجٌ مُّقۡتَحِمٌ﴾ لمجموعة من الأفراد الذين يهجمون دون تأمُّل ودون تفكير على أمر ما، كحال أكثر الناس الذين يُقبلون على الخرافات والكفر والشرك دون أن يتفكَّروا في ذلك، وهذه الآيات تدلُّ على ذمِّ التقليد، لأن الحقّ تعالى ذمَّ في قوله: ﴿فَوۡجٌ مُّقۡتَحِمٌ مَّعَكُمۡ﴾ الذين يقتحمون النار مع الـمُعاندين وبرفقتهم، وقد لعنهم بقوله: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ﴾ وهكذا سيدعو الأتباع على الرؤساء والزعماء الذين أضلُّوهم وحثُّوهم على الضلال فيقولون: ﴿لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡ﴾.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ۝٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ۝٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ۝٦٤ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ۝٦٦﴾ [ص: ٦٢-٦٦].

الفوائد: يُستفاد من هذه الآيات أن كثيرًا من الأشخاص الذين يُسيءُ كثيرٌ من الناس الظنّ بهم في الدُّنْيَا ويعتبرونهم من الأشرار هم في الواقع مُقرَّبون من الله ومن أهل الحقّ.

وجملة: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ...﴾ إشارة إلى ذلك الحوار الذي سبق ذكره الذي يدور بين الرؤساء وأتباعهم حين يردُّ الأتباع على سادتهم بقولهم: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ﴾ الذي يُبيِّن أن أهل

النار يُخاصمون بعضهم بعضًا ويتنازعون في ذلك العذاب بعضهم مع بعض. والاستفهام في جملة: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ استفهام تعجُّب وتوبيخ.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمِۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٦٧-٧٢].

الفوائد: ضمير ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ يعود على ما ذُكر من التوحيد وخبر القيامة.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ﴾ جماعة الـملائكة الذين لهم مقام أعلى. وَالـمَقْصود مِن تخاصمهم ذلك السؤال والجواب الذي كان بينهم وبين الله عندما قالوا له: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ....﴾ [البقرة: ٣٠]، وقد أُطلق على هذا السؤال والجواب اسم الـمُخَاصَمَة مجازًا لأن السؤال والجواب يُشبهان الـمُخاصمة، ولم يكن لرسول الله ﷺ علمٌ بذلك دون الوحي الإلهيّ كما لم يقرأ كتابًا حتى يعرف ذلك التخاصم، وهذا دليلٌ على أن إخباره هو من وحي الله وخبرٌ مُهِمٌّ ولا يجوز للناس أن يُعرضوا عنه، وإعراضهم ناجم عن جهلهم.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [ص: ٧٣-٨١].

الفوائد: قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي بقدرتي الكاملة[1].

١- تأويل صفات الله الواحد الأحد هو من جملة الـموارد التي سعى بعض الناس إلى إدخال عقولهم في ميدان هو خارج حدود العقل. لقد خلق الله تعالى عقل الإنسان لأجل هذه الدُّنْيَا الـمحدودة وأمره أن يؤمن بالغيب كما

جاء في القرآن وعلى لسان النبيّ ﷺ، لأن الغيب أوسع من دائرة العقل، والإيمان بالغيب هو الذي يُفرّق بين الإنسان وسائر البهائم، وهو شرف التقوى: ﴿الٓمٓ . ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ . ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ١ - ٣].

كان النبيّ الأكرم ﷺ وأصحابه والأمة الإسلامية جميعها في صدر الإسلام يقرؤون آيات أسماء الله وصفاته كما قالها تعالى ويؤمنون بها، إلى أن ظهر الجَهْمِيَّةُ وآخرون من أتباع العقل الذين أرادوا أن يجعلوا من عقلهم القاصر معيارًا لعالَم الغيب فقالوا: كيف نقول إن لِلَّهِ يدًا ؟؟! أو نقول إن لِلَّهِ وجهًا ؟! إنهم أرادوا أن يَزِنُوا صفات اللهَ تعالى بمفهومهم العقلي الذي يدور في أذهانهم لليد والوجه فوقعوا في ميادين التشبيه والتمثيل والتعطيل، فهنا قالوا: إن يد الله هي قدرته وبدؤوا بالتفسير المجازي للكلمات الواضحة تمامًا والتي لا تحتاج إلى ترجمة مجازية.

إن هذا المذهب وليد الاتجاه العقلي الذي شاع في زمن التفلسف الذي بدأ به المُبتدعون واستطاع مع الأسف أن يؤثر في كثير من المُتكلِّمين ويوقعهم في الخطأ. وعلى كل حال، بقيت دائرة هذا المذهب محدودةً حتى يومنا هذا. وللأسف فإن المؤلف المحترم ترجم الآيات المُتعلِّقة بالصفات على هذا الأساس تأثرًا بمذهبه البدعي السابق. وما نعتقد صحته هو عقيدة أصحاب رسول الله ﷺ وعقيدة علماء الإسلام منذ اليوم الأول الذين قالوا: نؤمن بما أثبته الله لنفسه من صفات ولا نبحث في ماهيتها وكيفيتها، لأن ذلك خارج عن حدود عقلنا البشريّ، فلمّا كنّا لم نرَ اللهَ وكان عقلُنا غير قادر على تصور ذاته فكيف نستدعي له يدًا ووجهًا في ذهننا؟!

إذن نقول: إن لِلَّهِ يدًا ووجهًا ونفسًا كما ذكر لنفسه وكما يليق بجماله وجلاله وهي خارجة عن تصورنا. يقول تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ويقول أيضًا: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧]، ويقول: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]، ويقول: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، ويقول: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ﴾ [المائدة: ١١٦]، ويقول: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، ويقول: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ [طه: ٤١]، ويقول: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وجاء في حديث الشفاعة أن الناس عندما يأتون إلى آدم يقولون: «أنت الذي خلقك الله بيده». (صحيح البخاري ٤/ ٤٥٤-٤٦٤، ومسند أحمد ٣/ ١١٦).

ومن الخطأ تمامًا أن نُفسِّر «اليد» هنا بمعنى القدرة، لأن اليد جاءت في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾، مُثنَّاة يعني يداي فكيف يُمكن أن نقول (قدرتاي)؟!!.

ولو كان هذا التأويل صحيحًا لقال الشيطان: إن الله خلقني أيضًا بقدرته! فلا فضل لآدم عليّ أبدًا! ويبدو أن

المراد من عبارة ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ ملائكة الأرض، وَالمَقْصود مِن السجدة أداء الاحترام والتواضع لآدم بأن يكونوا حُراسًا له ويقضوا حوائجه بأمر الله. وقال الشيطان: أنا أفضل من آدم لأنه نظر إلى جسد آدم فقط، ولكنه لو لاحظ الروح الإنسانية التي نفخها اللهُ فيه من عالَم القدس الإلهيّ لما قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ وَالمَقْصود مِنْ: ﴿ٱلْمَعْلُومِ﴾ المعلوم عند الله.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ [ص: ٨٣-٨٨].

الفوائد: قُرِئت جملة: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾ برفع كلمة فالحقّ ونصب كلمة الحقّ، بِناءً عَلى ذَلِكَ، الحقُّ الأولى المرفوعة يجب أن تكون مبتدأ وتحتاج إلى خبر مُقدَّر فخبرها إما كلمة «**أنا**» -كما ذكرنا في ترجمة الآيات- أو كلمة «قسمي» أي قسمي هو الحقّ.

وقوله: ﴿ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ يُقال: المُتكلِّف لمن يُوقع نفسَه في المشقَّة والتعب، والمراد هنا أنني لم أدَّعِ الرسالة، ولا أدَّعي هذا التكليف. وفسَّر بعضهم المُتكلِّف -خلافًا للظاهر- بمعنى المُكلِّف، أي لست من الذين أتوكم بالمشقَّة والعناء، أي أن الإسلام الذي أتيتكم به دينٌ سهلٌ مُيسَّر وليس هدفي أن أُوقعكم في الحرج والمشقَّة.

الشيطان رغم كل كفره وضلاله كان يعرف الله أفضل من الجَهْمِيّة! والحاصل أنه لا يجوز أن نحمل صفات الله على معانٍ مجازية أو نُؤوِّلها، بل يجب أن نقبل ما قاله الله عن نفسه أو ما أوضحه لنا نبيّهُ ﷺ كما جاء دون تصور للكيفية ودون تحديد للحدود والجهات والمسافات والوصف، وهذه هي عقيدة الصحابة تلاميذ رسول الله ﷺ وأتباعهم إلى يوم القيامة. [المُصحح].

سورة الزمر

مكيَّة وهي خمس وسبعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزمر: ١-٣].

الفوائد: يعود ضمير الجمع في ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ﴾ على الأولياء الذين كان الناس يعبدونهم، وكانوا من العقلاء لأن ضمير الجمع ﴿هُمۡ﴾ خاصٌّ بجمع العقلاء. وكان هؤلاء العقلاء إما من الأَنْبياء أو الأولياء أو الـملائكة، الذين كان الـمُشْرِكُون يتوجَّهون إليهم لطلب حوائجهم منهم ويخضعون لهم في عباداتهم باعتبار أنهم قريبون من الله، وكان الـمُشْرِكُون يقولون: نحن لسنا أهلاً أن نخاطب الله وندعوه مباشرةً أو نطلب منه شيئًا دون واسطة أو نعبده، وكانوا يعتبرون أولئك الأولياء أو الـملائكة أو الأَنْبياء وُسطاء بينهم وبين الله يُقرِّبونهم من الله. ومع الأسف لا يزال كثيرٌ من الـمسلمين بعد ألف وأربعمئة سنة من نزول هذه الآيات جاهلين بها ومعتقدين بمثل هذا الشرك والتوسل بالوُسطاء.

﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى

ٱلَّيۡلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر: ٤-٥].

الفوائد: استدلَّ الحقّ تعالى في الآية ٤ على أنه مُنزَّهٌ من أن يتَّخذ ولدًا بدليل أنه واحدٌ قهَّار. وهذا الدليل دليلٌ في غاية القوة والاستحكام لأن من يكون له ولد يكون فيه وجهٌ للتمايز عن ابنه ووجهٌ يشترك فيه مع ابنه وَمِنْ ثَمَّ سيكون مُركَّبًا وذا أجزاء وليس واحدًا بسيطًا، كما أنه سيكون محتاجًا لهذا الولد وسيكون قابلاً للموت والفناء وبالتالي لن يكون قهَّارًا.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٦-٧].

الفوائد: كلمة ﴿ثُمَّ﴾ في جملة: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا﴾ للتراخي ولكنها ليست للتراخي الزمني بل لتراخي أحد الكلامين وتأخره أو التراخي عن الجملة المُقدَّرة: «خلقها وحدها ثم جعل منها زوجها». وهذه الجملة المُقدَّرة مُستفادة من كلمة: ﴿وَٰحِدَةٖ﴾.

والمقصود من ﴿خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ﴾ ما ذكره اللهُ في ترتيب خلق الإنسان حين قال في سورة «المؤمنون»: ﴿خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ....﴾ [المؤمنون: ١٤].

والمقصود من النزول في جملة: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ﴾ نزول القضاء والقدر في إيجادها أو النزول بمعنى العطاء من مقام الخالق أي التخلُّق. وذلك كقوله تعالى: ﴿أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا﴾ [الأعراف: ٢٦]. وجملة: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ تدلُّ على التخصيص (بسبب تقديم الخبر على المبتدأ) أي أن مُلْك جميع الكائنات والسلطان عليها خاصٌّ بالله تعالى وَمِنْ ثَمَّ فلا إله إلا هو.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٨-٩].

الفوائد: كان الـمُشْرِكُون يعلمون أن القادر على إزالة الضرر ورفع البلاء عنهم هو اللهُ ربُّ العالـمين، ولكنهم كانوا في أوقات النِّعمة يغفلون عن هذا الأمر ولا ينسونه نسيانًا حقيقيًا لأن النسيان الحقيقي لا مذمة عليه، فالـمراد من النسيان في الآية النسيان الـمجازيّ يعني: أنهم يغفلون عن الله كشأن من ينساه حقيقةً فيدعون غير الله. وللأسف فإن أهل زماننا أسوأ من أولئك الـمُشْرِكين لأنهم يدعون غير الله في حال الضرر والبلاء وفي حال النِّعمة والهناء كليهما، رغم امتلاكهم مثل هذا القرآن الـمُرشد الهادي.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر: ١٠-١٣].

الفوائد: التكليف قسمان: دَرْءُ الـمفاسد وجلب الـمنافع، وهو بعبارة أخرى: ترك الـمناهي وفعل الواجبات، أي التخلية والتحلية، ولذلك أمر في هذه الآيات أولاً بالتقوى ثم أمر بالإحسان والعفاف وطهارة النَّفْس والعبادة.

ويُمكن أن يتعلَّق الجار والـمجرور في جملة: ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا﴾ بفعل: ﴿أَحْسَنُواْ﴾ ، وهذا هو الظاهر، وعليه يكون الـمعنى: لمن أحسن في هذه الدُّنْيا ﴿حَسَنَةٌ﴾ أي أجرٌ مُهمٌّ في الآخرة. ويدلُّ التنوين في كلمة: ﴿حَسَنَةٌ﴾ على عظمة الأجر. ومن الـممكن أن يتعلَّق الجار والـمجرور بكلمة: ﴿حَسَنَةٌ﴾ فيكون الـمعنى عندئذٍ: لمن أحسن أجرٌ حسنٌ في هذه الدُّنْيا كالصحة والعافية

والأمن. قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة ليس لها نهاية: الأمن والصحة والكفاية**»[١].

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أن رسول الله ﷺ، وسائر المسلمين من باب أولى، مأمورون أن يُسَمُّوا أنفسَهم بالمسلمين فقط، وأن يُسلِّموا أنفسَهم لأمر الله، أي يستسلموا لأمره، وَمِنْ ثَمَّ فلا يجوز أن يُطلقوا على أنفسهم اسم الشيعيّ أو السنيّ.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ على إمكان العصيان –[فرضًا]– من رسول الله ﷺ وأن رسول الله ﷺ أُمِر بأن يُعلن ذلك، فالذين اعتبروا أولاده معصومين جانبهم الصواب وأخطؤوا! لأنهم لا يُمكن أن يكونوا معصومين من باب أولى بدليل هذه الآية، وهم أنفسهم لم يدَّعوا العصمة لأنفسهم، بل نجد أنهم في كلماتهم وأدعيتهم كانوا يعتبرون أنفسَهم دائمًا مُذنبين كي لا يغلُوَ الناسُ في حقِّهم، ونذكر هنا نماذج من كلماتهم في أدعيتهم لأنها متاحة في متناول عامة الناس:

من كلمات حضرة السجَّاد عليه السلام في صحيفته السجَّادية في الأدعية ١٦ و٢١ و٤٧:

«**أَنَا الَّذِي أَقْدَمَ عَلَيْكَ مُجْتَرِئًا. أَنَا الَّذِي عَصَاكَ مُتَعَمِّدًا...**

بَلْ أَنَا، يَا إِلَهِي، أَكْثَرُ ذُنُوبًا، وَأَقْبَحُ آثَارًا، وَأَشْنَعُ أَفْعَالاً، وَأَشَدُّ فِي الْبَاطِلِ تَهَوُّرًا، وَأَضْعَفُ عِنْدَ طَاعَتِكَ تَيَقُّظًا، وَأَقَلُّ لِوَعِيدِكَ انْتِبَاهًا وَارْتِقَابًا مِنْ أَنْ أُحْصِيَ لَكَ عُيُوبِي، أَوْ أَقْدِرَ عَلَى ذِكْرِ ذُنُوبِي...

أَنَا الَّذِي أَفْنَتِ الذُّنُوبُ عُمُرَهُ، وَأَنَا الَّذِي بِجَهْلِهِ عَصَاكَ...

أَفْرَدَتْنِي الْخَطَايَا فَلَا صَاحِبَ مَعِي، وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكَ فَلَا مُؤَيِّدَ لِي... ».

وقال حضرة عليّ عليه السلام في الصحيفة العلوية: في دعاء اليوم الثالث من الشهر، وفي دعاء كُميل بن زياد، وفي دعاء الصباح وفي عدد من الأدعية الأخرى:

«**اللهم اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتِي تُنْزِلُ الْبَلَاءَ...**

وَلا تَفْضَحْني بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرّى، وَلا تُعاجِلْني بِالْعُقُوبَةِ عَلى ما عَمِلْتُهُ في خَلَواتِي مِنْ سُوءِ فِعْلِي وَإِساءَتي وَدَوامِ تَفْريطي وَجَهالَتي وَكَثْرَةِ شَهَواتي وَغَفْلَتي...

---

١ – لم أجد لهذا الحديث أصلاً.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي وَجِدِّي وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي...

أَبَيْتُ إِلَّا تَقَحُّمًا عَلَى مَعَاصِيكَ وَانْتِهَاكًا لِحُرُمَاتِكَ وَتَعَدِّيًا لِحُدُودِكَ...

الحمد لِلَّهِ الذي ستر عورتي وَلَمْ يفضحني بين الناس...

فَبِئْسَ الْـمَطِيَّةُ الَّتِي امْتَطَتْ نَفْسِي مِنْ هَوَاها...

وَمَعْصِيَتِي كَثِيرَةٌ وَلِسَانِي مُقِرٌّ بِالذُّنُوب...

أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَحُولَ خَطَايَايَ وَظُلْمِي أَوْ إِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي وَاتِّبَاعِ هَوَايَ وَاسْتِعْمَالِ شَهْوَتِي دُونَ رَحْمَتِكَ وَبِرِّك...

إِلَهِي سَتَرْتَ عَلَيَّ فِي الدُّنْيَا ذُنُوبًا وَلَمْ تُظْهِرْهَا وَأَنَا إِلَى سَتْرِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْوَجُ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ بِي إِذْ لَمْ تُظْهِرْهَا لِلْعِصَابَةِ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ، فَلَا تَفْضَحْنِي بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْعَالَـمِين...

وَاسْتُرْ عَلَيَّ ذُنُوبِي...

إِلَهِي لَوْلَا مَا قَرَفْتُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا فَرِقْتُ عِقَابَكَ...

إِلَهِي أَلْقَتْنِي الْـحَسَنَاتُ بَيْنَ جُودِكَ وَكَرَمِكَ وَأَلْقَتْنِي السَّيِّئَاتُ بَيْنَ عَفْوِكَ وَمَغْفِرَتِكَ وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ لَا يُضَيَّعَ بَيْنَ ذَيْنِ وَذَيْنِ مُسِيءٌ وَمُحْسِن...

قَدْ أَصَبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ مَا قَدْ عَرَفْتَ وَأَسْرَفْتُ عَلَى نَفْسِي بِمَا قَدْ عَلِمْتَ...

أَوْقَرَتْنِي نِعَمًا وَأَوْقَرْتُ نَفْسِي ذُنُوبًا...

وَأَذْكُرُ لَكَ حَاجَتِي وَأَشْكُو إِلَيْكَ فَاقَتِي وَمَسْكَنَتِي وَمَيْلَ نَفْسِي وَقَسْوَةَ قَلْبِي وَضَعْفَ عَمَلِي...

وَحَاجَتِي إِلَيْكَ الْعِتْقُ مِنَ النَّار... ».

يقول بعض الناس: إن الأئمة عليهم السلام إنما أقرُّوا في أدعيتهم بالذنوب ليُعلِّموا الآخرين الدعاء فحسب لا لكونهم مُذنبين فعلاً لأنهم كانوا معصومين!!

والجواب: **أولاً**: هذا الادِّعاء لا دليل عليه وَمِنْ ثَمَّ فهو غير صحيح.

وثانيًا: لقد تكرَّر في أدعيتهم قولهم: اللهم لا أدعو غيرك ولا أتوسل بسواك ولا شفيع لي إلا أنت، فطبقًا لكلامكم، يجب على الناس أن لا يدعوا غير الله ولا يتوسلوا بسواه ولا يتوجهوا إلى

غيره ولا يتصوروا لأنفسهم كل أولئك الشفعاء.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ١٦﴾ [الزمر: ١٤-١٦].

الفوائد: الأمر في جملة: ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ﴾ أمرٌ توبيخيٌّ.

وَالـمَقْصود مِن ﴿ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أنه كان لكل فرد من أفراد البشر منزل في الجنَّة أو كان له خدم وحشم من ناحية الإمكان، فإذا صار إلى النار فَقَدَ كل تلك الـمنازل وأخذها بدلاً منه الـمسلمون فخسر كل تلك الأمور وكان خسرانه خسرانًا مُبينًا.

وتدلُّ كلمة: ﴿أَلَا﴾ على نهاية الخسران، لأن الكافر أو الظالـم لم يستفد من عقله وذكائه وحواسه وأعضائه وجوارحه وضيَّع ما أعطاه اللهُ من إمكانات، بل اشترى بها الوِزر والوبال والعذاب.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

الفوائد: كلمة ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ مشتقة من مادة الطُّغيان وهي على وزن فَعَلُوت أو فَلَعوت، ويُطلق على كل معبود أو مُطاع غير الله، أي أن الذين يجعلون من أنفسهم مُطاعين ومعبودين قد طغوا وصاروا طواغيت. وفي لفظ الطاغوت ثلاثة أشياء تدل على شدة الطُّغيان والعُلوّ:

١- هذا اللفظ مصدرٌ، فكأن الطاغي هو الطغيان عينه.

٢- أن البناء بناء مبالغة مثل الرحموت التي تدل على صاحب الرحمة الواسعة، والـملكوت

الذي يدل على الـمُلْك الـمبسوط[1].

٣- قلب اللام عينًا (أو تقديم اللام على العين) أي بدلاً من فَعَلوت صارت الكلمة فلعوت.

ومثل هذا إنما يُصار إليه عند الـمُبالغة.

فكلمة الطاغوت إذن تُطلق على من كان طُغيانه شديدًا ومذمومًا بشدة.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ هذه الآية أن البِشارات بالخير والسعادة في الدُّنْيَا والآخرة خاصةٌ كلها بمن كان دينهم دينًا تحقيقيًا لا تقليديًا، وكانوا يُحقِّقون في كل ما يسمعونه من كلام، ويقارنون كل كلام بكلام آخر ثم يتَّبعون الكلام الأحسن والأفضل. **اللهم اجعلنا منهم**. ولكن الأمر انعكس في زماننا فصارت الهداية تُطلق على الذين لا علم لهم بأي خبر ولم يُقارنوا بين مذهبهم والـمذاهب الأخرى، وإن قام شخصٌ بكتابة كتاب لهدايتهم وإيقاظهم من غفلتهم منعه الـمسترزقون بالدين وحرَّموا على الناس قراءة كتابه، وحفظوا الناس في الضلال والخرافات.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ٢٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٢١﴾ [الزمر: ١٩-٢١].

الفوائد: الـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ أنه إذا حُكم على شخص يوم القيامة بالعذاب، فلا يستطيع أحدٌ أن يُدافع عنه أو يشفع له حتى خاتم الأَنْبياء لا يُمكنه أن يُنقذهم من العذاب، كما تفيده جملة: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾؟ لأن الهمزة في كلمة ﴿أَفَأَنتَ﴾ للإنكار، وقد أُكِّدَ ذلك بواسطة الاستفهام بكلمة ﴿أَفَمَنْ﴾ وبتكرار الفاء في كلٍّ من الجملتين: أي بكل تأكيد أنت لا تستطيع أن تُنقذه. فالذين يخترعون الشفعاء للناس

١- في الأصل قال الـمؤلف: إن الـملكوت يُطلق على صاحب الـمُلْك الـمبسوط. وهو سهوٌ منه لأنه يُطلق على الـمُلْك الـمبسوط لا على صاحبه. وقد صحَّحتُ ذلك في الـمتن.

ويأخذون في مقابل ذلك المال منهم عليهم، أن يُؤمنوا بمثل هذه الآيات ويتوبوا من عملهم.

وَالذي يُسْتَفَادُ مِنْ آيات القرآن أنه لا وجود في يوم القيامة لتلك الشفاعة التي يتحدثون عنها، بل المقصود من الشفاعة في القرآن إبلاغ رحمة الله بواسطة الأَنْبياء والأولياء العظام لمن رضي اللهُ عنهم. ولا يُستفاد من آيات القرآن أي معنى للشفاعة إلا هذا. وإن اعتبرنا أن المقصود من الشفاعة استغفار المؤمنين بعضهم لبعض، كما ذهب إليه بعض المُحقِّقين، فعندئذٍ يُقال: إن استغفار الملائكة والأولياء في الدُّنْيَا للمؤمنين الصادقين سينفعهم في الآخرة، ومن ذلك ما رواه عليّ بن إبراهيم القمي (أستاذ الكُلَيْنِيّ) في تفسيره ذيل تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلا تَنْفَعُ الشَّفاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...﴾ بسنده عن الإمام عليه السلام أنه قال: «قال لا يشفع أحدٌ من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **فإن الله قد أذن له** صلى الله عليه وآله وسلم **في الشفاعة من قبل يوم القيامة...** »[١]. ورُوي أيضًا عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**لا يَمُوتُ أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ فيُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِن النَّاسِ يَبْلُغُونَ أَنْ يَكُونُوا مِائَةً إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ**»[٢]. ورُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا قوله: «**مَا مِنْ أَرْبَعِينَ مِنْ مُؤْمِنٍ يَشْفَعُونَ لِمُؤْمِنٍ إِلَّا شَفَّعَهُم اللهُ فِيْهِ**»[٣].

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣].

الفوائد: كل من كان طالبًا بصدق لحقائق الدين وللأنوار الإلـهية نوَّر الله قلبه، وشرح

١- علي بن إبراهيم القمي، **تفسير القمي**، ط٣، قم: مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤ هـ، ج٢/ ص٢٠٢.

٢- أخرج معناه بلفظ قريب: مسلم في **الصحيح**، كتاب الجنائز/ باب من صلى عليه مائة شُفِّعوا فيه، والنسائي في **السنن**، كتاب الجنائز/ باب فضل من صلى عليه مائة.

٣- **سنن ابن ماجه**، كتاب ما جاء في الجنائز، باب فيمن صلى عليه جماعة. وأخرج معناه بلفظ مقارب: أحمد في **المسند**، ٦/ ٣٣١ و٣٣٤.

صدره لقبول الحق. وقد اعتبر الله تعالى في الآية ٢٣ من هذه السورة القرآنَ: أحسنَ الحديث، وقال حضرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام – مستفيدًا من هذه الآية – في الخطبة ١٠٩ من نهج البلاغة: «**تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ**».

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ أن مطالب القرآن مثنى مثنى: وعدٌ ووعيد، أمرٌ ونهي، بيان الكفر والإيمان، وهكذا.

أما معنى كون القرآن ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ فقد مرَّ معنا بالتفصيل في مقدمة هذا الكتاب، فليُراجَعْ ثَمَّة.

وَالمُرَاد مِنْ: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ....﴾ أن العباد الخائفين من الله ترتجف جلودهم من سماع آيات القرآن ثم تطمئنّ قلوبهم تدريجيًا لتذكرهم رحمة الله.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ أن اللهَ يهدي الناس بالقرآن لا بغيره.

﴿أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الزمر: ٢٤-٢٦].

الفوائد: لما كان ملائكة العذاب يَغُلُّون أيدي الظّالمين بالأغلال والسَّلاسل كانوا يضطرُّون إلى دفع العذاب عن أنفسهم بوجوههم، وفي الحقيقة معنى ﴿يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أنهم لا يستطيعون دفع العذاب عن أنفسهم.

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أن كل قومٍ من الماضين ممن عصى الله ابتُلوا بالذلّ في الدُّنْيَا أي بالقتل والجِزية والأسر وتسلُّط الاستعمار عليهم.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ

مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر: ٢٧-٣١].

الفوائد: ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي من الأمثلة التي تتعلَّق بهداية العباد. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أنه ليس في مطالب القرآن أي انحراف وليس في ألفاظه وعباراته أي التواء وألغاز وصعوبات.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾ أن الـمشرك مثله كمثل العبد الذي له عدة أرباب وكل سيِّدٍ يُريد منه أمرًا غير الآخر فهو في حيرة من أمره لا يدري أي سيِّد يُطيع، أما الـمُوحِّد فهو ليس حائرًا لأنه ليس له مولًى إلا واحد وهو الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ٣٢ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٤ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٣٥﴾ [الزمر: ٣٢-٣٥].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ: ﴿مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ مُدَّعو النبُوَّة الكَذَبة وأهل البِدعة في الدين والخُطباء والـمُتكلِّمون الذين يقولون أمورًا مضادَّة للقرآن، وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ﴾ الأشخاص الذين يُكذِّبون بالقرآن وبدعوة الأنْبياء. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ محمد ﷺ، وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾: عليٌّ عليه السلام وأبو بكر، بل كل من صدَّق بدعوة القرآن. يقولون: إن أول من أسلم وصدَّق برسول الله ﷺ من الأطفال عليّ عليه السلام، ولكن أول من أسلم وصدَّق برسول الله ﷺ من الرجال أبو بكر. واعتبر بعض الـمُتعصِّبين أن هذه الآية رقم ٣٣ نزلت في عليٍّ ولكنهم غفلوا عن أن الآية رقم ٣٥ تردُّ قولهم هذا.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ٣٧ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨].

الفوائد: الاستفهام في جملة: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ وتوبيخيّ وهذه الجملة في مقام إثبات كفاية الخالق لعباده واستخدام الجملة الإنشائيَّة لبيان هذا الـمعنى أكثر وضوحًا ودلالةً وتأكيدًا من استخدام الجملة الخبريّة. ورغم ذلك لا زلنا نجد بعد ألف وأربعمئة سنة من نزول القرآن بعض الـمشْرِكين في زماننا يُنادون نبيّ الإسلام ويقولون له: أنت كافٍ لنا، ويقولون في أدعية موضوعة: «**يا محمد يا عليّ اكفياني فإنكما كافياني!**»!! فإذا أراد شخصٌ أن يهديهم ويُنقذهم اعتبروه عدوًا للإسلام والقرآن، فينبغي أن نقول في حقّ أمثال هؤلاء: «**مثل الذين حُمِّلوا القرآن ثم لم يحملوه كمثل الحمار**»!.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٣٩-٤٢].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أن كل إنسان يجب أن يعمل بقدر تمكنه واستطاعته واللهُ لم يُرد من العبد أكثر من وُسعه واستطاعته. وإذا كان الخطاب في الآية مُوجَّهًا إلى الكفار والـمشركين فقط كانت الآية تهديدًا لهم مثلها مثل قوله تعالى في سورة فُصِّلت: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وتدل كلمة: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أن القرآن نزل لعامة الناس، وأنه يجب على جميع الناس أن يبتغوا الهداية منه. وقال عليٌّ عليه السلام في دعائه في معركة صفين قبل رفع الـمصاحف: «**وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَني .... وَتَمَسُّكًا بِكِتَابِك...**»[1]. وقال في الدعاء اليمانيّ: «**شرِّفني بحفظ كتابك**»، وقال في

١- الـمجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٩١/ ص ٢٣٩.

مناجاته في الصحيفة العلوية: «**وأَصْحِبْني الجِنَان وأسْكِنِّي الجِنَان**»، وكان ذلك الإمام عليه السلام يُقِرُّ أن هدايته إنما هي ببركة الإسلام والقرآن فيقول: «**إلهي لَوْ لَمْ تَهْدِنِي إِلَى الْإِسْلَامِ مَا اهْتَدَيْتُ، وَلَوْ لَمْ تَرْزُقْنِي الْإِيمَانَ بِكَ مَا آمَنْت...**»[1]. ونحن بامتلاكنا لآيات القرآن هذه وبيانها الواضح في غِنًى عن نقل كلمات حضرة الإمام، كما قال تعالى في الآية ٢٣ من هذه السورة: ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ أي يهدي بالقرآن فقط لا بغيره.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ أن النوم والـموت متشابهان وهما من سِنخٍ واحد لأن اللهَ يقبض نفس الإنسان في كلتا الحالتين والفرق بينهما أن الروح تعود للجسم بسرعة في حالة النوم، وليس الأمر كذلك في حالة الـموت.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٤٤ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٤٦﴾ [الزمر: ٤٣-٤٦].

الفوائد: هذه الآيات من الآيات الصريحة في نفي امتلاك غير الله لحق الشفاعة، وإثباتِ أن الشفاعةَ خاصةٌ بالله ومُلْكٌ له وحده، وقد ذكرت الآيات الدليل على ذلك، وهو أنه لما كان مُلْك السماوات والأرض لِلَّهِ تعالى وحده وليس لأحد سوى الله حكومةٌ أو سلطانٌ فيهما، ولما كان مرجع الـمخلوقات والبشر جميعًا إلى الله وحده، فالشفاعة خاصةٌ بالله، وقال أمير الـمؤمنين عليّ عليه السلام في دعاء كُمَيل: «**اَللَّهُمَّ إِنِّي أَتَقرَّبُ إِلَيْكَ بِذِكْرِكَ، وَأَسْتَشْفِعُ بِكَ إِلى نَفْسِكَ...**».

والنقطة الأخرى أن الظاهر من الآيات أن قصد الكفار من طلبهم الشفاعة هو أن تشفع الأصنام لهم لأجل تيسير مطالبهم في الدُّنْيَا وتحقيقها، لاسيما أن الـمُشْرِكين لم يكونوا يعتقدون

١- الـمجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٩١/ ص ١٠١.

اعتقادًا صحيحًا[1] بالآخرة فلا يُمكن أن يطلبوا الشفاعة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾.

وَمِنَ القَدَر أن هناك في زماننا جماعةً من الجهلاء يدعون غير الله في مجالس العبادة بذريعة طلب الشفاعة منهم مع أن اللهَ اعتبر في الآية ٤٥ في هذه السورة هذا العمل دليلاً على عدم الإيمان وقال: إنه عندما يُدعى اللهُ وحده فإن قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة تشمئزُّ وتنفر، أما إذا دُعي مع الله آخرون كالأنبياء والأولياء إذا هم يستبشرون.

وعلى كل حال، لا توجد في القرآن أي آية تدل على شفاعة إنسان لإنسان آخر على النحو الذي يقول به الخرافيون، بل الجنَّة مأوى الأنقياء الـمُتقين كما قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٦]، وقال: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾. ولكننا نتعجَّب كيف لا يستيقظ الناس من غفلتهم رغم كل هذه الآيات وكيف يهاجمون كلَّ من أظهر كلامًا حقًّا ويطعنون به.

﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ٤٧ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٤٨ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٩﴾ [الزمر:٤٧-٤٩].

الفوائد: كما أعدَّ اللهُ للمُطيعين من أنواع الثواب «**مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[2]، كذلك أعدَّ للعُصاة الـمجرمين من أنواع العقاب والعذاب ما لا يتصوره أحد. وَهذا هو الـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾. وكما ذكرت

١- في الواقع لم يكن الـمُشركون يعتقدون بالآخرة مطلقًا وكانوا يُنكرون البعث بعد الـموت وآيات القرآن التي تنصُّ على ذلك كثيرة.

٢- أصله حديثٌ متفق عليه، أخرجه الشيخان والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم.

الآية: لو فرضنا أن الظالـم كان يملك الأرض كلها وما عليها وأراد أن يفدي بذلك نفسه من عذاب جهنم لما أفاده ذلك شيئًا ولما قُبل منه، وبِنَاءً عَلى ذَلِكَ فإن الشفاعة بمعنى الواسطة يوم القيامة التي يتمُّ فيها إنقاذ الظالـم من العقاب لا وجود لها ولا أساس لها في القرآن.

ومن الصفات الـمذمومة جدًا غرور العالـم بعلمه وتصور كثير من الأثرياء أنهم نالوا ثروتهم بعلمهم وذكائهم، لذا فهم لا يؤدون حقوق الله لأنهم لا يعتبرون أن اللهَ هو الذي أعطاهم هذه الثروة. وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۚ﴾ هذا الأمر الذي كان القانون يتبجَّحُ به.

﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٥٠ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ۝٥١ أَوَ لَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢﴾ [الزمر: ٥٠-٥٢].

الفوائد: يعود ضمير: ﴿قَدۡ قَالَهَا﴾ على جملة ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍۚ﴾ أي أنه قبل الـمُشْرِكين الذين كانوا زمن رسول الله ﷺ، كان هناك أثرياء مثل قارون قالوا مثل هذا القول، كما مرَّ معنا في الآية ٧٨ من سورة القصص.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ أنه لا يملك أحد أن يهرب من عقاب الله أو يمنع الله من إنزال العقوبة به، ولذلك ترجمنا الآية على معنى «وليس لهم مهرب».

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾ أن سِعة الرزق وضيقه كلها بتقدير الحقّ تعالى وليست بسبب بُعْد النجوم أو قُربها أو تأثيرها:

فلا السَّعد يقضي به الـمشتري ... ولا النَّحس يقضي علينا زحل

ولكنه حكم ربِّ السماء ... وقاضي القضاة تعالى وجلّ

وقال شاعر آخر يُبيِّن أن سَعَة الرزق ليست بالعقل والتدبير والعلم:

كم عاقل عاقل أعْيتْ مذاهبهُ ... وَجاهل جاهل تلقاهُ مَرْزوقا

هــذا الــذي تــركَ الأوْهَــام حائــرةً وصَـــيَّرَ العالـــمَ النِّحْريــرَ زِنْـــدِيقَا

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

الفوائد: اليأس من رحمة اللهِ كبيرةٌ من الكبائر، فلا يجوز لأحد أن يقنط من رحمة الله مهما ارتكب من الذنوب والآثام بل عليه أن يُسارع إلى التوبة ويطلب من الله العفو والغفران ويعود إليه، كما جاء في نهاية هذه الآية.

ويقولون: إن هذه الآية نزلت في «**وحشيّ**» قاتل حمزة، وهو وحشيٌّ بن حرب الحبشي غلام طُعيمة بن عديّ أو غلام جبير بن مطعم الذي قَتَلَ يومَ أُحد حمزة عمِّ رسول الله ﷺ، وقَتَلَ يومَ اليمامة «**مسيلمة الكذاب**» وقال: قتلتُ في الجاهلية خيرَ الناس (يعني حمزة) وقتلتُ في الإسلام شرَّ الناس (يعني مسيلمة)!

لما قتل وحشيٌّ حمزةَ ذهب إلى مكة لأن «هند» آكلة الأكباد[1] كانت قد ضَمِنَتْ له أن تشتريه وتُعتقه وتُعطيه كل ما على بدنها من حُليّ وتُزوِّجه من ابنتها إن قتل حمزةَ أو عليًّا أو محمدًا، فلما جاءها وأخبرها عن قتله حمزة لم تفِ له بما وعدت فندم على فعلته وذهب إلى المستضعفين من المسلمين في مكة وقال: لو جئت للصلح هل يقبلني محمد؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، فقال في نفسه: إن اللهَ قال ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ وربما لم يشأ أن يعفو عني لأن جرمي عظيم، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، فقال في نفسه: هذه أيضًا ثقيلة فمن يدري ربما لم أستطع أن أعمل صالحًا، إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ

١- لم تصح قصة أكل هند لكبد سيدنا حمزة ﷺ بسند صحيح معتبر، وإنما رُويت بأسانيد واهية ضعيفة. للمزيد انظر تعليق المصحح في هامش تفسير الآية ١٢١-١٢٢ من سورة آل عمران. [المُصحح]

ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ في هذه السورة فلما سمع بها وحشيٌّ خرج راكضًا حاسر الرأس حافي القدمين من مكة إلى المدينة وذهب مباشرةً إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد! عاصٍ رجع عن جرمه وطلب الصلح هل يقبله ربُّك؟ فقال رسول الله ﷺ: أجل. فقال وحشيّ: حتى ولو كان ذلك العاصي وحشيًّا قاتل حمزة؟ ولم يكن رسول الله ﷺ يدري أن السائل هو وحشيّ نفسه، فعلم من هذا السؤال أنه وحشيّ، لذا تمهل في الإجابة ولم يدرِ ما يقول، فشهد وحشيّ الشهادتين. فقال رسول الله ﷺ له: أخبرني كيف قتلت عمِّي حمزة؟ فقال وحشيّ: يا رسول الله! لا تسأل عن هذا الأمر فلو حدثتك لجدَّدتُ عليك المصيبة. فقال رسول الله ﷺ: عليك أن تقول، فحكى له وحشيٌّ فتجدَّد حزن رسول الله ﷺ وغمُّه وبكى وصرخ في وجه وحشيّ أن اغرب عن وجهي، إنَّ قلبي لا يُحبّك أبدًا. قام وحشيّ يائسًا بقلب تملؤه الحسرة وعينين تفيض منهما الدموع وقال: ما الذي فعلتُهُ في نفسي! لقد ركضت مئة فرسخ وكُلِّي أمل [أن أنال العفو] فلما وصلتُ طردني بهذا الذل والخزي، إنا لِلَّهِ. جاء جبريل بعد ساعة وقال لرسول الله ﷺ: لماذا طردته؟ فاستدعاه رسولُ الله ﷺ وقَبِل إسلامه[1].

وَالـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ القرآنُ الذي هو أجمل وأكثر علمًا وبلاغةً من سائر الكتب الإلهية. وقد ذكر الـمُفسِّرون في تفسير هذه الجملة أقوالاً أخرى ليست صحيحة في نظرنا.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر: ٥٦-٥٩].

الفوائد: لما قال في الآيات السابقة: أيها الـمُذنبون لا تيأسوا وتوبوا من ذنوبكم وأنيبوا إلى

١- هذه القصة بهذا السياق والتفاصيل لم أجدها في أي مصدر! وهي تخالف في بعض تفاصيلها ما يوجد في الـمصادر التاريخية الـموثوقة وكتب السِّيَر والتراجم عن إسلام وحشي.

ربِّكم واعملوا بالقرآن كي لا يأتي يومٌ تتحسَّرون فيه وتأسفون وتندمون، ذَكَرَ اللهُ تعالى في هذه الآيات بأنه سيأتي يومٌ تقولون فيه: يا حسرتى على ما فرَّطنا في طاعة الله وسيأتيكم الجواب التوبيخيّ: ﴿قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ....﴾.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٠-٦٣].

الفوائد: الـمُراد مِنْ: ﴿كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ علماء الدين الكاذبون الـمُزَوَّرون والخطباء في الـمنابر والـمجالس والكُتَّاب الذين يكتبون الكتب باسم الدين، والذين يكذبون الأكاذيب وينسبونها إلى الله، وهم كثيرون في زماننا.

رغم أن التقوى في جملة: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ عامةٌ وتشمل اتقاء كل شيء، ولكن بقرينة ما قبلها، الاتقاء هنا هو من توقِّي الكذب على الله.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أن أمر الخلق والرزق والحياة والـممات والشفاء والبركة وغيرها خاص بالله وبيده وحده، ولا تَدَخُّلَ لأي مخلوق في هذه الأمور.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٤-٧٠].

الفوائد: يُسْتَفَادُ مِن الآية ٦٥ أن الخطاب بجملة: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ قد أُوحي إلى الأَنْبياء جميعًا كي لا يقول أحدٌ: إن الخطاب هو من باب إياك أعني واسمعي يا جارة!

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أن كل من يجعل مخلوقًا من المخلوقات مشاركًا لِلَّهِ في الصفات أو الأفعال أو طاعة الله، لم يعرف اللهَ حقّ معرفته ولم يَقْدُرْ عظمتَهُ حقَّ قدرها.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ....﴾ أن لا حاكم يوم القيامة إلا الله وحده، ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩].

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ حسبما جاء في الروايات: جبريل وميكائيل وإسرافيل.

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ أي بنور عدله لأن الظلم ظلمات. وقد قال الحقّ تعالى في هذه الآية ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ولكن الغُلاة والكذابين يقولون في زياراتهم -ومن جملتها الزيارة الجامعة-: ((**أشرقت الأرض بنوركم**»!!.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَـٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧١-٧٤].

الفوائد: فعل «السَّوق» يُناسب أهل جهنم ولكن لماذا استخدم فعل «السَّوق» أيضًا بحقّ أهل الجنَّة؟ يجب أن نقول: نعم كلاهما يُساق، أما أهل النار فيُساقون أنفسهم وأما أهل الجنَّة فتُساق مراكبهم، أو أنه لما كان أهل الجنَّة ينتظرون أقرباءهم لعلهم يأخذونهم معهم إلى الجنَّة، فإن الملائكة تأتي وتسوقهم إلى الجنَّة.

وأما اللطيفة في مجيء فعل ﴿فُتِحَتْ﴾، بحقّ أهل جهنم، دون واو، ومجيئُهُ مع واو بحقّ أهل الجنَّة فهو أن أَبْوَابَ الجحيم مغلقة دائمًا لا تُفتح إلا عند الدخول إليها، أما أبواب الجنَّة فهي مفتوحةٌ دائمًا وستبقى مفتوحة. وكلمة ﴿أَبْوَابَ﴾ تدل على تعدُّد أبواب [الجنَّة والجحيم].

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزمر: ٧٥].

الفوائد: التسبيح تنزيه الحقّ تعالى أي إثبات الصفات الجلالية له، والتحميد الثناء على الحقّ تعالى بصفاته الكمالية. وَالمَقْصود مِن ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ العظمة والحكم الإلهي[١]. وقد يعود ضمير: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم﴾ على الملائكة وقد يعود على أهل الجنَّة والنار، وأيًّا كان فلا إشكال في ذلك.

١- سبق أن بيَّنَّا أكثر من مرَّة أن هذا القول لا يصح وأن العرش مخلوق حقيقي وليس مجازيًّا بدلالة عدد من الآيات القرآنية الكريمة، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ [الزمر: ٧٥] وقوله تعالى: ﴿...وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ...﴾ [غافر: ٧] وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦﴾ [المؤمنون: ٨٦].

وانظر تعليق المصحح في هامش تفسير الآية الأخيرة من سورة التوبة [المُصحح].

سورة غافر

مكيَّة وهي خمس وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ [غافر: ١-٣].

الفوائد: لا بدّ لكل قانون من قوة تدعم تنفيذه، أما القرآن فالذي يدعمه هو إلَـهٌ قويٌّ عليمٌ ذو فضل على العباد وفي الوقت ذاته ذو عقابٍ شديد، كما ذُكر في الآيات الأولى من هذه السورة وفي سورة الزمر.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ [غافر: ٤-٦].

الفوائد: الـمجادلة في آيات الله تعني طرح الإشكالات وإيراد الشُّبهات لردِّ الحقّ وعدم قبوله كما كان يفعل الكفار والـمشركون حين يقولون: ما هذا القرآن إلا أساطير الأولين، أو يقولون أحيانًا: إنما يُعلِّمه بشر، أو يقولون أحيانًا: إنه سحرٌ أو شعرٌ أو إنه من خيال محمَّد. ولكن الـمجادلة في آيات الله في عصرنا أخذت شكلاً آخر كقول بعضهم: إن القرآن كلامٌ رمزيٌّ لا يستطيع البشر أن يفهموه ولا يفهمه إلا الإمام، أو يقولون: إن له سبعين معنى، أو يقولون: إن

فيه متشابهات وهذه المتشابهات لا يفهمها أحدٌ، ومثل هذه الشُّبهات مُجرَّد شُبهات مُغرضة تفتقر إلى الدليل، وقد أجبنا عن هذه الأقاويل في مقدمة هذا الكتاب.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ [غافر: ٧-٩].

الفوائد: ليس المقصود من ﴿ٱلۡعَرۡشَ﴾ مكانًا مُعيَّنًا بل المقصود عظمة اللهِ وعِزَّته [وسيادته وحُكْمُه][١]. والملائكة الذين هم حول العرش يُسبِّحون الله أي يُعظِّمونه بذكر جبروته وصفاته الكاملة ويستغفرون للمؤمنين الذين اتَّبعوا سبيل الله فيشفعون لهم ويطلبون لهم المغفرة. ومن هذا يتبيَّن أن الملائكة أفضل من المؤمنين من البشر. والمراد من وقاية المؤمنين وحفظهم من السيئات أن يُوفِّقهم الله للأعمال الصالحة ويُبعد عنهم وسائل الأعمال السيئة ويحفظهم من الزلل بإرشاده وألطافه ولا يخذلهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾ [غافر: ١٠-١٢].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ أنه عندما سيرى الكفار والفُسَّاق خياناتهم وظلمهم يوم القيامة أو في النار، وعندما يرون الملائكة وحتى الشياطين تلومهم، سيلومون أنفسهم ويغضبون عليها، عندئذٍ سيُنادَوْن

١- انظر الحاشية السابقة.

إن غضب اللهِ عليكم وسخَطه ومقته لكم أشدُّ وأكبر من مقتكم لأنفسكم.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ﴾ سبب كل ذلك العذاب والشقاء هو أنهم لما كانوا يرون شخصًا يدعو اللهَ وحدَه فقط كانوا يكرهون ذلك، أما لو دُعي اللهُ ودُعي معه الأَنْبياء أو الأولياء وغيرهم من الـمخلوقين سُرُّوا بذلك وصدَّقوا به وأظهروا الإيمان بمثل هذا النهج. كما يحصل في زماننا في الـمجالس التي يُقيمونها باسم عبادة الله فتجد فيها دائمًا مُناداة غير الله بصوت مرتفع كقولهم: **يا محمَّد ويا عبَّاس ويا حسين ويا صاحب الزمان**، ويعتبرون ذلك عبادةً لِـلَّهِ ويغترُّون بها ويُسَرُّون بها، مع أن القرآن نهاهم عن ذلك بمثل هذه الآيات الواضحات، فالشرك سبب لجميع أنواع العذاب.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١٤ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ [غافر: ١٣-١٧].

<u>الفوائد</u>: الرزق الإلهيّ قسمان: رزقٌ معنويٌّ ورزقٌ ماديٌّ، وقد بيَّن اللهُ تعالى نوعَي الرزق في الآية ١٣.

وَالـمُرَاد مِن الروح في جملة: ﴿يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾ الوحي لأن إدراك الـمطالب الـمُحِقَّة وتمييزها عن الباطل إنما يتمّ بواسطة الوحي الذي هو روح الـمطالب العقلية ذاتها.

وجملة: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ يقولها الحقّ تعالى يوم القيامة، كما هو ظاهر الآية، ولكن جاء في بعض الروايات أن هذه الجملة يُنادَى بها بعد النفخ في الصور وفناء جميع مَنْ في العالَم، ولكن هذا ليس بصحيح لأن اللهَ يتنزَّه عن اللَّغْو ولا فائدة من مُخاطبة الـمعدومات.

﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا

شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ١٨-٢٠].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ: ﴿خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ أي خيانتها واختلاس النظر إلى ما لا يحلُّ النظر إليه، أو الإشارة والنَّظرة لأجل الظُّلم أو لأجل الشهوة.

وفي جملة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تمَّ تقديم الـمفعول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على الفعل ﴿يَدْعُونَ﴾، يعني أن كلمة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ليست مبتدًا ولا فاعلاً، فمعنى الجملة أن من يدعوهم الناسُ لا يملكون القضاء بين العباد لأنه لا قدرة لهم، أو إذا كان لديهم القدرة فهم لا يجرؤون على ذلك، ولكن القرآن يقول: إن أولئك الـمدعويين من دون الله لا يقضون بشيء بين العباد لأنهم لم يروا أعمال من يدعونهم ولم يسمعوها[١].

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ [غافر: ٢١-٢٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أن العاقل يجب أن يعتبر بحال الـماضين ممن سكنوا القلاع الـمُحصَّنة والقصور الـمُشيَّدة وملكوا الجيوش كما وصفهم اللهُ تعالى بقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟

١- استفاد الـمؤلف هذا الـمعنى من مفهوم الـمخالفة لذيل الآية الذي يقول: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ أي أن غير الله ليس سميعًا لكل ما يقوله العباد ولا بصيرًا بكل أفعالهم فكيف له أن يقضي بينهم؟!

نِسَآءَهُمْۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر: ٢٣-٢٧].

الفوائد: يذكر الحقّ تعالى مرارًا وتكرارًا أحوال الأمم الماضية وسلوكهم مع رسلهم كي يُسلِّي رسوله محمدًا ﷺ ويرفع عنه الهمّ والغمّ [بإخباره أن ما يُواجهُهُ واجَهَهُ كلُّ الأَنْبياء قبلَهُ وكانت العاقبة والنصر النهائي دائمًا للمؤمنين والهلاك والدمار للكفار الظالمين]. ومن جملة ذلك قصة حضرة موسى عليه السلام، فرغم المعجزات الواضحة والباهرة التي أظهرها موسى عليه السلام، كذَّبه قومه واستخدموا معه كل المكر والحيل، سواءً قبل هلاك فِرعون أم بعده. والعجيب أن فِرعون أخذ يتظاهر بالاهتمام بأمر الناس والحرص على مصلحتهم فقال: إني أخشى أن يُخرِّب موسى دينكم أو أن يُبدِّله! وهذا يُذكِّرنا بما يفعله بعض الناس في زماننا في مواجهة كل من يُظهر حقًّا ويُبيِّن حقيقةً من الحقائق، فيتحايلون ويُظهرون الاهتمام والحرص على دين النَّاس ويُثيرون العوامَّ ضدَّه، وسبب ذلك - طِبقًا لهذه الآيات- أنهم لا يُؤمنون بيوم الحساب.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

الفوائد: المقصود من ﴿رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ «**حزبيل**» ابن عم فِرعون ورئيس شرطته وقد آمن بموسى ولكنه كان يكتم إيمانه. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الصدِّيقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون، والثالث عليّ بن أبي طالب [وهو أفضلهم]**»[1]. وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «**كان أبو بكر خيرًا من مؤمن آل**

١- أخرجه أحمد في **فضائل الصحابة** (٢/ ٦٢٧، رقم ١٠٧٢)، وابن عساكر في **تاريخ دمشق**، (٤٢/ ٤٣)، والديلمي في **مسند الفردوس**، (٢/ ٤٢١، رقم ٣٨٦٦). وأبو نعيم في **معرفة الصحابة**، كلهم عن أبي ليلى وفيه «عمرو بن جميع» متهم بالوضع. وَابنُ النَّجّارِ في **ذيل تاريخ بغداد**، عن ابن عباس وفيه محفوظ بن أبى دومة ضعيف بمرة. وحكم الألباني في **ضعيف الجامع الصغير وزيادته** (٣٥٤٩) بأنه موضوع.

فرعون لأنه كان يكتم إيمانه وقال أبو بكر جهارًا ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ فكان ذلك سرًا وهذا كان جهارًا»[١].

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: ٢٩-٣٣].

الفوائد: كان مؤمن آل فِرعون خطيبًا فصيحًا لم يَأْلُ قومَه النُّصحَ وإرادة الخير في حديثه مع قومه، ويظهر هذا من تكراره لعبارة: ﴿يَٰقَوْمِ﴾! أي أنتم قومي وأنا أُريد خيركم، كما يظهر هذا من عبارة: ﴿فَمَن يَنصُرُنَا﴾ و﴿جَآءَنَا﴾ [ولم يَقُلْ: فمن ينصركم أو إن جاءكم] أي جعل نَفْسَهُ واحدًا منهم يصيبه ما أصابهم ويغمُّه ما أغمَّهم.

وقُرئت عبارة ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ بتشديد الدَّال وقرأها بعضهم بسكون الدَّال في حال الوقف أي بكسرها، لأن الكسرة تسقط عند الوقف، فإن كانت الدَّال مُشدَّدةً كان المعنى يوم يفرُّ الناس بعضهم من بعض، وهذا يتناسب مع جُملة: ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر: ٣٣]، وإن كانت الدَّال بالكسر غير المُشدَّد كانت تدلُّ على وجود ياءٍ محذوفة وأنَّ الكلمة كان أصلها ﴿ٱلتَّنَادِى﴾ أي يوم يُنادي بعضكم بعضًا لطلب العون والمساعدة ولكن لا أحد يُجيب الآخر.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ

١- فخر الدين الرازي، **التفسير الكبير**، ٢٧/ ٥٧.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: ٣٤-٣٥].

الفوائد: هناك أمران يؤدّيان إلى ضلال الأقوام: **الأول**: الإسراف في المعاصي وعدم المبالاة. **الثاني**: التشكيك في الأمور العقلية والدلائل القطعية، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ ، كما أن هناك أمرين يؤديان إلى السعادة وضدّهما يؤدّيان إلى الشقاء، فما يؤدّي للسعادة: **الأول**: تعظيم أمر الله، **والثاني**: الشفقة على خلق الله وخدمتهم والإحسان إليهم، أي طاعة الله والرحمة بخلق الله ورعاية حقوقهم وأداؤها. وضدهما: التكبُّر على الله ومعاندته، والظلم لعباد الله والتجبُّر عليهم، ولذا قال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾.

﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ٣٧﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

الفوائد: كان فِرعون حقيقةً في غاية الحماقة أو كان في غاية المكر والاحتيال، وإن كان الثاني فإنه يدل على أنه كان يعتبر الناس حمقى ويستحمرهم لأنه أمر ببناء بناءٍ مرتفع وقال: أُريد أن أصل إلى أسباب السماوات وتأثيرها أو أصل إلى أسباب تحميق الناس، وربما كان فِرعون يعتبر الكواكب أسبابًا مؤثرةً في العالَم. ولكن جملة: ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ دليل واضحٌ على جهله. ولكن يُسْتَفَادُ مِنْ جملة: ﴿وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ أن كلامه هذا كان مكرًا يُريد من خلاله اصطياد العوام واللهو وشراء الوقت.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠ ۞وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ٤٢﴾ [غافر: ٣٨-٤٢].

الفوائد: دعا مؤمن آل فِرعون قومه في البداية دعوةً مجملةً ثم شرع بدعوتهم بشكل مفصل.
وجملة: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ قاعدةٌ عامةٌ تشمل جميع الجنايات والقصاص والأعمال الأخرى إلا إنْ وُجِدَ مُخَصِّص.

وَالـمُرَادُ بنفي العلم في جُمْلَةِ: ﴿وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ نفي الـمعلوم، لأنَّه إذا انتفى الـمعلوم انتفى العِلم به تلقائيًّا. [أي كأنه قال: وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ بِإلَـه، وَمَا لَيْسَ بِإلَـه كيف يُعقل جعله شريكًا للإله؟].

﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٣-٤٦].

الفوائد: الـمَقْصود مِن: ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ الذين يُسرفون في الكفر والعصيان.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾ أن أتباع فِرعون أرادوا أن يقتلوا «حزبيل». وجاء في الخبر أنه لما عرف فِرعون بإيمانه أراد قتله ففرَّ واختبأ في جبلٍ وانصرف إلى العبادة، ولما جاء الجند ليقبضوا عليه رأوه مشغولاً بالعبادة ورأوا السِّباع تحفظه فرجعوا إلى فِرعون وأخبروه بما رأوه فقتلهم فِرعون لنشرهم هذه الفضيلة له، وابتُلي أتباع فِرعون بعذابه أيضًا.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ﴾ أن هناك عذابًا في البرزخ لآل فِرعون وأنهم أحياءٌ في ذلك العالَم، وهذا يدل على أن الحياة البرزخيَّة لا تختصُّ بالشهداء.

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا

دُعَـٰٓؤُاْ ٱلۡكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ۝٥٠﴾ [غافر: ٤٧-٥٠].

الفوائد: تدلُّ هذه الآيات على حرمة التقليد، لأن الذين أشارت إليهم الآيات كانوا عاجزين في أمور الدين وكانوا يرجعون فيها إلى زعمائهم في الدين وسادتهم الكبار ولذلك فهم يتخاصمون معهم في النار ويقولون لهم: لماذا لم تُخبرونا عن حقائق الدين، فادفعوا عنا الآن شيئًا من العذاب، ولكن ما الفائدة من ذلك! كلا الطائفتين: الأتباع والمتبوعون، في العذاب سواء، ولا يملكون فعل شيء، ويلتمس هؤلاء السفهاء من حرَّاس جهنم أن يدعوا اللهَ لهم وما زالوا لم يفهموا أن ربَّهم وربَّ خزنة النار واحد وأن عليهم أن يدعوا ربَّهم بأنفسهم مباشرةً ولا يفعلوا كما يفعلُ سُفهاء عصرنا الذين يجعلون بينهم وبين الله وسائط وشُفعاء.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٥٢﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

الفوائد: تحدثت السورة منذ بدايتها عن مجادلة الضالين لأهل الحقّ، فجاءت هذه الآيات تسليةً لرسول الله ﷺ إذ يُبَشِّرُ اللهُ فيها المؤمنين أنه سينصر رسله وأتباعهم في الدُّنْيَا والآخرة، أما في الدُّنْيَا فسينصرهم بغلبة الحُجَّة والدليل، وبمدحهم وتعظيمهم، وبما يجعله في قلبهم من نورانيّةٍ ويقين، وبفضحه لأهل الباطل وبسرور المؤمنين بالثواب الموعود وبما يبقى لهم من ذِكرٍ طيِّبٍ وآثار حميدة بين الناس، وبنُصرتهم الظاهريَّة أيضًا في بعض الأحيان [أي انتصارهم في المعركة وسيادتهم في الأرض]. وأما نُصرتهم في الآخرة فهي مُصاحبتهم للأبرار في أعلى الدرجات ومحل المُقرَّبين. وَالمَقْصود مِنَ ﴿ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾: الملائكة والأنبياء والمؤمنون.

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَـٰبَ ۝٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٤ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ۝٥٥﴾ [غافر: ٥٣-٥٥].

الفوائد: المُرَاد مِن الهُدَى في جملة: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ النُّبُوَّة أو التوراة التي هي سبب للهداية، أي أُطلق المُسَبَّب على السَّبب. والهدى حالٌ لـ ﴿ٱلۡكِتَـٰبَ﴾ الذي هو التوراة، إذ

ترك اللهُ التوراة ميراثًا لبني إسرائيل. ولما كانت هذه الآيات كلها لأجل تسلية النبيِّ، أمره اللهُ تعالى هنا بالصبر فقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ دليلٌ على عدم عصمة الأَنْبياء[1]. وَيُسْتَفَادُ مِنْه أن على الجميع أن يستغفروا لذنوبهم. وعلى كل حال، فهذه الآية تُبيِّن عدم عصمة الأولياء من باب أولى. وإذا كان الأمر كذلك فإننا لنعجب من الذين يُعرِضون عن هذه الآيات الواضحة الصريحة ويعتقدون بعصمةٍ عجيبةٍ للأئمة عليهم السلام، وبعضهم يزدادُ غُلُوًّا إلى درجة ينسب فيها بعض أفعال الله للأئمة والعياذ بالله. وقد ذكرنا فيما سبق بعض كلمات الأئمة عليهم السلام في عدم عصمتهم، ونذكر هنا أيضًا جملاً أخرى وردت في أدعيتهم التي هي في متناول أيدي عامة الناس كي لا يغلو الناس في حقِّهم ويعلموا أن الأئمة لم يكونوا معصومين، هذا رغم أننا لسنا بحاجةٍ إلى ذكر هذه الجمل بعد امتلاكنا لآيات القرآن الواضحة في هذا الصدد.

فاعلم أن حضرة السَّجَّاد عليه السلام قال في الصحيفة السَّجَّادية، في الأدعية ٥١ و١٢ و٥٣:

«**رَبِّ أَفْحَمَتْنِي ذُنُوبِي**».

«**فَلَوْ لَا سَتْرُكَ عَوْرَتِي لَكُنْتُ مِنَ الْـمَفْضُوحِينَ**».

«**وَاغْفِرْ لِي مَا تَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِي. إِنْ تُعَذِّبْ فَأَنَا الظَّالِـمُ الْـمُفَرِّطُ الْـمُضَيِّعُ الْآثِمُ الْـمُقَصِّرُ الْـمُضَجِّعُ الْـمُغْفِلُ حَظَّ نَفْسِي**».

١- من الواضح أن المؤلف لا يقصد عدم عصمتهم في إبلاغ رسالات ربهم، وفي إبلاغ الوحي الإلهي وإلا لانتفى الغرض من إرسالهم، بل المقصود نفي العصمة المطلقة عن السهو ومخالفة الأولى فيما هو خارج عن موضوع إبلاغ الوحي، كإمكانية وقوعهم ببعض الصغائر أو مخالفة الأولى ثم تنبيه جبريل لهم على ذلك **كي لا يقتدي الناس بهم في هذه الأمور، وبهذا لا ينتفي كونهم أسوة حسنة للمؤمنين، ولا يتعارض ذلك مع أمر اللهِ لنا بالاقتداء بهديهم،** كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ...﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ...﴾ [االممتحنة: ٤] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. إن مشكلة المؤلف مع العصمة نابعة من مبالغة قومه من الشيعة الإمامية وغلوهم فيها إذْ يقولون بعصمة الأنبياء والأئمة عن السهو والنسيان حتى في الأمور والتصرفات الشخصية المحضة، وعصمتهم المطلقة عن الصغائر ومخالفة الأولى قبل رسالتهم وبعدها، وهو أمر يتعارض مع العديد من الآيات القرآنية.

«نَهْيٌ نَهَيْتَنِي عَنْهُ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ».

«فَهَلْ يَنْفَعُنِي، يَا إِلَهِي، إِقْرَارِي عِنْدَكَ بِسُوءِ مَا اكْتَسَبْتُ؟».

وورد في أدعية حضرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الصحيفة العلوية، وفي دعاء كُميل، وفي دعاء الشفاء من الآلام، وفي دعاء الاستجارة، وفي دعاء الصباح، وفي دعاء ليلة الهرير، وفي دعاء النصف من رجب، وفي دعاء شهر شعبان:

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي كُلَّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ».

«يَا مَنْ رَآنِي عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي».

«أتوب إليك من سوء عملي وَأستغفرك لذنوبي التي لا يغفرها غيرك».

«اللهم اغفر لي خطيئتي وَإسرافي في أمري كله».

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ».

«وَهَذِهِ أَعْبَاءُ ذُنُوبِي دَرَأْتُهَا بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ وَهَذِهِ أَهْوَائِيَ الْمُضِلَّةُ وَكَلْتُهَا إِلَى جَنَابِ لُطْفِكَ وَرَأْفَتِك».

«وَإِنْ تُعَذِّبْنِي فَبِظُلْمِي وَجَوْرِي وَجُرْمِي وَإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي فَلَا عُذْرَ لِي إِنِ اعْتَذَرْتُ».

«رَبِّ دَعَتْنِي دَوَاعِي الدُّنْيَا مِنْ حَرْثِ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ فَأَجَبْتُهَا سَرِيعًا وَرَكَنْتُ إِلَيْهَا طَائِعًا، وَدَعَتْنِي دَوَاعِي الْآخِرَةِ مِنَ الزُّهْدِ وَالِاجْتِهَادِ فَكَبَوْتُ لَهَا».

«إِلَهِي كَمْ مِنْ مُوبِقَةٍ حَلُمْتَ عَنْ مُقَابَلَتِهَا بِنِقْمَتِكَ، وَكَمْ مِنْ جَرِيرَةٍ تَكَرَّمْتَ عَنْ كَشْفِهَا بِكَرَمِك».

«لَوْلَا رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْهَالِكِينَ».

«وَعُدْ بِفَضْلِكَ عَلَى مُذْنِبٍ قَدْ غَمَرَهُ جَهْلُهُ. إِلَهِي قَدْ سَتَرْتَ عَلَيَّ ذُنُوبًا فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَحْوَجُ إِلَى سَتْرِهَا عَلَيَّ مِنْكَ فِي الْأُخْرَى».

«وَقَدْ أَفْنَيْتُ عُمُرِي فِي شِرَّةِ[1] السَّهْوِ عَنْكَ، وَأَبْلَيْتُ شَبَابِي فِي سَكْرَةِ التَّبَاعُدِ مِنْكَ».

---

١ - الشِرَّة: الحِدَّة، تقول: «أعوذ بالله من شِرَّة الغضب» (أي سَوْرَة الغَضَب). والشِرَّة: النشاط، تقول: «للشّباب شِرَّة».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ٥٨ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩﴾ [غافر: ٥٦-٥٩].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ أن الكِبر يمنع الإنسان من قبول الهداية. كان الكفار يقولون: إن قبلنا بنُبُوَّةِ محمَّد وجب علينا أن نُطيعه ونُصبح خُدَّامًا له وكبرياؤنا لا تسمح لنا بذلك، وهذا ما نجده في زماننا أيضًا عندما نجد الزعماء من طُلَّاب الدُّنْيَا والشُّهرة لا يقبلون كلمة الحقّ كي لا يصغر شأنهم -حسب تصورهم- أمام الناس. كما أن الكفار الذين كانوا يُجادلون رسول الله ﷺ دون دليل كانوا يفعلون ذلك كي لا يسقطوا من عليائهم وتكبُّرهم ولذلك كانوا يقولون: سيأتي الدجال وسيقضي على محمد!

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

الفوائد: هذه الآية دليلٌ على أن الدعاء عبادة وإذا كان الدعاء عبادةً فلا يجوز دعاء غير الله؛ لأنه لا يجوز عبادة غير الله، كما تدل الآية على أن من يمتنع عن الدعاء يستحقّ الدخول في جهنم. وقد ورد في الحديث: «**الدُّعاءُ مُخُّ العِبادَةِ**»[1]، كما ورد في الحديث: «**الدعاء أفضل العبادة**»[2]. وقد

١- الحرّ العاملي، **وسائل الشيعة**، ٧/ ٢٧. والمجلسي، **بحار الأنوار**، ٩٠/ ٣٠٠ و٣٠٢. وأصله في مصادر أهل السنَّة: في **سنن الترمذي**، (٣٣٧١) وقال: غريب. وأخرجه أيضًا: الحكيم الترمذي في **نوادر الأصول**، (٢/ ١١٣) ، والديلمي في **مسند الفردوس**، (٢/ ٢٢٤، رقم ٣٠٨٧) .

٢- روى أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (الشيعي) في **دعائم الإسلام** (ج١/ ص١٦٦)، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنه قال في قول الله عز وجل: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ . وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ قال: الدعاء بعد الفريضة إياك أن تدعه فإن فضله بعد الفريضة كفضل الفريضة على النافلة، ثم قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ **وأفضل العبادة**

قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿ٱدۡعُونِيٓ﴾ ولم يَقُلْ: ادعوا الأنْبياء والأولياء. وسنذكر فيما يلي جملاً وردت في أدعية الأئمة عليهم السلام في هذا الأمر كي يستفيد منها الجميع:

قال حضرة زين العابدين عليه السلام في الصحيفة السَّجَّاديَّة، في الأدعية ٤٥ و٤٦:

«يَا مَنْ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ مَنْ أَدْبرَ عَنْهُ، وَقُلْتَ: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، فَسَمَّيْتَ دُعَاءَكَ عِبَادَةً، وَتَرْكَهُ اسْتِكْبَارًا، وَتَوَعَّدْتَ عَلَى تَرْكِهِ دُخُولَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ، خَابَ الْوَافِدُونَ عَلَى غَيْرِكَ، وَخَسِرَ الْـمُتَعَرِّضُونَ إِلَّا لَكَ، وَضَاعَ الْـمُلِمُّونَ إِلَّا بِكَ، وَأَجْدَبَ الْـمُنْتَجِعُونَ إِلَّا مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكَ، بَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلرَّاغِبِينَ».

وجاء في أدعية حضرة عليّ عليه السلام المروية في الصحيفة العلوية وفي أدعية الصباح والجمل والأشهر الستة والدعاء اليماني ودعاء كُميل ودعاء صفين ودعاء شهر شعبان:

«الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَدْعُوه فَيُجيبُني، الحمد لِلَّهِ الذي أسأله فيُعطيني، الحمد لِلَّهِ الذي أُناديه كلما شئت لحاجتي، إلهي أنت الذي تُنَفِّس عند الغموم كُربتي...

«بك أنزلت حاجتي فلا تردَّني، بابك مفتوح للطلب والوغول...».

«فإني أتوسل إليك بتوحيدك وتهليلك وتمجيدك وتكبيرك وتعظيمك، لا مَفْزَعًا أتوجه إليه أمري غير قبولك عذري...».

«اللهم اجعل رغبتي في مسألتي إياك، فقد جعلتُ الإقرار بالذنب إليك وسيلتي».

وسائر الأدعية مليئة بمثل هذه الجمل وهذا المضمون الذي يقول: إنه لا يجوز دعاء إلا الله ولا التوسل بأحد إلا به.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٦٢ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٦٣ ٱللَّهُ

الدعاء، وإياه عنى، وَسُئِلَ عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾ قال: الأواه الدَّعَّاء». ورواه الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٢/ ٤٦٦ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (الإمام الباقر) عليه السلام.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦١-٦٤].

الفوائد: أفهمنا اللهُ تعالى في الآيات السابقة أن الإله الذي له تلك الصفات هو الذي يجب أن يُدعى ويُعبد. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ أنه أعطاكم صورةً جميلة، فإن قيل: إن كثيرًا من الناس لا يملكون وجهًا جميلاً؟ فالجواب: إن هذا الوجه غير الجميل جميلٌ بالنسبة إلى صاحبه لأن الجمال أمرٌ نسبيٌّ، وإذا قارن الإنسان كل وجهٍ بالوجه الذي هو أبشع منه وجده جميلاً جدًّا[1].

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أن اللهَ تعالى أعطى للبشر طبعًا يجعلهم ينفرون بفطرتهم من الخبائث والنجاسات، ويرغبون بالأشياء الطيِّبة النظيفة، أما إذا وُجد بعض البشر ممن يجعلون رزقهم أشياءً خبيثةً خلافًا للفطرة فلا علاقة لِـلَّهِ بهذا الأمر.

﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر: ٦٥-٦٧].

الفوائد: الـمقصود من عبارة: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ التي ذُكرت في مثل هذه الآيات: ما سوى الله كما ترجم الـمترجمون الآيات على هذا النحو، وتُطلق عبارة: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ على ما هو دونَ الله، أي مَنْ لا يصل مقامُهُ إلى مقام الخالق سواءً كانوا الأَنْبياء أم الأولياء أم الأصنام.

وَالمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن....﴾ أن هذه التغيُّرات والتبدلات التي تعرض لوجودكم ودون اختيارٍ منكم دليلٌ على وجود قدرةٍ غيبية لا تؤثر فيها إرادة الـمخلوق. وهذا

١- ليس إحسان الصورة منحصرًا في الوجه، بل في استواء الخَلْق ونعومة الجلد وظرافة القوام وأن الإنسانَ قائمٌ على رجلين وليس كالحيوانات التي تمشي على أربع، ولا تستطيع أن تصنع شيئًا مخترعًا كما هو متوفر للبشر.

يشمل الأَنْبياء والأولياء أيضًا.

قال حضرة السجاد عليه السلام -مستفيدًا من هذه الآية ومن الآيات الأخرى التي جاءت في هذا الـموضوع- في الصحيفة السجادية:

«اللَّهُمَّ وَأَنْتَ حَدَرْتَنِي مَاءً مَهِينًا مِنْ صُلْبٍ مُتَضَايِقِ الْعِظَامِ، حَرِجِ الْـمَسَالِكِ إِلَى رَحِمٍ ضَيِّقَةٍ سَتَرْتَهَا بِالْـحُجُبِ، تُصَرِّفُنِي حَالاً عَنْ حَالٍ حَتَّى انْتَهَيْتَ بِي إِلَى تَمَامِ الصُّورَةِ، وأَثْبَتَّ فِيَّ الْـجَوَارِحَ كَمَا نَعَتَّ فِي كِتَابِكَ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً ثُمَّ عَظْمًا ثُمَّ كَسَوْتَ الْعِظَامَ لَحْمًا، ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقًا آخَرَ كَمَا شِئْتَ». (إشارةً منه إلى الآية ١٤ من سورة الـمؤمنون التي قال تعالى فيها: ﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ﴾.

وتُشير جملة: ﴿ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ﴾ إلى البلوغ ويبتدئ البلوغ حسب الظاهر بترشُّح الهرمونات الجنسيَّة، حيث يتمّ تنشيط القوى الجنسيَّة الكامنة، وقال العلماء: إن سنَّ بلوغ الفتيات أبكر من سنّ بلوغ الفتيان، ويقول العلماء في هذا الـمجال: إن الفتيات يسبقنَ الفتيان في مثل أعمارهنَّ في سنّ بدء الكلام والاستخدام الأوسع للكلمات وبناء الجُمَل والعبارات وعدد الأصوات، وترتبط مَلَكَة النُّطق والكلام بالتفكير الذهنيّ الذي هو الحدّ الفاصل بين الإنسان والحيوان. كما قال العلماء: إن ذكاء الفتاة وذاكرتها (القدرة على الحفظ) أقوى من ذكاء وذاكرة الفتى في مثل عمرها، وكذلك الجزء الخلفيّ من الدماغ لدى الفتيات الذي هو مركز العواطف والأحاسيس والـمشاعر أكبر لدى الفتيات منه لدى الفتيان. وباختصار، فإن الإناث يصلنَ إلى سنّ البلوغ والرشد في سن أبكر من الذكور.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٦٨ أَلَمۡ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ٦٩ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ
رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٧٠ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ٧١ فِي ٱلۡحَمِيمِ
ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ
ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧٤ ذَٰلِكُم

بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر: ٦٨-٧٦].

الفوائد: أحد الدلائل على وجود الله الحياة والـموت اللذان يعرضان للمخلوقات دون إرادةٍ منها، فلو كانت الـمخلوقات تمتلك الحياة ذاتًا لما ماتت، ولو كانت ميتةً ذاتًا لما أُحييت، فهذا التبدُّل والتغيُّر دليلٌ على وجود مؤثِّرٍ.

ويُمكن أن نُفسِّر جملة: ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾ على أحد معنيين: **الأول**: أن تلك الـمعبودات لم تكن شيئًا يستحقّ العبادة كي نعبدها وندعوها، أي سالبةٌ بانتفاء الـموضوع. **والثاني**: أن الـمُشْرِكين كاذبون ويقولون: نحن لم ندعُ شيئًا أصلاً كما ورد في آيات أخرى قولهم: ﴿وَٱللَّهِ مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، أي إنهم ليُقسمون كذبًا على عدم شركهم!

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [غافر: ٧٧-٧٨].

الفوائد: الـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ قتل الكفار وأسرهم في حربهم مع الـمسلمين وأنواع أخرى من العذاب الدنيوي.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ بقية الأَنْبياء الذين لم يقصَّ اللهُ تعالى أحوالهم على رسوله ﷺ في القرآن الكريم ولا يعلم أحدٌ عددهم وأحوالهم إلا الله. أما الذين عرف نبيُّ الإسلام ﷺ أحوالهم فهم الذين أوحى اللهُ إليه بقصصهم، ولعلَّ الأَنْبياء الذين لم تُنقل إلينا قصصهم أكثر من الذين ذُكروا لنا. ورُوي أن عددَ الأَنْبياء مئة وأربعةٌ وعشرون ألف نبيّ[1]، أو ثلاثمئة ألف نبيّ، ولعلَّهم كانوا أكثر من ذلك ولا يعلم أحدٌ بذلك إلا الله.

١- أخرج أحمد في **المسند** (٥/ ٢٦٥) ضمن حديث: «... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَمْ وَفَّى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ، جَمًّا غَفِيرًا». قال شعيب الأرنؤوط:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [غافر: ٧٩-٨٢].

الفوائد: يُبيِّن اللهُ تعالى في هذه الآيات قدرته، تسليةً لرسوله ﷺ ويقول للكفار: لماذا لا تُعمِلُون عقولَكُم؟ ولماذا تُنكرون آيات الله ولا تعتبرون بقوة وسطوة الذين كانوا من قبلكم؟ هل نفعتهم قوتهم وأموالهم وآثارهم؟ وهل أنقذتهم من عذاب الآخرة؟ كلا، فذكر اللهُ تعالى سبب شقائهم في الآية التالية فقال:

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٣-٨٥].

الفوائد: أكثر مانعٍ يُبعد الناس عن الدين وحقائقه وعن اتِّباع الأَنْبياء: العلماء المُتكبِّرون الذين كلما جاءهم نبيٌّ أو ناطقٌ بالحقِّ تكبَّروا واغترُّوا بعلمهم واستهزؤوا بكلام أهل الحقّ، كما تدلُّ عليه جملة: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾. إذن، إذا قام علماء السوء في زماننا بمنع قول كلمة الحقّ فإن فعلهم هذا ليس بجديد.

إسناده ضعيفٌ جدًّا. وأخرجه الطبراني في **الكبير**، ٨/ ٢١٧، رقم (٧٨٧١)، وقال الهيثمي في **مجمع الزوائد** (٨/ ٢١٠): رجاله رجال الصحيح غير أحمد بن خليد الحلبي، وهو ثقة. وأخرج جزءًا منه: الحاكم في **المستدرك**، ٢/ ٢٨٨، رقم (٣٠٣٩) عن أبي أمامة، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص.

سورة فصلت

مكية وهي أربع وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥﴾ [فصلت: ١-٥].

الفوائد: كلمة ﴿تَنزِيلٞ﴾ خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هذا»، أو هي خبر ﴿حمٓ﴾ ، أو هي بذاتها مبتدأ وخبرها جملة: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾. وعلى كل حال، كلمة ﴿تَنزِيلٞ﴾ مصدر بمعنى مُنزَّل الذي هو اسم مفعول.

قوله ﴿فُصِّلَتۡ﴾ من التفصيل الذي يأتي بمعنى البيان وبمعنى الفصل والتفرقة، وَالـمَقْصود أنه جاءت في هذا الكتاب فصولٌ متعدِّدةٌ في التوحيد وصفات الله والـمواعظ والقصص والأحكام.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ أن الحقّ تعالى أنزل القرآن كي يعلمه الناس، وأن الغرض من نزول القرآن فهم الناس له لأن اللام في كلمة: ﴿لِّقَوۡمٖ﴾ للتعليل أو لبيان الغاية والهدفِ الذي هو فهم الناس، فالذي يتصور أن القرآن لا يُمكن أن يفهمه أحدٌ يعتقد اعتقادًا مناقضًا للقرآن.

ومراد الكفار من جملة: ﴿فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ اعمل كل ما في وُسعك لإبطال أمرنا ونحن أيضًا سوف نسعى في إبطال أمرك، أو أنت تعمل بدينك ونحن نعمل بديننا.

﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ
وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ٧﴾ [فصلت: ٦-٧].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ﴾ على الحصر والقَصْر، أي أنني لست سوى بشر مثلكم. وكلمة: ﴿مِّثۡلُكُمۡ﴾ مطلقة غير مُقيَّدة يعني أنني مثلكم في كل شيء إلا في أنني يُوحَى إليَّ، فلست من الجِنِّ ولست ملاكًا ولا أملك صفات الملائكة. وقد رُوي عن أنس بن مالك أنه قال: «**إنَّ أُنَاساً قالوا: يَا رسول الله! يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فقال**ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! قُولُوا بِقَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ! أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[1]. أي أن منزلتي هي منزلة المبلغ لرسالات الله وليست أمرًا آخر.

ومضمون الوحي الإلهيّ علمٌ وعملٌ: أما العلم فهو الاعتقاد بتوحيد الذات والصفات والأفعال وتوحيد اللهِ تعالى في العبادة. وأما العمل فالاستغفار وخدمة الخلق التي هي إعطاء الزكاة مع الاستقامة في الدين.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ أنه يجب على العباد أن يرجعوا إلى الله مباشرةً ودون واسطة ولا يجعلوا بينهم وبين الله أي شخصٍ أو شيءٍ واسطةً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٨ ۞قُلۡ أَئِنَّكُمۡ
لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ
لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا
قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا
ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت: ٨-١٢].

١- مسند أحمد، ٣/ ١٥٣ و٢٤١ و٢٤٩. بألفاظ متقاربة، وصحَّحه شعيب الأرنؤوط.

الفوائد: لما بيَّن اللهُ تعالى في آيات أخرى في سور أخرى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أوضح ذلك في هذه الآيات، حيث يُستفاد منها ما يلي: قُسِّمت تلك الأيام الستة إلى ثلاثة أقسام: يومان يختصَّان بخلق الأرض، وأربعة أيام أخرى تختصُّ بخلق السماوات والجبال وأقوات الأرض، أي بعد أن خلق اللهُ الأرض ظهرت المخلوقات الأخرى في أربعة أيام، في هذه الأيام الأربعة - في الوقت ذاته الذي كانت تُقدَّر فيه أقوات الأرض ومُقدَّراتها - خَلَقَ اللهُ في يومين منها السماوات وطبقاتها. فهذه الآيات لا تتنافى مع الآيات الأخرى. وحقيقة السماوات السبع مستورةٌ عنا ومجهولةٌ مثل كثير من الأشياء الأخرى. والعلماء يعترفون أنه رغم كل التقدم العلميّ لا تزال حقيقة هذا الكون وما فيه من مجرَّات هائلة مجهولة، ورغم كل الاكتشافات التي تمَّت لم يفهم العلماء حتى الآن سوى مقدار ضئيل جدًّا من حقائق الكون، فعلى سبيل المثال، طبقًا للحسابات التي قام بها العلماء، يقولون: إن النور يقطع في كل ثانيةٍ ١٨٦٠٠٠ ميلاً (أي ما يُعادل ٣٠٠٠٠٠ كيلومترًا)، فبناءً على هذا الحساب تبلغ السنة الضوئية ٦ تريليونات ميلاً، وبُعْد الشمس عن أقرب نجم هو ٤،٢ سنة ضوئية! ورغم ذلك نحن نعيش في منطقةٍ مزدحمة في الفضاء تُسمَّى المجرَّة، وهي مجموعةٌ من النجوم تضمُّ ٣٠٠٠٠٠ مليون نجم، وهذه المجرَّة ليست سوى واحدة من مجرَّاتٍ عديدةٍ تمَّ التعرُّف على حوالي ٣٠ مليون مجرَّة منها حتى الآن، والمسافة المتوسطة بين مجرَّةٍ وأخرى حوالي مليوني سنة ضوئية، ويبدو أن مكانها ليس كافٍ لها لأنها تبتعد عن بعضها بسرعة. وبعض المجرَّات يبتعد عنا بسرعةٍ تزيد على ١٤٠٠٠ ألف ميلاً في الثانية أو أكثر، والمسافات الفاصلة بين هذه العوالم التي يوجد كل منها في الآخر كبيرةٌ جدًّا إلى درجة أن كل طبقة من الفضاء لا تُعتبر إلا بُقعةً خاليةً في وسط الطبقة الأخرى، فمثلاً: المنظومة الشمسية التي تُسمَّى الفضاء الأول تقع داخل الفضاء الثاني وتُشكِّل نقطةً بالنسبة إليه وهكذا الفضاء الثاني بالنسبة إلى الفضاء الثالث إلخ. بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ من الواضح لماذا لا نُدرك حقيقة السماوات السبع، لأن فهم البشر وإدراكهم يعجز عن الإحاطة بعالَم الخليقة. وقد تكلمنا في التعليق على الآية ٥٩ من سورة الفرقان عن المقصود باليوم فليُراجَعْ ثَمَّة.

وهناك في تفسير معنى جملة: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ ثلاثة احتمالات:

الأول: أن المعنى وقدَّر فيها أقوات أهلها ومعايشهم وما يُصلحهم، أي أن المقصود من ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أقوات أهلها.

الثاني: قدَّر فيها أقواتها من المطر والثلج.

الثالث: أن المراد من إضافة الأقوات إلى الأرض كونها مُتولِّدة من تلك الأرض وحادثة فيها أي قدَّر الأقوات التي يختصُّ حدوثها بها، وذلك لأنه تعالى جعل كل بلدةٍ ومنطقةٍ وجبلٍ معدنًا لنوعٍ آخر من الأشياء المطلوبة، فجعل في منطقةٍ الذهب وفي منطقةٍ أخرى الفيروز ووضع في منطقةٍ الملح وفي منطقةٍ أخرى الأشجار حيث تصل تلك الأقوات للسائلين بواسطة الزراعة والتجارة.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ دوران الأرض والسماء وطاعتها التكوينية لِلَّهِ.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٧﴾ [فصلت: ١٣-١٧].

الفوائد: رُوِيَ [عَنْ جابر بن عبد الله] أنه لما نزلت هذه السورة قرأها رسول الله ﷺ على عتبة بن أبي ربيعة، وكان أبو جهل بين الملأ من قريش فقال: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالمًا بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه [أي أتى محمَّدًا] فكلَّمه ثم أتانا ببيانٍ من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمتُ من ذلك علمًا، وما يخفى عَلَيَّ إن كان كذلك أو لا، فأتاه فلما خرج إليه قال: يا محمد أنت خيرٌ أم هاشم؟ أنت

خيرٌ أم عبد المطلب؟ أنت خيرٌ أم عبد الله؟ فبم تشتم آلهتنا؟ وتضلل آباءنا؟ فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسًا ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك؟ ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ، قرأ رسول الله ﷺ: «﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ. حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ......﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ: أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ الآية. فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم. فقال أبو جهل: يا معشر قريش! والله ما نرى عتبة إلا قد صبأ إلى دين محمَّد، وقد أعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجةٍ أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال أبو جهل: والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت إلى دين محمَّد وأعجبك طعامه، قال: فإن كانت بك حاجةٌ جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمَّد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمَّدًا أبدًا، وقال: والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ﴾ الآية، فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمَّدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب»[1].

﴿وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝١٨ وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢٢

١- البغوي، **معالم التنزيل**، ٧/ ١٦٧ – ١٦٨. والسيوطي، **الدر المنثور**، ٧ / ٣١٠ والبيهقي، **دلائل النُّبوَّة**، ٢/ ٢٠٢ – ٢٠٣. وأحد رواة الحديث «الأجلح»: فيه لين.

وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت: ١٤-٢٤].

الفوائد: هذه الآيات من الآيات التي تقشعرُّ لهولها الأبدان. ومعنى ﴿يُوزَعُونَ﴾ يُوقفون، وهنا قال الـمُفسِّرون: إن إيقافهم هو لأجل أن يلتحق بهم أعوانهم ونُظراؤهم.

وتُشير جملة: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ...﴾ إلى الشماتة بهم، بأنكم لم تكونوا تسترون أعمالكم عن جوارحكم لأنكم كنتم تعتبرونها فاقدةً للشعور، ولم تظنوا أنها ستشهد عليكم، وهكذا كان ظنكم في الله وقد أوقعكم سوء ظنكم بربكم في الهاوية والشقاء.

ومعنى «الاستعتاب» طلب العُتْبى أي طلب الرضا، أي أنكم لو طلبتم من الله في ذلك اليوم أن يرضى عنكم ويتجاوز عن ذنوبكم فلن تصلوا إلى مطلوبكم.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [فصلت: ٢٥-٢٨].

الفوائد: يُمكن أن يكون الـمقصود من جملة: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ تزيين الأعمال، كما هو الظاهر، وقد يكون الـمقصود تزيين الدُّنْيا الذي يقوم به الـمُخادعون الـمُحتالون الذين يَعِدون الخُرافيين بالدنيا السعيدة وجنان الخُلد.

والمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ قول العذاب الذي قاله تعالى في جملة: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢﴾ [فصلت: ٢٩-٣٢].

الفوائد: ﴿ٱلَّذَيۡنِ﴾ تثنية، والمراد منهما القرينان اللذان كانا يخدعان الإنسان ويُضِلَّانه: **الأول**: الشيطان ووسوساته، **والثاني**: الأصدقاء الجاهلون الذين يدفعون الإنسان إلى الغفلة ويُضِلُّونه. وَالـمَقْصود مِن الاستقامة: الاستقامة في العقيدة أو في العمل، ولما كانت الكلمة مطلقة وجب أن نجعلها شاملةً لكلا الأمرين. وبشارة الملائكة تكون عند الموت أو في وقت البعث من القبور.

وكلمة: ﴿تَدَّعُونَ﴾ بتشديد الدال مشتقَّةٌ من مادة الدعاء على وزن افتعال.

و«**النُّزُل**» هو ما حضر في المنزل عند ورود الضيف الذي يُقدَّم له ابتداءً قبل أن يستريح ثم تُقدَّم له الضيافة الكاملة بعد استراحته.

﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أنْ لا قول أفضل من الدعوة إلى التوحيد ولا نسبة أشرف من أن يقول الإنسان: إني مسلمٌ.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ...﴾ دفع الغضب بالحلم ودفع السبِّ بالسلام ودفع الكلام اللغو بالحكمة ودفع الغِلظة بالرفق، ولأن هذا أمرٌ صعبٌ قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ

بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٦-٣٨].

الفوائد: كلمة: ﴿نَزۡغٌ﴾ تعني الإغراء والإفساد، لأن الإنسان في حال الغضب يخرج عن طوره الطبيعيّ خاصةً عندما يدعو شخصًا جاهلاً وسيء اللسان ويُواجه جهالَتَهُ وسَفَاهَتَهُ، ففي هذه الحالة يجب على الإنسان، حتى رسول الله ﷺ، أن يلتجئ إلى الله، ويعوذ به من نزغ الشيطان، وشأن الرسول ﷺ في هذا الأمر كشأن سائر الناس، إذ يُمكن أن يغضب أثناء الدعوة ويُخرجه غضبه عن الصواب. والآية ٣٧ آية سجدةٍ بشرط أن يقرأها الإنسان نفسه أو يسمعها، أما لو كتبها أثناء ترجمة القرآن أو قرأ ترجمتها فلا تجب السجدة وإن كان أداؤها أفضل.

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: ٣٩-٤٠].

الفوائد: إحدى صفات الأرض الخضوع وأن تُداس بالأقدام وليست متكبِّرةً أو مُعاندةً، ولذا قال الشاعر:

لقد خلقَكَ اللهُ تعالى من التراب ... فكن متواضعًا أيها العبد مثل التراب

ولفعل «الإلحاد» وكلمة «الملحد» عدَّة معانٍ: فمنها الكفر والإنكار، وتأتي بمعنى التشكيك في الحقّ وبمعنى الميل عن الحقّ إلى الباطل، ولكننا رأينا أن المعنى الذي يُناسب الآية وجملها هو: التشكيك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

الفوائد: المراد من ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾ القرآن، وقد تكرّر وصف القرآن بهذه الصفة، وهذه الآيات تدل على أنه لا يوجد أي أمر باطل في القرآن ولم يحدث له أي تحريف لفظيّ لأن اللهَ وعد هنا أن لا يأتيه الباطل، والتحريف أمرٌ باطل.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝٤٣ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤٤﴾ [فصلت: ٤٣-٤٤].

الفوائد: جملة: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ﴾ إذا اعتبرناها نفيًا بمعنى النهي كان المعنى: لا يجوز أن يُقال لك إلا تلك الصفات التي قيلت للأنبياء من قبلك الذين كانوا بشرًا يأكلون وينامون كسائر البشر ويحزنون أو يفرحون، وباختصار، إن الأَنْبياء كلهم كانوا بشرًا وصفاتهم صفات البشر. أما إذا لم نعتبر النفي بمعنى النهي بل جعلناه نفيًا فقط، كما هو ظاهر الآية، كان المعنى: لا يُوحى إليك إلا الأمور التي أُوحيت إلى من قبلك أي أن تقوم بالبشارة والإنذار، وجملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ إلى آخر الآية قرينةٌ على صحة هذا المعنى. ويُحتمل أن يكون المعنى: كل ما يقوله الكفار المُسيئون لك سبق وقاله الكفار السابقون للأنبياء من قبلك إذْ قالوا لِكُلِّ نبيٍّ: ساحرٌ وكذَّابٌ وأمثال هذه الكلمات، وهذا المعنى ينسجم أيضًا مع الجملة اللاحقة.

وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أن هؤلاء الكفار بسبب بُعد فكرهم عن مطالب القرآن وبسبب شدة حُجب العصبيَّة والكفر والعناد المُستولية عليهم لا يسمعون صوت القرآن وكأن هذا الصوت يصل إليهم من بعيد.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝٤٥ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٥-٤٦].

الفوائد: كان رسول الله ﷺ حزينًا بسبب إنكار الكفار لآيات القرآن، فقال اللهُ تعالى تسليةً له: إن أمة موسى أيضًا أنكرت ولم تؤمن. وَالمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ المهلة وحرية الاختيار التي قدَّرها اللهُ لجميع البشر ولولا ذلك لعذَّبهم [على الفور].

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا

تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت: ٤٧-٤٨].

الفوائد: ذكر اللهُ في هذه الآيات العلوم التي تختصُّ بها ذاته الأحدية، كما تُبيِّن الآيات أن الـمعبودات التي جعلها الـمُشْرِكُون شريكًا لِلَّهِ ولجؤوا إليها في الدُّنْيَا لرفع البلاء ودفع الضرر، ستتبرأ منهم يوم القيامة. ويُمكن أن نعتبر جملة: ﴿ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ﴾ من قول الـمعبودات الـمُخترعة التي عبدها الـمُشْرِكُون، أي أن الـمدعوين سيقولون: نحن لا نشهد على شرك الـمُشْرِكين، ولكن هذا خلاف الظاهر.

﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٤٩-٥١].

الفوائد: في هذه الآيات يُذكِّرنا اللهُ بضعف الإنسان ونُكرانه الجميل وعدم شكره لِلَّهِ، وأنه عندما تُقبِل الدُّنْيَا على الإنسان يغترُّ بها ويغفل عن الْمُنعم الحقيقيّ بل يصل به الأمر إلى إنكار القيامة وأن يرى لنفسه مقامًا خاصًّا عند الله، ولكنه إذا ابتُلي بالـمصائب أو الفقر أو الـمرض أخذ يدعو ليل نهار دعاءً طويلاً عريضًا.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرۡتُم بِهِۦ مَنۡ أَضَلُّ مِمَّنۡ هُوَ فِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ فِي مِرۡيَةٖ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمۡۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت: ٥٢-٥٤].

الفوائد: جاءت الآية ٥٣ مبتدأةً بحرف السين الذي هو حرف استقبال إذ بشَّرنا اللهُ بأنه سيُري البشر آيات الآفاق والأنفس. وضمير: ﴿أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾ يُمكن أن يعود على الله، أي أن آيات

الآفاق والأنفس ستُثْبت للناس وجود الله وأنه الحقّ. وقد يكون الضمير عائدًا على القرآن أي أنه كلما اكتُشف شيءٌ من آيات الآفاق والأنفس سوف يَثْبُتُ أن القرآن حقٌّ لأنه يتطابق مع تلك الاكتشافات العلمية الجديدة.

وَالـمَقْصود مِن آيات ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾ إما خلق الكواكب والنجوم السماوية وآيات البرِّ والبحر من حيوانات ونباتات وأشجار وأزهار وغيرها، حيث اكتشف الإنسان في هذا العصر - بفضل تقدُّم العلم - بعض آيات الآفاق، فمثلاً استطاع الإنسان أن يُحطِّم نواة الذرة ويُسخِّر الطاقة الـموجودة فيها، كما استطاع أن يطأ بقدميه سطحَ القمر. وبالنسبة إلى آيات الأنفس يُمكن أن نقول: إنها تشمل: الدقائق العلمية والفنية من العروق والأعصاب وقوى الإنسان الظاهرية والباطنية.

ويُمكن أن نستفيد من كلمة: ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾ أنه إذا شُوهد الهلال في ليلة عيد الفطر، التي هي ليلة بداية الشهر القمريّ، ثَبَتَ العيدُ لأهل تلك الـمنطقة فقط ولا يعتبر حُجَّةً على أهالي الـمناطق البعيدة الذين لم يشاهدوا الهلال؛ لأن اللهَ ذكر كلمة: ﴿ٱلۡأٓفَاقِ﴾ بالجمع ولم يقل الأفق. وقال تعالى في الآية ٣٣ من سورة الرحمن: ﴿أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فأثبت للسماوات والأرض أقطارًا، بِنَاءً عَلى ذَلِكَ، إذا شوهد الهلال في منطقةٍ لم يشمل حكمه الـمناطق البعيدة عنها التي لها أفقها الـمختلف، كما هو شأن الصلوات اليومية، فإذا حلّ وقت الظهر في طرف من أطراف الدُّنْيَا وصلَّى الناس الظهر لا يُمكننا أن نقول: على جميع الـمناطق الأخرى أن يُصَلُّوا الظهر أيضًا لأجل وحدة الـمسلمين، لأن أهل كل منطقةٍ يتبعون أفقهم وقد قال اللهُ تعالى في الآية ٤٠ من سورة الـمعارج: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ ولا خصوصية للقمر والشمس من هذه الناحية حتى يقول أحدٌ: إن هذا الأمر خاصٌّ بالشمس، أما القمر فحاله يختلف عن الشمس. بل كلٌّ من الشمس والقمر يُقدِّمان لنا العلامات السماوية، وقد جعل اللهُ القمر تابعًا للشمس فقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١-٢]. بِنَاءً عَلى ما تقدَّم، إذا حُسب الأُفق بالنسبة إلى الشمس وجب حسابه بالنسبة إلى القمر أيضًا لأن

القمر يتبع الشمس.

وقال بعضهم: إن آيات الآفاق هي فتح أطراف مكة، وآيات الأنفس فتح مكة ذاتها والشواهد التي ظهرت ودلت على أن القرآن والرسول ﷺ حقّ.

سورة الشورى

مكيَّة وهي ثلاث وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الشورى: ١-٥].

الفوائد: ذكروا معانيَ متعدِّدةً لحروف حاء، ميم، عين ....، ولكن، كما ذكرنا في فواتح السور الأخرى، لم تُوضع هذه الحروف الـمُفردة لتُعطي معنًى مُحدَّدًا، بل وجودها وذكرها لأجل تركيب الكلمات منها فحسب. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أنه كما أوحينا إليك هذه السورة هكذا هو وحينا إليك ووحينا إلى سائر الأَنْبياء من قبلك.

واختلف الـمُفسِّرون في معنى: ﴿مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ فقال أحدهم: إن تفطُّر السماوات يبدأ من الأعلى، وقال آخر: الـمقصود ﴿مِن فَوۡقِهِنَّ﴾ من أمر فوقهنَّ بتقدير مضاف هو كلمة «أمر»، وقال ثالث: إن الـمقصود من فوق الأرض. ولكن جملة: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ تدل على قرب وقوع القيامة، ونزول هذه الآية للتهويل والتهديد، أي اقترب موعد انفطار السماوات بدءًا من الكواكب العليا وحتى يصل الانفطار إلى أسفل السماوات، أي أن الانفطار والانشقاق سيبدأ من الأعلى. نعوذ بالله.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ٦ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ٧ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨﴾ [الشورى: ٦-٨].

الفوائد: ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ جمع وليّ، ويأتي بمعنى الصدِيق وبمعنى السيد والقائم بالأمر، ولكن معنى الوليّ في هذه الآيات وبقرينة الكلام هو: مُدَبِّر الكون والحاكم فيه، أي صاحب الرئاسة والولاية التكوينية، لأن الذي أوجب كفر الـمُشْرِكين وشركهم هو أنهم كانوا يعتبرون غير الله أيضًا وليًّا للأمور التكوينية وحاكمهم الكونيّ، ولو اتّخذوا غير اللهِ أولياء وأحباء لم يكن في ذلك إشكالٌ يُوجب كفرهم. أضف إلى ذلك فقد نفي اللهُ توكيل رسوله إدارة أمور الكون والتفويض إليه ولم يكن رسول الله ﷺ وكيلاً تكوينيًّا لهم، أما إذا كان وكيلاً شرعيًّا أو عرفيًّا أو صديقًا ناصرًا فلا يلزم نفي ذلك، وَمِنْ ثَمَّ تدل قرينة الكلام في هذه الآية وفي الآيات التالية أن اللهَ نفى ومنع اتّخاذ أولياء في الأمور التكوينية واعتبر ذلك كفرًا.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٩ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ١٠﴾ [الشورى: ٩-١٠].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ...﴾ إلى آخر الآية، على أن الولاية والحكومة التكوينية خاصةٌ بالله بدليل أنه على كل شيء قدير. والوليّ الحاكم لا بدّ أن يكون مُحيي الـموتى وقديرًا على كل شيء.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أنه لا بدّ من الرجوع في كل مسألةٍ يقع الاختلاف فيها إلى الله أي إلى كتابه لحلّ هذا الاختلاف. ومما يُؤسف له أن الـمسلمين لم يعملوا بهذه القاعدة وأوجدوا آلاف الاختلافات فيما بينهم.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا

يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى: ١١-١٢].

الفوائد: اعتبر بعضهم حرف الكاف في عبارة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ زائدة، ولكن الحقّ أنه لا يوجد أي حرف زائد في القرآن، ووجود الكاف هنا للمبالغة في نفي المثل، كما تقول العرب: «مِثْلُكَ لا يَبْخَلُ»، يعني إذا كان من هو مثلك لا يبخل فمن باب أولى أن لا تبخل أنت، أو يقولون: «لا يُقالُ: الجاهلُ لمثلي»، والمراد أنه إذا لم يكن من الجائز وصف من هو مثلي بالجهل فمن باب أولى أن لا أُوصف أنا نفسي بالجهل، فالمقصود في الآية هنا أنه لا يوجد لمثل اللهِ مِثْلٌ ومن باب أولى أن لا يوجد لِلَّهِ ذاته مِثْلٌ، وهذا الكلام لأجل المبالغة.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ على حصر هاتين الصفتين بالله رغم أن المخلوق أيضًا سميعٌ وبصيرٌ، فالمقصود إذن حصر كمال هاتين الصفتين بالله، لا أصلهما؛ وكمال هاتين الصفتين هو أن اللهَ يسمعُ ويُبصرُ بلا وسيلةٍ ولا آلة[1].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ

١- والصحيح أن يُقال: إن الله سميع بسمع يليق بجلاله وعظمته، كما أنه بصير ببصر، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. قال الحافظ ابن القيم: «وهو سميعٌ بصيرٌ، له السَّمْعُ والبصر، يسمع ويبصر وليس كمثله شيءٌ في سمعه وبصره». وقال الحافظ ابن كثير: «فإذا نطق الكتاب العزيز، ووردت الأخبار الصحيحة، بإثبات السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعظمة والمشيئة والإرادة والقول والكلام والرضا والسخط والحب والبغض والفرح والضحك؛ وجب اعتقاد حقيقته؛ من غير تشبيهٍ بشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، والانتهاء إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولا زيادة عليه، ولا تكييف له، ولا تشبيه، ولا تحريف، ولا تبديل، ولا تغيير، وإزالة لفظ عما تعرفه العرب وتصرفه عليه، والإمساك عما سوى ذلك». [المُصحح]

ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى: ١٣-١٥].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ أن دين الإسلام كان دين الأَنْبياء جميعهم وأن الذي شرع الإسلام هو الله.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ أن دين الإسلام دين الوحدة وأن لا شيء أسوأ من التفرقة في الدين، وأن الـمشْرِكين خائفون من اتِّحاد الـمسلمين ووحدة الإسلام.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أن أنصار التفرقة كانوا علماء وكانوا من أهل العلم والـمعرفة، ولكن الظلم والحسد هو الذي دفعهم إلى التمسك بالفُرقة والابتعاد عن [وحدة] الدين.

واسم الإشارة: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ يُشير إلى وقوع التفرقة؛ أي بسبب وجود هذا التفرُّق ادعُ أنت إلى الوحدة.

و ﴿لَا حُجَّةَ﴾ تعني ولا حُجَّة نافعة. وهنا يحسُن الرجوع إلى الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى: ١٦-١٩].

الفوائد: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ رُوي أنها نزلت في شأن اليهود الذين كانوا يقولون:

ألستم تقولون: إن الأخذ بالـمتفق أولى من الأخذ بالـمختلف؟ فنُبُوَّة موسى وحقية التوراة معلومة بالاتفاق أي يُؤمن بها نحن وأنتم، أما دين الإسلام ونُبُوَّة محمد فليست متفقًا عليها. ويُقال في الردّ عليهم: **أولاً**: لولا القرآن لما قبلنا بدينكم الـمليء بكل هذه الخرافات، فذلك الدين وخرافاته ليس متفقًا عليها ولا نؤمن بها. **وثانيًا**: عندما جاءت الحُجَّة الإلهية وَقَبِلَهَا الناس وَلَبُّوا نداء الله فإن أدلة الخلق تصبح ساقطة وبلا قيمة بالـمقارنة معها.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أن القرآن والـميزان شيء واحد إذا عُطف الخاص على العام، بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، فإن القرآن ميزان الأمور الدينية والـمعيار الذي نُميِّز به صحيحها من سقيمها، أي ما هو من طرف الله وما ليس كذلك، فكل ما وافق هذا الـميزان –أي القرآن الكريم– كان صحيحًا وكل ما لم يوافقه كان باطلاً، ويجب على الـمسلمين أن يتعرَّفوا على هذا الـميزان كي يستطيعوا أن يزنوا به القضايا الدينية. ولكن للأسف فإن الـمسلمين جاهلون بالـميزان الإلهيّ وبمقياس دينهم، بل عقائدهم وأعمالهم مخالفةٌ للقرآن(1). ولكن ظاهر العطف أن الـمعطوف غير الـمعطوف عليه. ومن الـممكن أن نقول: إن ألف ولام ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ إشارة إلى القرآن، وكذلك ألف ولام ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾، وَمِنْ ثَمَّ فالكتاب والـميزان كلاهما شيء واحد.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [الشورى:٢٠-٢٢].

الفوائد: قُدِّمت جملة: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لأهميتها. وتمّت التفرقة بين طلب

١- يقصد أن كثيرًا من الـمسلمين يخالفون الحق في عقائدهم وسلوكهم.

الدُّنْيَا وطلب الآخرة، فإذا طلب الإنسان الآخرة **فأولاً**: سوف نزيده من فضلنا وهذه الزيادة ليست لأجل طلب الدُّنْيَا، **وثانيًا**: قد يعطي اللهُ طالبَ الآخرة - إن شاءَ - الدُّنْيَا أيضًا، أما طالب الدُّنْيَا فليس له نصيبٌ من الآخرة.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ أولئك الزعماء الدينيون الذين جعلهم الناس شركاء لِلَّهِ في تشريع الأحكام وقبلوا حُكْمَهُم، والأسوأ من ذلك مُخاطبة عبدٍ من عباد الله بعبارة: يا شريك القرآن!.

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣].

الفوائد: يُشير اسم الإشارة: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلى الوعود التي وعد اللهُ بها الـمؤمنين في الآية السابقة.

وذكر الـمُفسِّرون لجملة: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ معانيَ متعدِّدة، **فأولاً**: قالوا: إن الـمقصود من ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ما يُتقرَّب به إلى الله كما هو الظاهر، وقد رجَّح الـمرحوم الطبرسيّ هذا الـمعنى على الـمعاني الأخرى. **وثانيًا**: فُسِّرت عبارة: ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى ذي القربى أي صاحب القرابة، ولكن هذا التفسير خلاف الظاهر، لأن ﴿فِى﴾ لم تأتِ قطُّ بمعنى ﴿ذِى﴾. وَالـمَقْصود مِن: ﴿ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في ذي القربى بحذف ذي؛ أي أحسنوا بشأن أقربائي وعترتي ووُدُّوهم أي أحبُّوهم، ولكن حذف (ذي) خلافٌ للأصل. **وثالثًا**: فُسِّرَتْ ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي في قرابتي، ولكن لما كان الخطاب مُوجَّهًا إلى الـمُشْرِكين كان هذا الـمعنى بعيدًا، يعني أيها الـمُشْرِكُون أنا لا أُريد منكم أي أجرٍ سوى أن تُراعوا قرابتي [لَكُمْ]، وتأخذوا بعين الاعتبار محبتي وصداقتي؛ لأن رسول الله ﷺ كانت بينه وبين جميع أفراد قريش والـمشركين صلة قرابة، هذا ولَمَّا كانت هذه السورة مكية ولم يكن لرسول الله ﷺ في مكة عِترة حتى يصح الـمعنى الثاني يُمكن القبول بهذا الـمعنى الذي ذكره ابن عباس وكثيرٌ من الـمُفسِّرين، ولكن الإشكال هو أنه لا دليل على أن

المقصود من عبارة: ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ في قرابتي.

ولا يخفى أننا نعتبر مودَّة عِترة رسول الله ﷺ وأهل بيته وقرابته المؤمنين واجبةً بأدلةٍ أخرى من الروايات والآيات، لكن بحثنا هنا هو عما يُستفاد من هذه الآية. وقد قال تعالى في الآية ٧١ من سورة التوبة: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [التوبة: ٧١] ولا شك أن عِترة رسول الله ﷺ وأهل بيته الكِرام كانوا نماذج كاملة وتامة للمؤمنين، فموالاتهم ومحبتهم ومودتهم واجبةٌ على كل مسلم، ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أَلا مَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آل مُحَمَّد مَاتَ مُؤمناً مُسْتَكْمِلَ الْإِيمَان**»[1]، ولكن الخطاب هنا للمشركين ولا يصح القول بأن رسول الله ﷺ خاطب الـمُشْرِكين قائلاً: لا أريد منكم أجرًا على رسالتي إلا أن تُحِبُّوا عِترتي وتودوهم لأن الـمُشْرِكين ما كانوا يؤمنون برسالته أصلاً، بالإضافة إلى أنه في زمن نزول هذه الآية لم يكن لدى رسول الله ﷺ عِترة، إضافةً إلى أن تفسير عبارة ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى ذي القربى لا دليل عليه.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ [الشورى: ٢٤-٢٦].

الفوائد: جملة: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لها معنيان محتملان:

الأول: إن كان ما يقوله الكفار حول افترائك على الله في ادِّعائك الوحي والرسالة حقًّا فإن اللهَ كان قادرًا أن يختم على قلبك ويمنعك من التفوه بمثل تلك الادِّعاءات والتكلم بالقرآن.

١- جزء من حديث أطول أخرجه الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ٨/ ٣١٤، وعنه الزمخشري في **الكشَّاف**، ٤/ ٢٢٠. وقال الحافظ ابن حجر في «**الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**» (المطبوع في حاشية تفسير الكشاف، ٤/ ٢٢٠): «أخرجه الثعلبي، وآثار الوضع عليه لائحة، ومحمد ومن فوقه أثبات، والآفة فيه ما بين الثعلبي ومحمد». انتهى.

والظاهر هو هذا المعنى.

الثاني: الكفار يعتبرونك مفتريًا ومجنونًا وساحرًا وكذابًا، فإذا أراد الله فإنه يستطيع أن يحفظ قلبك فلا تؤثر فيه مثل كلمات الكفار هذه.

لما كانت كلمة ﴿ذَاتِ﴾ تعني الحقيقة، فمعنى ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: الحقائق التي في الصدور، أي من باب إضافة المظروف إلى ظرفه، يعني العقائد والتصورات القائمة في القلوب.

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: ٢٧-٢٩].

الفوائد: تَهْدِفُ معظمُ آياتِ القرآن إلى إثبات الصانع القدير من خلال آيات خَلِيْقَتِهِ، فلا بدّ من معرفة الله من خلال التنبُّه إلى آيات قدرته والتأمل فيها.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ﴾ أن اللهَ خلق في السماوات والأرض كليهما دوابَّ تدبُّ أي تسير، فطبقًا لهذه الآية هناك في الكواكب العليا دوابُّ تعيش كالدوابِّ التي تعيش على الأرض، وأكثر علماء الفيزياء والطبيعة يعتقدون أن هناك حياةً وحضارةً خارج الكرة الأرضية، بل ربما تكون هناك حضاراتٌ أرفع من حضارة أهل الأرض، وروى كتاب مجمع البحرين عن حضرة عليّ عليه السلام (ولا شك أن حضرة الإمام سمع ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «**هَذِهِ النُّجُومُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ مَدَائِنُ مِثْلُ الْمَدَائِنِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ**»[1].

وذُكِرَ ضميرُ ﴿جَمْعِهِمْ﴾ الذي هو ضميرٌ خاصٌّ بالعقلاء، على سبيل التغليب، أي رغم أن أكثر دوابّ الأرض والسماوات قد تكون حيوانات لا تعقل ولكن لما كان هناك عقلاء بينهم استخدم اللهُ، في كلامه عن إحضارهم يوم القيامة، ضميرَ جمعِ العقلاء.

١- **تفسير علي بن إبراهيم القمي**، ٢/ ٢١٨-٢١٩، وعنه: المجلسي، **بحار الأنوار**، ٥٥/ ٩١.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٣١ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٣٢ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ٣٣ أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ٣٤ وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ٣٥﴾ [الشورى: ٣٠-٣٥].

الفوائد: الـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ الحوادث الجارية أو التي تحلّ بالإنسان بسبب كسله وعدم احتياطه وحذره، أو البلايا والـمصائب التي تنزل بالبشر بسبب عصيانهم، رغم أن العبارة ليس لها عموم، ومن الـممكن أن نقول: إن الـمخاطب في الآية هم الكفار والفساق لأن الأنْبياء والأولياء والأطفال إذا أصابتهم مصيبةٌ لا يكون ذلك بسبب عصيانهم وذنوبهم.

ومعنى ﴿أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ﴾ أي يُوبق أهلهنّ. و﴿يَعۡلَمَ﴾ منصوبٌ بتقدير اللام أي لِأَن يعلمَ.

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: ٣٦-٣٩].

الفوائد: اختصَّ الحقُّ تعالى ثواب الآخرة ونِعَمَها بمن يمتلكون الصفات الخمس الـمذكورة في الآيات أعلاه.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ أن أمر الـمسلمين قائمٌ على الشورى، فعلى الـمسلمين أن ينتبهوا ويسعوا إلى التشاور فيما بينهم خاصةً في مسائل الحكم.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ أنهم يطلبون النصر [على الباغي] والاقتصاص منه، فإن قيل: إن اللهَ قال في آيات كثيرة: إن العفو أفضل من الاقتصاص فكيف يأمر هنا بالانتقام؟ فالجواب: أن العفوَ حسنٌ في بعض الحالات والاقتصاصَ حسنٌ في حالات أخرى، ففي

الحالات التي يجترئ فيها الجاني (المجرم) على المزيد من الإجرام لا بدّ من الاقتصاص منه، وفي الحالات التي يكون الجاني فيها ضعيفًا ولا يُتوقع منه الجرأة على تكرار الجريمة بل هو يلتمس العفو، يجب العفو عنه. ولذلك اعتبر اللهُ العفو حسنًا ومطلوبًا في الآيات التالية:

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ۝٤٣﴾ [الشورى: ٤٠-٤٣].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ أنه لا بدّ من مراعاة التماثل في القصاص والديات، رغم أن جزاء السيئة ليس سيئةً ولكن سُمِّيَ جزاءُ السيئة سيئةً مجازًا من باب التقابل. وَالـمرَاد مِنْ: ﴿عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ أنه لو لم يعمل المؤمنون بالصبر والعفو فإن الأمور ستضطرب فعلى كل عاقلٍ أن يعزم على الصبر والصفح والغفران.

﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ۝٤٤ وَتَرَىٰهُمۡ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرۡفٍ خَفِيّٖۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٖ مُّقِيمٖ ۝٤٥ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ۝٤٦﴾ [الشورى: ٤٤-٤٦].

الفوائد: إذا اعتبرنا كلمة ﴿وَلِيّٖ﴾ في جملة: ﴿مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ بمعنى الصديق فالمقصود هو نفي الصديق النافع، وإذا اعتبرناها بمعنى الرئيس الحاكم والقائم بالأمر كان ذلك أيضًا صحيحًا.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ...﴾ أن كل من أعرض عن الهداية وسار في طريق الضلالة أوكله اللهُ إلى تلك الضلالة التي اختارها [وخلَّى بينه وبينها ولم يهدِه].

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ۝٤٧ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ۝٤٨ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾ [الشورى: ٤٧-٥٠].

الفوائد: لا يعتمد إيجاد النسل والذرية على صحة النطفة وطهارتها أو سلامة الرحم أو كليهما بل على قدرة اللهِ تعالى ومشيئته، ولذلك يهب لمن يشاء الأنثى أو الإناث. وقد قدَّم الحقّ تعالى الإناث على الذكور لعدَّة أسباب:

أولاً: كي يُفهِمَ النساءَ أنه رغم ميل الأبوين إلى الابن الذكر فإني قدَّمتكنَّ على الذكور كي تعلموا أن كرمي أكثر من الوالدين فلا تُقصِّروا في طاعة الله.

ثانيًا: كي يختم فعله بالعطاء الأفضل وما يوجب السرور والنشاط.

ثالثًا: أنه لو أعطى أولاً البنت فإن الأبوين يعلمان أنهما لا يستطيعان الاعتراض فيرضيان بذلك، فإذا أعطاهما بعد ذلك الولد الذكر عَلِمَا أن هذا العطاء مزيدٌ من كرم الله.

رابعًا: لما كانت النساء أضعف من الرجال أراد اللهُ أن يُوليهم من عنايته أكثر مما يوليه للذكور.

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝٥٣﴾ [الشورى: ٥١-٥٣].

الفوائد: يُسْتَفَادُ مِنْ هذه الآيات أن طريقة تكلم الحقّ تعالى مع البشر و وحيه إلى البشر

ينقسم إلى ثلاثة أنماط: إما يُكلِّمهم من خلال الإلهام والرمز، أو بواسطة إيجاد الكلام وخلقه وإسماعه إياهم، وهنا لما كان المتكلم الذي هو الله غير مرئيٍّ فكأنه تكلم من وراء حجاب، أو يرسل رسولاً، مثل إرساله جبريل الذي كان ينزل بأمره على محمد ﷺ، والنمط الثاني مثل تكليمه لموسى عليه السلام والأول مثل إيحائه إلى أمِّ موسى.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ على أن رسول الله ﷺ كان قبل مجيء الوحي إليه جاهلاً تمامًا وبشكل دائم بالقرآن ولم يكن لديه خبر ولا علم بأن مثل هذا الكتاب سينزل عليه، ولم يكن لديه ذلك «**الإيمان**» الكامل أي الإيمان التفصيليّ بصفات الله والتي يحتاج فيها الإنسان إلى النقل والوحي، لأن صفات اللهِ قسمان: بعضها يُمكن الوصول إليه بالعقل، ولكن البعض الآخر من الصفات يحتاج إلى البيان لأنه لا يعلم أحدٌ ذات اللهِ وصفاته إلا اللهُ نفسه: «**لا يعلم من هو إلا هو ولا يعلم كيف هو إلا هو**». وكذلك لم يكن لدى رسول الله ﷺ ذلك الإيمان التفصيلي بالملائكة والرسل، كما لم يكن يعلم الأحكام التفصيلية التي أنزلها اللهُ فيما بعد، رغم أنه كان يعلم بذلك على نحو الإجمال. وألف ولام ﴿ٱلْإِيمَٰنُ﴾ تُشير إلى ذلك الإيمان المعهود الذي ذُكر في القرآن على نحو مُفَصَّل.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَّهْدِى بِهِۦ﴾ أن هداية الله تكون بالقرآن أي أن اللهَ يهدي جميع الناس حتى الأئمة بواسطة القرآن، كما بيَّن الأئمة عليهم السلام أنفسهم هذا الأمر في كلماتهم مستفيدين من بيانات القرآن الكريم في هذا المجال، فمثلاً، نقرأ في أدعية حضرة السَّجَّاد عليه السلام في الصحيفة السَّجَّادية قوله:

«**وَجَعَلْتَهُ نُورًا نَهْتَدِي مِنْ ظُلَمِ الضَّلَالَةِ وَالْجَهَالَةِ بِاتِّبَاعِهِ، وَشِفَاءً لِمَنْ أَنْصَتَ بِفَهَمِ التَّصْدِيقِ إِلَى اسْتِمَاعِهِ، وَعَلَمَ نَجَاةٍ لَا يَضِلُّ مَنْ أَمَّ قَصْدَ سُنَّتِهِ، وَلا تَنَالُ أَيْدِي الْهَلَكَاتِ مَنْ تَعَلَّقَ بِعُرْوَةِ عِصْمَتِهِ، فَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقَادِ التَّسْلِيمِ لِمُحْكَمِ آيَاتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الْإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ، وَاعْصِمْنَا بِهِ مِنْ هُوَّةِ الْكُفْرِ وَدَوَاعِي النِّفَاقِ حَتَّى يَكُونَ لَنَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى رِضْوَانِكَ وَجِنَانِكَ قَائِدًا، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى لَا يُعَارِضَنَا الشَّكُّ فِي تَصْدِيقِهِ،**

واجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ وَيَأْوِي مِنَ الْـمُتَشَابِهَاتِ إِلَى حِرْزِ مَعْقِلِهِ، وَلَا يَلْتَمِسُ الْـهُدَى فِي غَيْرِه، اللَّهُمَّ وَكَمَا نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلدَّلَالَةِ عَلَيْكَ، وَاجْعَلِ الْقُرْآنَ وَسِيلَةً لَنا إِلَى أَشْرَفِ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَسَبَبًا نُجْزَى بِهِ النَّجَاةَ فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ»[١].

وعلى كل حال، فإن الهداية هي هداية اللهِ فقط، وقد كرَّر النبيّ ﷺ والأئمة كثيرًا بيان هذا الأمر في كلماتهم. رغم أنه مع امتلاكنا لآيات القرآن الصريحة الواضحة في هذا الأمر لا نحتاج إلى ذِكر كلمات أخرى.

١- الصحيفة السجادية، ١٧٦ - ١٧٨.

سورة الزخرف

مكيَّة وهي تسع وثمانون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ
أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا
مُّسۡرِفِينَ ٥ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ٦ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ٧ فَأَهۡلَكۡنَآ أَشَدَّ مِنۡهُم بَطۡشٗا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨﴾ [الزخرف: ١-٨].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أن القرآن كتابٌ بيِّنٌ واضحٌ يفهمه كلُّ إنسان. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ أن القرآن قابلٌ للتدبُّر والتفكر فيه. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ما يجمع الكتاب كما يُقال: «أمّ الرأس» لتجويف الجمجمة الذي يجمع جميع قوى الحواس والدماغ ويحويها كلها، كما سُمِّيَت فاتحة الكتاب بـ ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لأنها تجمع مطالب القرآن جميعها. فهنا يقول الحقّ تعالى: إننا جعلنا هذا الكتاب قرآنًا عربيًّا مُستقى من كتاب علمنا الجامع.

وصفتا: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ كما ذكرنا في مقالاتنا حول دعاء الندبة وكما سبق أن شرحناه، صفتان للقرآن، وكلمة ﴿عَلِيٌّ﴾ وصفٌ وليست اسم علم؛ ولكن بعض الـمتلاعبين والخرافيين جعلوا عبارة: ﴿عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ اسمًا لعليّ بن أبي طالب، فتلاعبوا بمعاني القرآن والعياذ بالله حتى إنهم أوردوا هذه الجملة في أدعيتهم ونصوص زياراتهم بوصفها مدحًا لعليّ عليه السلام!! كما نجدهم

يُخاطبون الإمام في دعاء الندبة بقولهم: «**يَا ابْنَ الصِّرَاطِ الْـمُسْتَقِيمِ يَا ابْنَ النَّبَإِ الْعَظِيمِ يَا ابْنَ مَنْ هُوَ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَى اللهِ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**!!»[١]. ويقولون: في زيارة حضرة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**السَّلَامُ عَلَى مَنْ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ**: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾»[٢]. هذا في حين أن هذه الآية نزلت في وصف القرآن وتقول: إن القرآن في أصله وفي الكتاب الإلهيّ الجامع عليٌّ أي ذو مقامٍ عالٍ، وحكيمٌ أي ذو حكمةٍ. أضف إلى ذلك أن هذه الآية نزلت في مكة وكان أهل مكة حينها كافرين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفسه وَمِنْ ثَمَّ فالتعريف بعليّ بن أبي طالب بوصفه في ﴿أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ كلامٌ لغوٌ.

وَالـمَقْصود من ﴿ٱلذِّكۡرَ﴾ في جُملَة: ﴿أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا﴾: القرآن، أي لما كنتم أيها الكفار قومًا مسرفين وكنتم لا ترغبون بنزول آيات القرآن، فهل نعمل وفقًا لرغبتكم ونمنع عنكم نزول القرآن؟!.

﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡفُلۡكِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مَا تَرۡكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ٩-١٤].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ أن الـمُشرِكين كانوا يؤمنون بالله خالق السماوات والأرض ولا يعتبرون أصنامهم خالقةً.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ أن الإنسان عندما يركب حيوانًا أو سفينةً أو سيارةً فعليه أن يحمد الله ويُسبِّحه على تسخيره له ذلك الـمركوب. ولو

١- سيد علي بن طاوس (ت ٦٦٤هـ)، **إقبال الأعمال**، ص ٢٩٧، وعنه: الـمجلسي، **بحار الأنوار**، ٩٩/ ١٠٨.

٢- الـمجلسي، **بحار الأنوار**، ٩٧/ ٣٠٣.

لم يُسخِّر الله الجمل مثلاً للإنسان لما استطاع مئات البشر أن يُسخِّروا جملاً.

وجملة: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ من مادَّة القرن، أي لم نكن نملك القوة المساوية والقدرة القرينة لقدرته. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ أن على الإنسان أن يتذكر أنه سيركب التابوت وسيُنقل إلى الآخرة.

﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ ١٥ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخۡلُقُ بَنَاتٖ وَأَصۡفَىٰكُم بِٱلۡبَنِينَ ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحۡمَٰنِ مَثَلٗا ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ١٩﴾ [الزخرف: ١٥-١٩].

الفوائد: الابن قطعةٌ من جسم الإنسان، ولذلك لما نسب بعض الـمُشْرِكين لِـلَّهِ البنات وقالوا: إن الـملائكة بنات الله شابهوا الـمسيحيين الذين يعتبرون الـمسيح ابن الله، وقد ذمَّهم اللهُ تعالى لأنهم جعلوا لِـلَّهِ جزءًا أي ابنًا (أي جعلوا بعض عباد الله جزءًا من الله!)، في حين أن اللهَ تعالى مُنزَّهٌ عن الجزء ولا يحتاج إلى الأجزاء، أضف إلى ذلك أن اللهَ يقول: لو نَسَبَ أحدُهم إليكم بنتًا لاسْوَدَّت وجوهُكُم وغضبتم واعتبرتم ذلك نقصًا في حقكم، فكيف تنسبون لِـلَّهِ هذا النقص؟ هل كنتم حاضرين عندما خلق اللهُ الـملائكة فشهدتم خلقها؟

﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ٢٠ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا مِّن قَبۡلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسۡتَمۡسِكُونَ ٢١ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف: ٢٠-٢٥].

الفوائد: استدلَّ القائلون بالجبر بجملة: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ﴾ وقالوا: إن

الله هو الذي أراد كفر الإنسان وشركه وسائر أعماله ولا تقصير للعبد في ذلك! وقد ردّ اللهُ عليهم بقوله: إنَّ هذا الكلام لا يستند إلى علم بل هو مُجرَّد خيالٍ وتخمين، لأن اللهَ أعطى البشر الإرادة الحرة والاختيار والمشيئة وأراد أن يختار الإنسانُ العقيدةَ والعملَ الذي يريده بإرادته الحرَّة.

وجملة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ كلام أهل التقليد، أي يقولون: إننا رأينا أمتنا أو آباءنا أو علماءنا يفعلون ذلك فمشينا على طريقتهم، وقد ردّ اللهُ تعالى هذا الكلام واعتبره باطلاً، فهذه الآيات تدلُّ على عدم جواز التقليد.

وضمير «**هُمْ**» -الذي هو ضمير جمع العقلاء- في عبارة: ﴿مَا عَبَدۡنَٰهُم﴾ قد يعود على الملائكة، وقد يكون عائدًا على الأصنام لأن الأصنام مظاهر للملائكة أو مظاهر ومرآة للشخصيات العظيمة من البشر التي كان الـمُشْرِكُون وعُبَّاد الأصنام يتوجَّهون -في الواقع- إليها ويقصدونها.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠﴾ [الزخرف: ٢٦-٣٠].

الفوائد: بعد أن بيَّن اللهُ تعالى في الآيات السابقة عادة التقليد لدى الناس وأبطلها، بيَّن في هذه الآيات أنكم أيها الـمُشْرِكُون إن أردتم التقليد واعتبرتموه جائزًا ورأيتم أن تقليد الآباء شرفٌ لكم فقلِّدوا إذن أباكم إبراهيم الذي ترك دين آبائه، فاتركوا أنتم أيضًا دين آبائكم. وخلاصة الأمر أن القول بوجوب اتباع إبراهيم يُوجب حرمة التقليد.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ أن إبراهيم جعل كلمة التوحيد باقيةً مستقرَّةً في ذريته. وأعاد بعضهم ضمير فاعل ﴿جَعَلَهَا﴾ على الله.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ أن أتباع نمرود كانوا يعبدون اللهَ أيضًا.

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣ وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا وَسُرُرًا عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ ٣٤ وَزُخۡرُفٗاۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ٣٥﴾ [الزخرف: ٣١-٣٥].

الفوائد: تتعلّق آية ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ....﴾ إلى آخر الآية، بكفار مكة الذين قالوا: لماذا لم يُنَزَّلْ هذا القرآن على الوليد بن المغيرة في مكة أو على عروة بن مسعود الثقفي في الطائف؟ أي أن هذا المنصب الكبير يجب أن يُعطى لشخصيةٍ كبيرةٍ بارزة، كأحد ذينك الشخصين. وَالمُرَاد مِنَ: ﴿ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ مكة والطائف.

وقد ردّ اللهُ تعالى عليهم بأن تقسيم الرزق بين العباد ليس متروكًا لهم، فإن كانوا لا يملكون تقسيم الرزق بين العباد فكيف يملكون إعطاء منصب النُّبُوَّة ويكون ذلك حسب رأيهم؟! والجواب الآخر: أنه إن كان اللهُ قد أعطى أحدًا من الناس ثروةً فإن الثروة شيءٌ حقيرٌ ولا علاقة لها بالنُّبُوَّة لأن النُّبُوَّة مقامٌ عظيمٌ، والدليل على أن الثروة شيء حقير هو أنه لولا أن يميل الناس كلُّهم إلى الكفر ويُصبحوا في الكفر مِلَّةً واحدةً؛ لأعطى اللهُ تعالى الكفَّارَ مقدارًا عظيمًا من ثروة الدُّنْيَا وزينتها، إلى درجة تكون فيها أبواب بيوتهم وجدرانها وسقفها من الذهب والفضة، ولكن اللهَ لم يفعل ذلك كي لا ينخدع الناس، بل أوجد التفاوت والاختلاف بين الناس في الغنى والفقر والقوة والضعف والعلم والجهل والذكاء والغباء والشهرة وخمول الذكر، لكي تسير أمور الدُّنْيَا، ولو تساوى الناس جميعًا لما خدم أحدٌ الآخر ولما قبل شخص أن يكون مأمورًا لآخر أو مُسخَّرًا له، إذن جملة: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗا﴾ أي لكي يُسَخِّرَ بعضُكم بعضًا ويُسَخَّرَ بعضُكم لبعض. وكلمة: ﴿سُخۡرِيّٗا﴾ ليست بمعنى السُّخْرِيَة كما ظنه بعض المترجمين.

﴿وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ٣٦ وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ

عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٩].

الفوائد: المَقْصود مِنْ: ﴿شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ﴾ قرناء الجِنِّ والإنس الذين يزيدون من غفلة الإنسان. وفي جملة ﴿بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ﴾ أُطلق المشرقان على المشرق والمغرب كإطلاق القمرين على الشمس والقمر، والحَسَنَيْن على الحسن والحسين عليهما السلام، ويُسمَّى هذا: التغليب.

ويُمكن أن يعود الفاعل في جملة: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ...﴾ - أي الضمير المستتر هو- على جملة: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾ أي أن هذا التمنِّي لن يُجدي نفعًا يوم القيامة، ومن الممكن أن يكون فاعلُ ينفعكم جملةَ ﴿أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ﴾ يعني أن اشتراككم في العذاب لن ينفعكم ولن يكون سببًا في تسليتكم عن العذاب، وتخفيف العذاب عنكم.

﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: ٤٠-٤٣].

الفوائد: رُوِيَ أن رسول الله ﷺ كان يحاول كثيرًا هداية قومه وكانوا عازمين على الكفر مصرين عليه، وكان ذلك سببًا في حزنه ﷺ، فأراد اللهُ أن يريحه، وفي المثل: **اليأس إحدى الراحتين**، فقال له: كُفَّ عن سعيك في هدايتهم لأنهم لشدة غفلتهم أصبحوا عُمْيًا وصُمًّا وغير قابلين للهداية، ولكن اعلم أنك إذا رحلت عن الدنيا فإننا سننتقم منهم، وإن بقيت حيًّا فسوف نريك قوتنا إذ سنبتليهم بالقحط والجدب والغلاء والقتل والأسر، ولكن عليك المثابرة في طريقك والثبات عليه، والتمسك بما أوحيناه إليك، ولا تَدَعْ للشك طريقًا إلى قلبك. وهذه الآيات كلُّها تسليةٌ لقلب النبي ﷺ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ

أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا
يَضْحَكُونَ﴿٤٧﴾﴾ [الزخرف: ٤٤-٤٧].

الفوائد: في جملة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ من الممكن أن نأخذ الذِّكْر على معنى التذكُّر، يعني أن آيات القرآن سببٌ لتذكُّرك وتذكُّر قومك لصفات الله وعظمته ولأحكامه ومواعظه. ومن الممكن أن نعتبر الذِّكْر بمعنى الذِّكْرى، وحينئذٍ يكون المعنى أن آيات القرآن ذِكْرٌ - أي شرفٌ - لك ولقومك، وسيبقى هذا الذِّكْر الحسن لك ولقومك ويكون شرفًا لك. وبناء على ذلك فبقاء الذكر الحسن والسمعة الطيبة للإنسان أمر مرغوب به، ويجب أن يسعى كل إنسان للحصول على ذلك، هذا رغم أن المعنى الأول أظهر.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾
وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا
عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ
مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ
مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف:
٤٨-٥٦].

الفوائد: المُراد من جملة ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ تلك الآيات التسع التي كانت كل واحدة منها أكبر من الأخرى، وهي الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم وسائر الآيات. ولما ذَكَرَ اللهُ في الآيات السابقة تحقير مشركي مكَّة لرسول الله ﷺ من ناحية فقره وعدم امتلاكه لِجُنْدٍ وقُوَّات، ذكَّرهم الله هنا بقصة فرعون الذي كان يقول: إن موسى فقيرٌ ولا يقدر على بيان كلامه بنحوٍ جيدٍ، إذ كان في لسانه لُكْنَة، وذنبه الآخر أنه لا يملك أساور من ذهب وليس مَلِكًا تجري

الأنهار تحت قصوره! وتمكَّن فرعون من خطف عقول قومه بهذا الكلام والاستخفاف بهم، وادَّعى كل ما أراد ادِّعاءَه، فأهلكه الله وجعله عبرةً لمن يعتبر، ولكن أمة الإسلام التي تمتلك مثل هذا الكتاب ومثل هذه الآيات الواضحات لم تأخذ العبرة، ولا تزال تنخدع بكل مرجع يحيط نفسه بهالة من الأبّهة والجلال وكثرة الأتباع، فتخضع له وتتوجه إليه، وتقبل كلامه وأحكامه المخالفة لما أنزل الله، فإذا جاء عالم فقير بلا عون ولا نصير ونطق بالحَقِّ لم يقبلوا منه.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزخرف: ٥٧-٦٢].

الفوائد: كان المشركون يقولون: إن كان النصارى قد عبدوا عيسى، فنحن نعبد الملائكة ومعبوداتنا - أي الملائكة - أفضل من معبودهم، ولما سمع بعض المشركين، مثل **عبد الله بن الزِّبَعْرَى**، رسولَ اللهِ ﷺ يقرأ على قريش الآية ٩٨ من سورة الأنبياء: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا: قد علمتَ أنّ النصارى يعبدون عيسى، [وعزير يُعْبَد، والملائكة يُعْبَدون]، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم! قالوا هذا وصاحوا صيحات سخرية وفرحوا وضحكوا. وقال بعض المشركين: ما يريد محمَّدٌ منَّا إلا أن نعبده ونتخذه إلهًا كما عبدت النصارى عيسى ﴿ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ﴾؟. وأيًّا كان الأمر، فقد نزلت الآيات السابقة ردًّا على هذه الأقاويل.

وذكر المفسِّرون مراجع مختلفة لضمير الهاء في جملة: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ وفي نظرنا، من المناسب أكثر إرجاع الضمير إلى خلافة المَلاك المُسْتفادة من جملة: ﴿يَخْلُفُونَ﴾ لأنه أقرب مذكور. والمُرادُ هو المعنى ذاته الذي جاء في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥].

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الزخرف: ٦٣-٦٥].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم﴾ أن عيسى ﷺ بُعِثَ لإزالة الاختلاف بين بني إسرائيل وأراد أن يعرّف الناس على معبود واحد وملجأ واحد، ولكنَّ المسترزقين بالدين جعلوا من عيسى نفسه بابًا جديدًا للاسترزاق به، وأوجدوا بعدَهُ، بين أمته، اختلافات عديدة تحت عناوين مختلفة. والمُرادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ الإشارة إلى أولئك العلماء الكبار الذين أوجدوا الاختلافات مثل: «**اليعقوبية، النسطورية، الملكانية، المرقسية والشمعونية**».

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٦-٦٨].

الفوائد: اتّخاذ الأصدقاء في الدنيا إما أن يكون بهدف تحصيل خير دُنْيَوِيٍّ أو لتحصيل خير أُخْرَوِيٍّ. أما الصداقة لأجل منافع الدنيا فبما أن الدنيا زائلةٌ وأنه سيتبيَّن ضرر هذه الصداقة، فإن الصداقة لأجل الدنيا ستتبدَّل إلى عداوةٍ. وأما إذا كانت الصداقة لأجل الأمور الأخروية فبما أن الآخرة باقية لا تزول؛ فإن المودة والمحبة التي تكون لأجل الآخرة ستبقى ولن تزول أيضًا.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٩-٧٣].

الفوائد: في الآيات الإلهية جميعِها التي تتكلم عن النجاة والفلاح، بيَّنَ اللهُ أن هذا الفلاح

الأبدي والنجاة ستكون لمن كان **مسلمًا**، ولم يأتِ اللهُ بأي ذِكْر لاسم مذهبٍ أو فرقةٍ أو شيعةٍ أو سُنَّةٍ.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ أن المسلم سوف ينال كل ما تشتهيه نفسه في الآخرة. ولما كان الكلام يطول في ذكر أنواع المشتهيات وأقسامها، بيَّن اللهُ تعالى ما سيُنالُ من النِّعَم على نحو الإجمال.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: ٧٤-٨٠].

الفوائد: هل يجيب ﴿مَٰلِكُ﴾، خازنُ جهنَّم، أهلَ النار حين يستغيثون به على الفور أم يمتنع عن إجابتهم مُدَدًا طويلةً لتحقيرهم؟ قال ابن عباس: إنّه يجيبهم بعد ألف عام من دعائهم فيقول لهم: إنكم باقون وماكثون في النار!.

ومعنى جملة: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ - كما ترجمناها - هل قام المشركون بعملٍ جَيِّدٍ مُحْكَمٍ فهم ينتظرون من الله أن يحفظ لهم ذلك العمل؟! ويُمكن أن نجعل (أم) للإضراب فيصبح المعنى: إنهم كرهوا الحق، وأقاموا على الباطل ونصروه وأيَّدوه، كاجتماعهم في دار الندوة للتآمر على قتل رسول الله ﷺ، فقد أقاموا على باطلٍ، وسوف نعذبهم بقوة وعزم مُبْرَم نحن أيضًا. وينبغي أن يكون هذا المعنى الثاني هو الصحيح بقرينة الآية التالية.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف: ٨١-٨٤].

الفوائد: الجملة الشرطية مركبة من جملتين حمليتين: والمقصود هو التلازم بين الجملتين،

ولا يمنع هذا من أن تكون كِلْتا الجملتين باطلتين بحدِّ ذاتها، وبِنَفْيِ إحدى الجملتين تنتفي الأخرى. فما يريد الحقُّ تعالى قولَه في جملة: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾: يا رسولنا! قل: إنْ كان لِـلَّهِ ولدٌ لكنتُ أنا - رسولُ الله - أوَّلَ العابدين لذلك الولد. وبما أنني لا أعبد هكذا ولدًا فلا وَلَدَ للحقِّ تَعَالى أساسًا.

﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [الزخرف: ٨٥-٨٩].

الفوائد: في جملة ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ.....﴾ الآية، قد يكون اسمُ الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مع صلته، فاعلاً لفعل ﴿يَمْلِكُ﴾، وتكون كلمة ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ مفعولاً به لفعل ﴿يَدْعُونَ﴾ ويكون المعنى هو التالي: الذين يطلبون الشفاعة من غير الله لا يملكون تحقق مطلبهم هذا. ومن الممكن أن تكون كلمة ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ مفعولاً به لفعل ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾، أي أن المدعُوِّينَ من دون الله الذين يدعوهم المشركون ليطلبوا منهم الشفاعة، لا يملكون الشفاعة إلا من شهد بالحق في حال كونهم يعلمون أنهم يملكون الشفاعة. وهذا المعنى أظهر، كما ذكرناه في الترجمة.

والشفاعة يوم القيامة ليست سوى إبلاغ رحمة الله بواسطة المقرَّبين منه تعالى، وإلا فإنه لا يَعلم حقيقةَ العباد إلَّا ربُّ العباد [وَمِنْ ثَمَّ لا يستطيع أحدٌ أن يشفعَ لأحدٍ].

ومن الممكن أن يُقال في الآيات المذكورة سابقًا: إن المقصود من المُسْتَثْنى: [أي في جملة: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾] هم الملائكة، والمقصود من الشفاعة: الشفاعة الدنيوية، كما نجد أن جملة ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآية السابقة خطابٌ للكفار والمشركين الذين كانوا يتخذون شفعاء غير الله، ويتوسلون لقضاء حوائجهم ورفع الضر والبلاء عن أنفسهم بغير

الله بأمل الشفاعة.

واعتبر بعضهم أن الـمقصود من الشفاعة هو الاستغفار، وقالوا: رغم أن كلمتي الشفاعة والاستغفار لفظتان مختلفتان لكن الشفاعة جاءت أيضًا بمعنى الاستغفار، كما كتب الفخر الرازي في تفسيره يقول: «**إن اللهَ لما أمر محمَّدًا بالاستغفار** لكل العصاة فقد استجاب دعاءه، وذلك إنما يتم لو غفر لهم **ولا معنى للشفاعة إلا هذا**». وقال صاحب مجمع البحرين ذيل كلمة «شفع» ما نصُّهُ:

«**الـمراد بالشفاعة الحسنة: الدعاء للمؤمنين؛ والشفاعة السيئة: الدعاء عليهم**. ....

وفي حديث الصلاة على الـميت: «وإن كان الـمُسْتَضْعَف بسبيل منك فاستغفر له على وجه الشفاعة منك لا على وجه الولاية».

و رَوَوْا عن رسول الله ﷺ أيضًا قوله: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ مَضَى مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ أَوْ هُوَ آتٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهُمْ شُفَعَاءُ لِمَنْ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**»[1].

بهذا الذي ذكرناه يتَّضِح بطلان تلك الشفاعة التي يعلِّمونها للعوام في زماننا.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنه لا بد من العلم واليقين بشهادة الحق ولا فائدة من التقليد.

وأعادوا ضمير ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ على رسول الله ﷺ رغم أنه ﷺ لم يُذْكَرْ في الآيات السابقة، اللهم إلا في تاء ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم﴾.

١- ابن بابويه القمي (الـمعروف بالصدوق)، **الأمالي**، ص ٤٥٦. وعنه الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، ٧/ ١١٤.

سورة الدخان

مكيَّة وهي تسع وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ٣ فِيهَا
يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ٥ رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٨ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ يَلۡعَبُونَ ٩﴾
[الدخان: ١-٩].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ وبضعُ آيات بعدها على عظمة القرآن من عدة جهات:

الأول: أن الله أقسم به واعتبره مُبِينًا أي بيانًا واضحًا.

الثاني: أن الله عرَّفه بألف ولام العهد.

الثالث: أن الله أنزله في ليلة مباركة هي ليلة القدر.

الرابع: أن الله اعتبره دليلاً على إنذاره.

الخامس: أن الله اعتبره أمرًا من عنده ورحمةً.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا
ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ١٣
ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ١٤ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ يَوۡمَ

نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ١٦﴾ [الدخان: ١٠-١٦].

الفوائد: قال بعضهم: إن الـمُراد من ﴿بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ أيام القحط والـمجاعة التي أصابت أهل مكة حتى أصبح الفضاء يبدو في أبصارهم -من شدة الجوع- كالظلمة كأنهم يرون دخانًا أسود. وقال بعضهم: الدخان هو الذي يظهر في العالـم قبل القيامة وهو إحدى علامات الساعة، ويغشى جميع الناس.

وليس الـمقصود من بطش الباري تعالى وغضبه وانتقامه: الصفات الإنسانية التي يتغير صاحبها، بل الـمقصود نتيجة الغضب الذي هو العذاب والعقاب.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا قَبۡلَهُمۡ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَ وَجَآءَهُمۡ رَسُولٞ كَرِيمٌ ١٧ أَنۡ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٨ وَأَن لَّا تَعۡلُواْ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ١٩ وَإِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمۡ أَن تَرۡجُمُونِ ٢٠ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ٢١ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ ٢٢ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾ [الدخان: ١٧-٢٩].

الفوائد: يُسَلِّي الحقُّ تعالى رسولَه ﷺ مرَّةً بعد مرَّةٍ بذكر أحوال الأمم الـماضية، قائلاً: إن كان مشركو مكَّة هكذا فإن الكفار الـماضين كانوا كذلك أيضًا.

والـمقصود من ﴿فَٱعۡتَزِلُونِ﴾ لا تعادوني ولا تصدوا الناس عن سبيل الله واتركوني وشأني كي أقوم بهداية الناس.

وعندما مرَّ حضرة أمير الـمؤمنين عليّ عليه السلام على مدائن كسرى قرأ قوله تعالى: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ . وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ﴾ إلى آخر الآيات.

﴿وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ٣٠ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٢ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ

بَلَـٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾
فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـٰهُمْ
إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا
خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان: ٣٠-٣٩].

الفوائد: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ إشارة إلى كفار مكة الذين كانوا ينكرون الـمعاد.

والـمقصود من ﴿لَـٰعِبِينَ﴾ أنَّ اللهَ حكيمٌ وأنَّه خَلَقَ السموات والأرضَ لغاية وهدف عظيم، ولم يخلق السموات والأرض عبثًا أو لهوًا منه ولعبًا، بل خلقها بالحق لا بالباطل. والعمل الباطل واللعب هو الخلق بدون غاية أو هدف.

وقيل: إن أبا جهل بن هشام قال لرسول الله ﷺ: إن كنتَ صادقًا وكان هناك بعثٌ بعد الـموت، فابعث جدَّكَ قُصَيّ [بنَ كلاب فإنه كان رجلاً صادقًا لنسأله عما يكون بعد الـموت]، فأنزل الله هذه الآيات ردًّا عليهم[1].

وأما ﴿تُبَّعٍ﴾ فكان مَلِكًا من قبيلة حِمْير وحَكَمَ اليمن وكان اسمه سعدًا وكنيته أبو تراب، وكان له حشم وخدم وأتباع كُثُر، ومَلَكَ أكثرَ البلاد، وكان يُطلق على ملوك اليمن لقب التبابعة، كما يُقال: خاقان [لـمَلِكِ التُّرْك] وكسرى [لِمَلِكِ فارس] وقيصر [لـمَلِكِ الروم]. وكان ﴿تُبَّعٍ﴾ هو الذي أتى بالأوس والخزرج إلى يثرب أي الـمدينة، وكتب رسالة وأعطاها إلى صموئيل اليهودي كي يعطيها إلى نبي آخر الزمان حين يُبْعَث، وكان أبو أيوب الأنصاري هو الحفيد الواحد والعشرين لصموئيل اليهودي ذاك، فقدَّم تلك الرسالة إلى رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ
ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ
ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ

---

١ - يُنْظَر الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٦٦. والفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٢٧/ ٢٤٩.

﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٠-٥٠].

الفوائد: الـمقصود من ﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يوم انفصال الحق عن الباطل، أو افتراق الـمؤمنين عن الكافرين، أو يوم الفصل بين العباد والقضاء والحكم بينهم أو يوم انفصال الحقائق عن الخيالات، وامتياز حقائق الدين عن الخرافات، وإن قلنا: إن الـمقصود معناها جميعًا فلا إشكال في ذلك.

رُوِيَ أن أبا جهل كان يقول في الدنيا عن نفسه: إنه عزيز كريم[1]، فقال تعالى إشارةً إلى أمثاله من الـمغرورين الـمُعْجَبين بأنفسهم: إنه سوف يُلقيهم في الجحيم يوم القيامة ويقول لهم: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٥٢﴾ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرۡتَقِبۡ إِنَّهُم مُّرۡتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٩].

الفوائد:

يدلُّ قولُهُ تعالى: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أن لا موت ولا حياة في القبر، وأن لا موت آخر غير الـموت في الحياة الدنيا. كما تدلُّ جملة: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ أن اللهَ أفضل الـمتكلمين، وقد جعل القرآن مُيَسَّرًا سهلاً كي يفهمه كل إنسان؛ إذن فلن يقبل اللهُ عُذْرَ من يقول: نحن لا نفهم القرآن، بل يجب عليهم أن ينتبهوا إلى القرآن ويتدبروه ويرجعوا إليه كي يفهموه.

١- ذكر الفخر الرازي في **التفسير الكبير**، (٢٧/ ٢٥٢) أن أبا جهل كان يقول لرسول الله ﷺ: «ما بين جبَلَيْها أعزُّ ولا أكرم منِّي، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا!!».

سورة الجاثية

مكيَّة وهي سبع وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ
لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ
وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ
ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ
بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [الجاثية: ١-٦].

الفوائد: مرَّةً أخرى ذكر اللهُ حرفي الحاء والـميم لبيان عظمة القرآن وإعجازه، ليُعلم أن آيات القرآن مُركَّبة من هذه الحروف عينها، فإن استطاعوا فليأتوا بمثل هذه الآيات من هذه الحروف الـمتداولة بينهم، وقد سُمِّيت هذه السورة بالجاثية لمجيء الكلام عن جُثُوِّ الأُمم على رُكَبها يوم القيامة.

وقد ذكر اللهُ تعالى آيات قدرته لعباده كي يتفكروا فيها ويتعرَّفوا على الخالق بواسطة آيات الخلقة.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ﴾ أن الناس إن لم يؤمنوا بالقرآن وآياته وإن لم يجدوا سعادتهم فيها فلن يجدوا السعادة في أي حديث أو كلامٍ آخر.

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ٧ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ

يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الجاثية: ٧-١١].

الفوائد: بيَّن اللهُ تعالى في هذه الآيات درجات الرذالة وهي: أولاً: الكذب؛ وهو مفتاح الآثام جميعًا، واعتياد الكذب يجرُّ الإنسان إلى الرذيلة الثانية وهي أن يرى العار في سماع كلمة الحق ويُصرَّ على جهله واستكباره إلى أن يصل إلى المرتبة الثالثة وهي أن يَسْخَرَ من الكلام الحقّ، عندئذٍ يكون عذابه عذابًا مُهينًا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية: ١٢-١٥].

الفوائد: لقد تجلَّت قدرة اللهِ – في آياته وما خلقه من أمور، لأجل أن يستفيد البشر من البحر ويُسخِّروه لخدمتهم –، فيما يلي:

الأول: أجرى الرياح كي تُحرِّك السفن.

الثاني: أسال الماء كي تتمكن السفن من شقِّه والعبور فيه.

الثالث: جعل الخشب على نحو يطوف فوق الماء، فمعنى تسخير الله للبحر لأجل الناس هو هذا الذي ذكرناه.

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ الأيام التي حلَّ بها عذاب الله على قوم من الأقوام أو التي نجَّى اللهُ فيها قومًا من الأقوام أو أنعم عليهم. وجملة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ كالمثل. ومعنى: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يخافون أيام الله من شدة جهلهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الجاثية: ١٣-١٧].

الفوائد: بيَّن اللهُ تعالى للأمة الإسلامية النِّعم التي أنعم بها على بني إسرائيل كي يعتبروا منها. وللأسف لم تعتبر هذه الأمة(١) بل فتحت حوانيت الاختلاف والتفرقة حسدًا وظلمًا واتِّباعًا للهوى وطمعًا ورغبةً في الشهرة فأوجد كلُّ جماعة فرقةً لأنفسهم وبثُّوا الفرقة بين الأمة مع أنهم كانوا عالمين بحرمة التفرقة، ولو رجعوا إلى القرآن لرُفع الاختلاف من بينهم ولكنهم رجعوا إلى أخبارهم الموضوعة وزادوا نار الفرقة اشتعالاً وظنَّت الأجيال اللاحقة من كل فرقةٍ من المسلمين، لحسن ظنها بأسلافها، أن هذا الاختلاف هو حقها. يُراجع في ذلك الآية ٢١٣ من سورة البقرة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ١٨-٢١].

الفوائد: كان الـمُشرِكُون في مكة يقولون لرسول الله ﷺ: اتَّبع آباءَك، فأجابهم الله بأنْ أَمَرَ رسولَه ﷺ وقال: لقد جعلنا لك شريعةً وطريقةً مستقلةً فاتَّبِعْها.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أن القرآن مفيدٌ لعامة الناس ويؤدِّي إلى بصيرتهم وهدايتهم، وإن رجعوا إليه في أمر دينهم فسيهتدون ويُبصرون الحقَّ قطعًا، ولن يتمكن أهل البِدعة والخرافات من خداعهم وإضلالهم بل سيخرجون من حالة

١- يعني كثيرًا من الأمَّة.

الشكّ والتردُّد ويصلون إلى اليقين لأن ذيل هذه الآية يقول: ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾.

وجملة: ﴿سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡ﴾ ردٌّ على الوُعَّاظ وقُرَّاء المراثي الذين يتصوَّرون أنهم بتوسُّلاتهم وبكائهم الكاذب الذي لا سند له، سيجعلون المُجرمين المُسيئين مساوين للمؤمنين الصالحين ولاحقين بهم.

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٢ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٣﴾ [الجاثية: ٢٢-٢٣].

الفوائد: معنى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي «**لم يخلقها بالباطل**» وهذه الجملة تدل على أن خالِقَ العالَمِ حكيمٌ، وأن لخلقه غايةً وهدفًا، لأن العمل الذي لا هدف له باطلٌ. وقد بيَّنَ اللهُ تعالى هذا الهدف بقوله: ﴿وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾، فإن لم يكن هناك يومٌ للحساب والجزاء كان ذلك مخالفًا للعدل ومناقضًا للحكمة.

ومعنى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ أي أن اللهَ كان يعلم بعلمه أن مثل هؤلاء الأشخاص أعرضوا عن الحقّ وخرَّبوا مَلَكَاتِهم واستعداداتِهم الفطرية واختاروا الضلال فأوكلهم اللهُ إلى ضلالهم وخلَّى بينهم وبينه ولم يهدهم. وجعل بعضُهم جملةَ ﴿عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ راجعةً إلى العبد المُتَّبع لهواه وقالوا: إن مثل هؤلاء الأشخاص اختاروا الضلال عن علمٍ ومعرفةٍ وساروا في طريقه رغم علمهم.

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٢٤ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٥ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ۝٢٧﴾ [الجاثية: ٢٤-٢٧].

الفوائد: يجب أن يقوم كل مسلك ودين على الأدلة العقلية القطعية، فبعض الناس يقولون:

إن الذي يُحيي ويُميت هو الدهر، فإن كانوا يقصدون من هذا الكلام حقيقته، وكانوا يجعلون للدهر شعورًا وحياةً، فإن هذا دليلٌ على عدم إدراكهم وأنهم مُقلِّدون ومُتَّبعون للظنّ. أما إن كانوا يقولون هذا الكلام من باب المجاز فلا إشكال في ذلك كما قال الشاعر:

أشاب الصغير وأفنى الكبير كَرُّ الغداة ومَرُّ العشي

وقد نَظَمَ الشعراءُ من العرب والفُرس مثل هذه الأشعار من باب التوهُّم. وليست المادية أمرًا حديثًا، بل كان هناك منذ القِدم مثل هؤلاء الأشخاص الدهريين الماديين، كما يذكر لنا القرآن ذلك، وقد روى لنا أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أحد مناقشات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم للدهريين ومن جملة ذلك أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم:

«... فهذا الذي تشاهدونه من الأشياء: بعضُها إلى بعض يفتقر، لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل به، كما نرى البِنَاء محتاجًا بعض أجزائه إلى بعض، وإلَّا لَمْ يتَّسق ولم يستحكم، وكذلك سائر ما نرى. وقال أيضًا: فإذا كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتمامه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثًا كيف كان يكون وماذا كانت تكون صفته؟! قال: فبُهتوا وَعَلِمُوا أنهم لا يجدون للمحدَث صفةً يصفونه بها إلا وهي موجودةٌ في هذا الذي زعموا أنه قديم»[1].

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٨-٣٢].

الفوائد: ﴿جَاثِيَةً﴾ معناها باركة على رُكبها، وتدل هذه الآية على أن جميع الأُمم - بما في

١- أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطَّبْرِسي (من علماء القرن السادس الهجري)، **الاحتجاج على أهل اللجاج**، طبع مشهد، ١٤٠٣هـ، ج١/ ص ٢٥ - ٢٦.

ذلك المسلمين – سوف تجثو على رُكبها خوفًا وعجزًا، ولم يقل في هذه الآية أن كل شخص سيُدعى بكتابه بل قال: يوم تُدعى كلُّ أمةٍ إلى كتابها، وفي نظرنا المراد من الكتاب هنا كتاب الأمة السماويّ، أي أنه سيُنظر هل عملت الأمة بكتابها السماوي؟ هل فهمته؟ هل تدبرت كتابها أم لا؟ ومما يبعث على الأسف أن المسلمين جاهلون تمامًا بكتابهم السماويّ. وينبغي أن نعلم أن كل كتابٍ تكون مطالبه واضحةً بليغةً يُمكن أن نُطلق عليه الكتاب الناطق، وقد اعتبر أمير المؤمنين عليّ ﷺ – في نهج البلاغة في الخطب ١٤٥، ١٥٨، ١٨١ و٣١ –القرآنَ كتابًا ناطقًا.

وبناءً على ما تقدَّم، فإن الآمال العريضة التي تبعث على الغرور التي يُشيعها الوُعَّاظ بين الناس مخالفةٌ تمامًا للقرآن، لأن القرآن يقول: إن جميع الأعمال سيتمُّ النظر فيها والمحاسبة عليها وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الجاثية: ٣٣-٣٥].

الفوائد: يُسْتَفَادُ مِنْ هذه الآيات أن الأشخاص غير المبالين وغير المحتاطين والذين يعيشون بلا هدف وبلا قِيَمٍ ومن دون أي قيدٍ [أخلاقي] ناسين للآخرة تمامًا، سوف يكون مأواهم النار لأنهم لم يستمعوا إلى آيات الله ولم يُفكِّروا بها فكان حالهم يُشبه حال من كان ناسيًا لها.

وَالمقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أن اللهَ سيُجازيكم على إهمالكم وتناسيكم للآخرة بأن يُعاملكم بالمثل، أما المعنى الحقيقيّ للنسيان فلا يجوز على اللهِ سبحانه وتعالى.

﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

الفوائد: لما أوعد اللهُ العُصاة من الناس وحثَّهم على الاستيقاظ من نوم الغفلة ومن عدم

اكتراثهم بمصير أنفسهم، ذكَّرهم بأن الحمد خاصٌّ بـاللهِ تعالى، والكبرياء كذلك خاصٌّ به؛ فلا يجوز لأحد أن يتكبَّر على الآخرين.

انتهت ترجمة سورة الجاثية في شهر صفر عام ١٣٨٧ هـ. ق.

سورة الأحقاف

مكية وهي خمس وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [الأحقاف: ١-٣].

الفوائد: المقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ﴾ عظمة القرآن وإثباتها. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أن العالَم لم يُخلَق ليبقى إلى الأبد بل خُلِق ليبقى مدَّةً مُسمَّاةً أي مُعيَّنةً في علم الله.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾ [الأحقاف: ٤-٦].

الفوائد: هذه الآيات تتعلَّق بنداء غير الله. وعبارة: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معناها: غير الله، ولو اعتبرنا «**دُون**» بمعنى من هو أدنى رتبةً لكان المعنى نفسه أيضًا. وَالمقْصود مِنْ: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الأولياء والعقلاء الذين يُحِبُّهم الناس ويؤمنون بهم، وذلك بدليل «**مَنْ**» الموصولة وضمير «**هُمْ**» وجمع ﴿غَٰفِلُونَ﴾ التي تُطلق كلها على المدعوين العقلاء، لا على الأصنام

الجامدة. إضافةً إلى ذلك تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ وجملة: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أن المقصود من المدعُوِّين: الأولياء والعقلاء الذين سيكونون يوم القيامة أعداءً لمن كان يدعونهم وسوف يرفضون عبادة الناس لهم ويتبرؤون منهم. ويمكن أن يُقَال: إن المشركين لا يعبدون الصنم من حيث إنه خشب أو حجر، وإنما يعبدونه لاعتقادهم أن الأصنام تماثيل الأرواح السماوية، أو تماثيل الأنبياء والأولياء الصالحين الذين مضوا، ويكون مقصودهم من عبادتها توجيه تلك العبادات والنداء والدعاء إلى تلك الشخصيات العظيمة التي جعلوا هذه التماثيل صورًا لها. وقد اعتبر اللهُ -في هذه الآية- من يفعل ذلك مِنْ أضلِّ الناس.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ جملة: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أن المشركين كانوا ينادون تلك الشخصيات للعبادة ويدعونها -والدعاء مظهر من مظاهر العبادة- لا من باب المناداة التي تكون للحاجات اليومية والتعاون العرفي، ولذلك إذا قال شخصٌ للطبيب: أعطني دواءً أو نادى شخصٌ آخر وطلب منه العون وسأله أن يقوم له بالعمل الفلاني فلا إشكال في ذلك لأنه مناداةٌ لشخصٍ حاضر وطلب العون منه في أمر هو من الحاجات العرفية ومن التعاون الذي يكون بين البشر، ولكن الآية اعتبرت دعاء الأولياء (أي مناداتهم لطلب العون منهم) ضلالاً لأنهم رحلوا عن الدُّنْيَا ولم يعودوا فيها حاليًا، بل صاروا بعيدين عن عالم الدُّنْيَا ولم يعودوا حاضرين وناظرين، فدعاؤهم مخالفٌ للعقل، لذا قال رسول الله ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي وإنما يُستغاث بالله**»(١).

يقول بعض الضالين: أليس أولياءُ اللهِ أحياءً [فما المانع من مناداتهم وطلب العون منهم]؟

ونقول في الجواب: **أولاً**: كونهم أحياء لا يكفي مُبررًا لدعائهم لأنه ليس كل حيٍّ عالـمًا بكل شيء وبما يجري في كل مكان، وليس كل حيٍّ حاضرًا في كل مكان يسمع آلاف الأصوات، كما أنه ليس كلُّ حيٍّ مطيعًا لدعاء كل شخصٍ فيُهرع إليه على الفور ويحضر عنده ليسمع دعاءه. بل هذا

١- الحافظ الهيثمي، **مجمع الزوائد**، كتاب الأذكار/ باب ما يستفتح به الدعاء (١٠/ ١٥٩) عن عبادة بن الصامت رفعه، وقال بعده: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث».

الأمر خاصٌّ باللهِ السميع البصير فقط: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. نعم، لا شك أن شهداء بدر وأُحد وسائر الشهداء من زمن آدم إلى هذا اليوم، وكذلك المؤمنون الحقيقيون، كلهم أحياءٌ عند ربِّهم ومن أولياء الله، ولكن لا يُمكننا أن نقول: إنهم حاضرون وناظرون في كل مكان وعالمون بكل شيء، بل الله وحده هو المحيط بكل شيء. **ثانيًا**: جميع أولياء الله يرحلون عن هذه الدُّنْيَا ويعيشون في عالَم البرزخ الذي هو عالَم حائل (أي فاصل) بين الدُّنْيَا والآخرة، بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، فهم أيضًا يموتون كما يموت الأَنْبياء جميعهم وكما قال الله لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] فكيف لا يموت أولياء الله؟! بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، لو فرضنا أنهم أحياء، فإنهم أحياءٌ بحياة أخروية، والحياة الدنيوية تختلف عن الحياة الأخروية. وآيات القرآن صريحةٌ بأن من ماتوا ورحلوا عن الدُّنْيَا لم يعد لهم علم ولا اطلاع على ما يجري فيها. بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، فإن شعبنا – كما قالت الآيات المذكورة أعلاه- أضلّ الضالين لأنهم يدعون غير الله في عبادتهم.

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ۝٧ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَلَا تَمۡلِكُونَ لِي مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِۚ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٩﴾ [الأحقاف: ٧-٩].

الفوائد: كان لدى المُشْرِكين بعض الشبهات للدفاع عن شركهم وإبطال نبوة رسول الله ﷺ: الشبهة الأولى: أنه ﷺ ساحر. الشبهة الثانية: أنه افترى على الله، ولما لم يكن لهذه الشبهات أي تأثير، قالوا: إن كان محمَّدٌ نبيًّا حقًّا فلماذا لا يأتينا بمعجزة، ولماذا لا يُطلعنا على الغيب؟ يقول الحقّ تعالى: قُلْ أنا نبيٌّ مثل سائر الأَنْبياء مهمتي هي الإنذار والبشارة ولستُ بِدعًا من الأَنْبياء، فلا أملك صفات تختلف عن صفات سائر الأَنْبياء، ولا علم لي بدنياي وهل سأنتصر على أعدائي أم سأُغلب؟ وماذا سيحلّ بي وماذا قُدِّر عليّ وعليكم؟

وعلى كل حال، لدينا في كتاب اللهِ مثل هذه الآيات، لكن الناس في زماننا أصبحوا أسوأ من

مشركي ذلك الزمن؛ إذْ يدَّعون أن أحفاد النبيّ والأئمة من ذريته يعلمون كل شيء، ويعلمون بما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ويعلمون عاقبة أمرهم وأمر الناس!! وباختصار، إنهم لا يقبلون النبيّ الحقيقيّ، بل يؤمنون بنبيّ ذي صفات إلهية ورغم ذلك يعتبرون أنفسهم من المسلمين.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف: ٨-١١].

الفوائد: إحدى موارد الظلم أن يُنكر الإنسان حقيقةً من الحقائق دون تحقيق، كما فعل مشركو مكة.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ....﴾ أن أحد علماء بني إسرائيل شهد بصدق رسول الله ﷺ وصحة القرآن، ولكن لما كانت هذه الآيات قد نزلت في مكة ولم يكن هناك في ذلك الحين شخصٌ معروفٌ من أهل الكتاب اعتنق الإسلام، فمن الممكن أن يكون هذا الشاهد شاهدًا نوعيًّا، مثل عبد الله بن سلام الذي جاء إلى رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة وتحاوره مع اليهود فيها، وسأله عن عدة مسائل وسمع منه إجابةً صحيحةً فآمن به، ولكنه قال للنبيِّ ﷺ: «**يَا رَسُولَ الله! إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهتٌ، وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلَامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي. فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ: **أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللهِ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابنُ أعْلَمِنَا. قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ؟ فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ! فَخَرَجَ عَبْدُ اللهِ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ! قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللهِ**»[1]. وقد بشَّره النبيُّ ﷺ

١- **صحيح البخاري** (٤٢١٠) دون عبارة (وَأَعْلَمُنَا وَابنُ أَعْلَمِنَا).

بالجنة[1]. ومن الـممكن أن نقول: إنه في الفترة التي كان رسول الله ﷺ لا يزال فيها في مكة (قبل الهجرة) آمن بعض أحبار اليهود مثل: ابن صوريا، وحتى إن لم يُسلموا فقد شهدوا بصحة رسالته ﷺ.

﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٢-١٤].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ أن التوراة كانت بالنسبة إلى موسى وأمته إمامًا، والقرآن كذلك إمامٌ بالنسبة إلى رسول الله ﷺ وجميع أمته، فالأخبار التي تمّ الترغيب فيها بمعرفة الإمام واتّباعه تتعلّق جميعها بالقرآن الكريم. وقد اعتبر أمير الـمؤمنين عليّ عليه السلام في كلماته، كما في أدعيته الـمجموعة في الصحيفة العلوية وفي الخطبة ٨٦ من نهج البلاغة، القرآنَ إمامَه وإمامَ الآخرين. ويجب أن يكون القرآن كذلك لأن الله تعالى أمر رسولَهُ ﷺ مرارًا باتّباع القرآن والاقتداء به: وَيُسْتَفَادُ مِنْ كلمات أمير الـمؤمنين عليّ عليه السلام في نهج البلاغة أن القرآن إمام الأمة جميعها، كما أوضحنا ذلك في مقدمة هذا الكتاب.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟

١- ونص البشارة كما رواها **البخاري في صحيحه** (٣٦٠١) ومسلم **في صحيحه** (٦٥٣٥) وغيرهما: «عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ...﴾ الْآيَةَ».

يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف: ١٥-١٦].

الفوائد: أوصى اللهُ في هذه الآيات بالوالدين وحثَّ بشكلٍ خاصٍّ على البرِّ بالأمّ وذكَّر بحملها للإنسان وتحمُّلها المشاقّ مما يدل على أن حقّ الأمّ أكثر من حقّ الأب. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أن أقلَّ مدة الحمل ستةُ أشهر، وأن مدةَ الرضاع سنتان ومجموعهما ثلاثون شهرًا، كما ذكَّر اللهُ تعالى بسنّ اشتداد قوة الإنسان وهو سنّ الأربعين، فواجب الإنسان يزداد ثِقَلاً في سنّ الأربعين، وكما ذكَّرت الآيَةُ أن على الإنسان عند بلوغه هذه السنّ أن ينصرف إلى الشكر والعمل الصالح وطاعة اللهِ طاعةً تامةً كاملة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**أَبْنَاءُ الْأَرْبَعِينَ زَرْعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهُ**»[1]. وجاء في حديث آخر «**إِنَّ الْعَبْدَ لَفِي فُسْحَةٍ مِنْ أَمْرِهِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَإِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَى مَلَكَيْهِ: قَدْ عَمَّرْتُ عَبْدِي هَذَا عُمُراً فَغَلِّظَا وَشَدِّدَا وَتَحَفَّظَا وَاكْتُبَا عَلَيْهِ قَلِيلَ عَمَلِهِ وَكَثِيرَهُ وَصَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ**»[2]. (نعوذ بالله).

﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ١٨ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ١٩﴾ [الأحقاف: ١٧-١٩].

الفوائد: إن نماذج الآية ١٧ هم شباب مجتمعنا الذين يُنكرون كل شيء، وبسبب دخول الخرافات إلى الدين، أصبحوا يعتبرون أصل الدين وأساسه خرافة، فيجب بيان حقائق الدين بشكلها الكامل وفصلها عن الخرافات، كي لا يُقضى على الدين في المجتمع. وكلمة: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ...﴾ إشارة إلى هؤلاء الأبناء الذين كانوا يقولون للأب والأمّ: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ...﴾.

١- النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ١٢/ ١٥٧، ضمن حديث عن رسول الله ﷺ دون سند.

٢- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٨/ ١٠٨.

﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ۝٢٠﴾ [الأحقاف: ٢٠].

الفوائد: يسَّرَ اللهُ لَذَّاتِ الدُّنْيَا والانتفاعَ بها للكفار، ولكن لن يكون لهم في الآخرة نصيب. أما بالنسبة إلى المؤمنين فيجدر بهم أن لا يتعلَّقوا كثيرًا بهذه الدُّنْيَا الحقيرة الخادعة كي لا يخسروا آخرتهم. وعلى كل حال، فإن متاع الدُّنْيَا وطيِّباتها حسنةٌ لمن لا يُفتن بها.

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٢ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ۝٢٣ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٥﴾ [الأحقاف: ٢١-٢٥].

الفوائد: المقصود من ﴿أَخَا عَادٍ﴾ حضرة النبيّ هود عليه السلام الذي بيَّن اللهُ تعالى قصته في سورة هود، وكانت أرض قوم عاد صحراء صخرية قرب حضرموت من ولايات اليمن، والأحقاف جمع حِقْف بمعنى الرمل.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ....﴾ أن اللهَ بعث أنبياء قبل هود وبعده ولم تُذكر أسماؤهم في القرآن. و«تُدَمِّرُ» مشتقة من التدمير بمعنى الإهلاك، ولكنه إهلاكٌ مع الدمار.

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٢٦ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ۝٢٧ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ

ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأحقاف: ٢٦-٢٨].

الفوائد: يَتَبَيَّنُ من هذه الآيات أن قوم عاد وثمود والقرى الأخرى في أطراف الحجاز (الجزيرة العربية) كانوا يعبدون غير الله بحُجَّة أن هذه المعبودات تُقرِّبهم إلى الله في حين أنها في الواقع تُبعدهم عن التوحيد وتُسبِّب هلاكهم، وكل ما اخترعوه من آلهة وحُجج كذبٌ وافتراءٌ، فعلى أهل زماننا أن يستيقظوا من غفلتهم قبل أن يحلّ بهم الموت.

﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢].

الفوائد: كان النفر من الجِنِّ سبعة أفراد من الجِنّ جاؤوا إلى رسول الله ﷺ في وسط الطريق أثناء عودته من الطائف وما لقيه من أهلها من أذى، فآمنوا به، ويُستفاد من مثل هذه الآيات أن الجِنّ مُكلَّفون أيضًا وأن منهم الكافر والمؤمن.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣-٣٥].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ أن رسول الله ﷺ كان يطلب تعجيل نزول العذاب لكثرة ما كان يتعرَّض له من أذى قومه، أو أن الكفار أنفسهم كانوا يطلبون نزول العذاب، فنهاه اللهُ عن الاستعجال حتى يكفوا عن كفرهم. والمقصود من جملة: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ

إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ اللبث والتوقف في الدُّنْيَا أو في عالـم البرزخ، وظاهر الآيات هو التوقف في البرزخ، حيث يتبيَّن أن عالَمَ البرزخ هو عالَمَ ضَعْفِ الوَعِي ويُشبِهُ النوم.

سورة محمد

مدنية وهي ثمان وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾ [محمد: ١-٣].

الفوائد: تأتي عبارات: ﴿أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾، ﴿فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ «**وَأَبْطَلَ أَعْمالَهُمْ**»[1] أحيانًا بمعنى واحد، وكل واحد من هذه المفردات يأتي أحيانًا بمعنى الآخر، ويُمكن توجيه عبارة إضلال الأعمال بعدَّة وجوه:

الأول: سقوط الأعمال بسبب الكفر والسيئات.

الثاني: بطلان العمل لفقدان شروطه.

الثالث: «لا عمل إلا بمن له العمل، وعمل الكافر ليس لِلَّهِ».

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ

١- ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣].

وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦﴾ [محمد: ٤-٦].

الفوائد: المقصود من: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ﴾ المنُّ على الأسرى وتحريرهم دون مقابل. والمقصود من: ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أخذ مبلغ من المال يُحدِّده وليّ أمر المسلمين من كل أسير لِقاءَ تحريره.

والمقصود من: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ أنه على المسلمين القيام بواجب الجهاد حتى لا تبقى آثار قوة الكفار وتضمحلُّ قواهم بشكل كامل.

والمقصود من: ﴿لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ﴾ أن يقضي الله تعالى عليهم إما بزلزال أو بصاعقةٍ أو بمجاعةٍ أو بغير ذلك، فلا يُكلِّفكم بجهادهم عندئذٍ، ولكنَّ اللهَ تعالى أمر بالجهاد كي يمتحنكم.

والمقصود من: ﴿عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ أنَّ اللهَ عرَّف المؤمنين في الدُّنْيَا بالجنَّة أو عرَّفها للمؤمنين لحظة نزع الروح. والمقصود من: ﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ أن يُصلحَ اللهُ عمل دنياهم وآخرتهم. أما الدُّنْيَا فيُهيئ لزوجة المؤمن وأولاده مُعيلاً وقيِّماً بأمرهم، وأما في الآخرة فيُبدِّل الله سيئاتهم حسنات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩﴾ [محمد: ٧-٩].

الفوائد: نُصرة الله تكون بنُصرة دينه. والمقصود من: ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ يحفظكم ويمنع عنكم الآفات والبلايا ويُؤيِّدكم بالملائكة. وفاعل: ﴿وَأَضَلَّ﴾ وكذلك فاعل: ﴿فَأَحۡبَطَ﴾ هو الله تعالى.

﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ۝١١ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢﴾ [محمد: ١٠-١٢].

الفوائد: المقصود من السير في الأرض أن يرى الإنسان كيف غُلب سلاطين الدُّنْيَا الأقوياء

وذهبوا من الدُّنْيَا لا يملكون منها شيئًا أو هلكوا.

وجاء في الرواية أن آية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تُشير إلى يوم أُحد حيث قُتِل جماعةٌ من المسلمين أو جُرحوا. وكان رسول الله ﷺ في وسط منطقةٍ من وادي الجبل، فأمر أبو سفيان الكفار أن يقولوا: «اعلُ هُبل، اعلُ هُبل»، فأمر رسول الله ﷺ المسلمين أن يُجيبوه قائلين: «**الله مولانا ولا مولى لكم**».

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٣-١٤].

الفوائد: رُوِيَ أنه لما أخرج الكفار رسولَ الله ﷺ من مكة وذهب حضرته إلى غار ثور، ألقى نظرةً إلى مكة وقال: «**أنتِ أحبُّ بلاد اللهِ إليَّ ولولا أن أهلك (المشركين) أخرجوني منكِ لما خرجت**»[1]؛ فأنزل اللهُ تعالى عليه هذه الآيات تسليةً له.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمد: ١٥].

الفوائد: إذا اعتبرنا جملة: ﴿كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ﴾ خبرًا لجملة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ لم نحتج إلى تقدير محذوف، ويكون المعنى: هل وصف الجنة وأهلها مثل النار وأهلها؟ وهذه الجملة في مقام إنكار المثلية، أي أن وصفهما ليس متماثلاً. وعلى كل حال، الخمر الذي جاء ذكره في هذه الآية ليس كخمر الدُّنْيَا الذي يُسبب السُّكْرَ وزوالَ العقل بل هو خمرٌ

١- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٦/ ٢٣٥. والحديث أخرجه الطبراني في **الكبير** (١٢/ ٣٦١، رقم ١٣٣٤٧)، وأبو يعلى في **المسند** (٥/ ٦٩، رقم ٢٦٦٢) قال الهيثمي في **المجمع** (٣/ ٢٨٣): رجاله ثقات.

لأجل اللذة والنشاط فقط.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾﴾ [محمد: ١٦-١٨].

الفوائد: كان الذين يهتمّون بالوحي يجلسون إلى جوار رسول الله ﷺ ويُصغون إليه بكل حواسهم، أما الذين لم يكونوا يهتمون بالوحي ولا يكترثون به فلم يكونوا يفهمون ما يقوله، فإذا خرجوا من عند رسول الله ﷺ كانوا يسألون العلماء من أصحابه ﷺ: ماذا قال آنفًا؟! وهذا دليلٌ على نفاقهم وأن اللهَ طبع على قلوبهم بخاتم النفاق. أما الذين كانوا يطلبون الهداية، أو الذين اهتدوا ووصلوا إلى حقيقة الهدى فإن اللهَ كان يزيد في هداهم.

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أنه لابدّ أولاً من العلم ثم العمل، وأنه لابدّ أن يكون التوحيد عِلْمًا لا تقليدًا، وأن كلَّ من يُذْنِب، فإنَّ عِلْمه بالتوحيد ناقصٌ.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ على ذنب الرسول وعدم عصمة الأنبياء، ولكن يجب أن نعلم أن ذنب رسول الله ﷺ كان جزعه من أذى قومه واستعجاله الفرج من الله، بقرينة ذكر هذا الذنب ضمن آيات الجهاد وانتصاره على الأعداء، أي أن اللهَ تعالى لما رزق رسولَهُ الفتحَ والانتصار على الكفار قال له: استغفر الآن من ذنب قلة صبرك وقلة صبر المؤمنين والمؤمنات وتُب من ذلك، وطبقًا لهذه الآية كان رسول الله ﷺ يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات. وإذا كان الأمر كذلك فالعجب من قول الذين يرتكبون جميع أنواع الذنوب بحُجَّة أن الأئمة سيكونون شفعاءهم وسيتوسطون لهم - كما يفعل أصحاب المحسوبيات والوساطات في الدنيا - ويعفونهم من العقاب ويُدخلونهم الجنة يوم القيامة! حقًّا

ينبغي أن يُرْثَى لحال من يفكر بهذه الطريقة.

وعلى كل حال، يُستفاد من هذه الآيَة وأمثالها عدم عصمة فرد مُعيّن من الأفراد، هذا إضافةً إلى ما ذكرناه من كلمات الأئمة التي تدل صراحةً على عدم عصمتهم. وكان عليٌّ عليه السلام يقول -في نهج البلاغة-: «**فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ....**»[1]. وقد أوضحنا هذه المسألة في التعليق على آية التطهير في سورة الأحزاب وفي سور أخرى. هذا إضافةً إلى الدليل العقليّ، لأنه لو فرضنا أن هناك إنسانًا معصومًا ذاتًا ولا يملك القدرة على ارتكاب الذنب، وأن اللهَ خلقه على هذه الصورة، فمثل هذا لا يستحق الأجر على تركه الذنب ولا فضيلة له في التقوى وترك المُحرّمات، والذي يحفظ نفسه رغم أنه ليس بمعصوم ويجتنب الإثم والذنب أفضل منه وأعلى رتبةً. أضف إلى ذلك أنه لو كان الأنبياء والأولياء معصومين خلقةً ولم يكن سائر البشر كذلك، وتركوا الذنوب، لوجب أن يكون مقامهم أعلى من مقام الأنبياء والأولياء مع أن الأمر ليس كذلك.

ثم إن الذي يدَّعي أن الأنبياء والأولياء معصومون يجب أن يأتي بدليل من كتاب الله، ولا يوجد في الواقع دليلٌ على ذلك في كتاب الله بل ذُكر في القرآن أن أكثر الأنبياء ارتكبوا بعض الذنوب أو أنهم كان من الممكن أن يرتكبوها، كالآية ١٢١ من سورة طه ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾، والآية ١٥ من سورة الأنعام: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾، والآية ٢٣ من سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾، والآية ١٦ من سورة القصص: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾، وآيات أخرى.

علاوةً على ذلك، إذا كان الأنبياء والأولياء معصومين ذاتًا فلن يكونوا قدوةً للناس ولا أُسوةً لهم، ولا يُمكن لمن كان ذا جسم وبدن أن يُقال له: يجب أن تسير وراء النور!

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ

---

١) **نهج البلاغة**، قسم الخطب، الخطبة ٢١٦.

رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٠-٢٣].

الفوائد: المؤمنون مستعدون دائمًا لطاعة الله وينتظرون الأمر بالجهاد، ولكن المنافقين يكرهون أوامر الله، ويتظاهرون بانتظارهم لأمر الجهاد لكنهم في الواقع ينفرون من الجهاد ويخافون منه، وهذه الآيات تتعلق بالمنافقين، والظاهر أن جملة: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ﴾ طعن بالمنافقين وتوبيخ لهم أي أن طاعتكم وكلامكم الجميل هو هذا، ولكنكم إذا وصلتم إلى الحكم فسوف تُفسدون في الأرض وتُقطِّعون أرحامكم، وهذا إخبارٌ بالغيب لأنه في كل زمن تصدَّى فيه مثل هؤلاء الأفراد المنافقين للحكم لم يفعلوا شيئًا سوى الفساد في الأرض. والآيات التالية تتعلق بهؤلاء الأشخاص أنفسهم الذين لا يتدبّرون القرآن ويكرهون ما أنزل اللهُ فيه من أحكام.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٤-٢٨].

الفوائد: جملة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ....﴾ استفهامٌ توبيخيٌّ يُوبِّخهم اللهُ تعالى فيه على عدم تدبُّرهم القرآن. يقول الطبرسيّ في تفسير هذه الآية: إن تدبُّر القرآن واجبٌ وفي هذا دلالةٌ على بطلان قول من يقول: لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبرٍ وسمعٍ[1] (أي إلا بحديث مرويّ عن الإمام).

١- الطبرسيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ١٠٤.

وذلك لأن اللهَ أوجب تدبُّر القرآن على الـمنافقين والكفار الذين كانوا لا يؤمنون بالإمام ولا بالرسول. وحقيقةً القرآن قابلٌ للفهم تمامًا دون حديث الإمام.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ أن كل من لا يتدبَّر القرآن أو لا يفهمه فقد ضُرب على قلبه بقفل الكفر والنفاق.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أن كل من يكره آيات القرآن منافقٌ أو كافر.

﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٠ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ ٣١ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ [محمد: ٢٩-٣٢].

الفوائد: حرف «**لو**» في جملة: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ﴾ حرف امتناع أي من الـمُحال أن نُريك الـمنافقين. وتدل عبارة: ﴿فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡ﴾ أننا لو أردنا لكتبنا على صورهم هذا منافق أو لـمسخناهم أو لوضعنا عليهم علامةً تدل على نفاقهم، ولكن اللهَ سِتِّير وليس كشافًا للعيوب لذلك لم يقم بهذا الأمر. من هنا يتبيَّن أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف كثيرًا من الـمنافقين. فالجاهلون الذين يقولون: إن رسول الله ﷺ كان يعلم كل شيء وكان مطلعًا على أحوال كل إنسان ليس عندهم أي علم بهذه الآيات. لم يكن رسول الله ﷺ يعلم منافقي زمنه فما بالك بأن يعرف حقيقة الناس في كل زمن؟ وعلى كل حال، فإن عقائد الناس في زماننا كلها مخالفة للقرآن[1]. ولذلك فهم يتهمون بعض الأفراد بالنفاق دون دليل على ذلك رغم أن الذي يعلم بأحوال العباد هو الله وحده.

١- من الواضح أن مقصود الـمؤلف من (الناس) ليس كل الـمسلمين، بل الـمعاصرين له في بلده إيران، فتعبيره من باب العام الذي يُراد به الخاص، وهو يشير إلى ما أصاب عامة الشيعة الإمامية في بلده من انحرافات في العقائد والسلوك.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ٣٤ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٥ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ٣٦﴾ [محمد: ٣٣-٣٦].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ على عدم جواز إبطال العمل، فينبغي على الإنسان أن لا يُبطل عمله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، سواءً كان هذا العمل صلاةً أم صيامًا أم جهادًا أم أي عمل آخر.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ﴾ على أن مناط السعادة والشقاء هو حال الإنسان حين موته، فإن مات الإنسان على حال الكفر لم يكن قابلاً لغفران ذنوبه أما إن مات على حال الإيمان فيُمكن أن تُغْفَرَ ذنوبُهُ.

﴿إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ٣٧ هَـٰٓأَنتُمۡ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾ [محمد: ٣٧-٣٨].

الفوائد: نزلت هذه الآيات قبل أن تنزل آيات فرض الزكاة، ويُخبرنا اللهُ في هذه الآيات أنكم ستُدعون قريبًا إلى أداء الزكاة فمنكم من سيبخل وسيعود عليه بخله بالوبال والخسران، لأن اللهَ ليس بحاجةٍ لمال أحد، وإذا أَمَرَ رسولَه ﷺ أن يأخذ منكم الصدقات ساءكم ذلك وحقدتم عليه في حين أنكم جميعًا محتاجون إلى الله ولا تملكون شيئًا من أنفسكم وأنتم أنفسكم أحد مصارف الزكاة.

سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾ [الفتح: ١-٣].

الفوائد: ﴿فَتَحۡنَا﴾ فعل ماضٍ، وسبب ذلك أن الوعد بالفتح وعدٌ محقق الوقوع وإن كان سيقع في المستقبل فجاء بلفظ الماضي لتحقق وقوعه، والذنب الذي غفره اللهُ لرسوله ومنَّ عليه بذلك هو جزعه وفقدانه الصبر قبل الهجرة والجهاد أو بعد الهجرة والأمر بالجهاد وقبل الفتح، بقرينة أنه في كل موضع جاء الكلام فيه عن الفتح والانتصار ذُكر فيه مغفرة الذنب، فهذا قرينةٌ على أن ذنب حضرة النبيّ ﷺ كان فقدانه الصبر (واستعجاله النصر)، كما جاء ذلك في سورة النصر: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ . وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا . فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ...﴾ [النصر: ١-٣].

وجملة: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ تعني الذنب في الزمن الماضي. وجملة: ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ تعني الذنب الذي وقع في الزمن التالي لذلك الزمن الماضي، رغم أن كليهما تمّ في الزمن الماضي، وهذا مثل أن يُقال عن العلماء الماضين: «المتقدمون» إن كانوا ماتوا قبل ألف سنة، ويُقال عنهم: «المتأخرون» إن كانوا قد ماتوا قبل خمسمئة سنة.

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٤ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ۝٦﴾ [الفتح: ٤-٦].

الفوائد: من صفات المؤمنين الحسنة الطمأنينة وهدوء النفس وسكينتها، وبفضل هذه الصفة انتصر المؤمنون على الكفار. وإحدى الصفات السيئة للمنافقين والكفار سوء ظنهم بالله الذي يؤدي إلى اضطراب نفوسهم وتزلزل قلوبهم مما يؤدي إلى هزيمتهم أمام المؤمنين. وقد وصف الحق تعالى أصحاب رسوله ﷺ بالصفات الحسنة وأكرمهم بالسكينة التي هي الطمأنينة الإيمانية. وللأسف فإن شعبنا الذي لا يملك هذه الصفات الحسنة يطعن في المؤمنين زمن رسول الله ﷺ.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٧ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: ٧-٩].

الفوائد: ﴿شَٰهِدٗا﴾ حالٌ للمفعول لفعل: ﴿أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ الذي هو الكاف، يعني: أننا أرسلناك شاهدًا على التوحيد أي تشهد لِلَّهِ بالوحدانية، ومُبشِّرًا من آمن بالتوحيد ومُنذرًا من لم يؤمن به. وتعود ضمائر أفعال: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُۚ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ جميعها على اللهِ، أي أنكم تنصرون دين الله أو تنصرون رسوله ﷺ وتُؤيِّدونه وتُعظِّمون اللهَ وتُسبِّحونه أي تُنزِّهونه عن كل نقص.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝١٠ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا

لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ۝١١ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ۝١٢﴾ [الفتح: ١٠-١٢].

الفوائد: يُقال للبيعة التي ذُكرت في هذه الآيات: «**بيعة الرضوان**» وَقد حدثت يوم الـحُدَيْبِيَةِ. وَالـحُدَيْبِيَةُ موضع قرب مكَّةَ في أول حدِّ الحَرَم.

وفيما يلي قصة الـحُدَيْبِيَةِ:

[عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ:] «كَانَ سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ وَهَذَا الْفَتْحِ الْعَظِيمِ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي النَّوْمِ أَنْ يَدْخُلَ الْـمَسْجِدَ الْـحَرَامَ وَيَطُوفَ وَيَحْلِقَ مَعَ الْـمُحَلِّقِينَ، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ بِالْـخُرُوجِ، فَخَرَجُوا، فَلَمَّا نَزَلَ ذَا الْـحُلَيْفَةِ أَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ وَسَاقُوا الْبُدْنَ وَسَاقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم سِتًّا وَسِتِّينَ بَدَنَةً وَأَشْعَرَهَا عِنْدَ إِحْرَامِهِ، وَأَحْرَمُوا مِنْ ذِي الْـحُلَيْفَةِ مُلَبِّينَ بِالْعُمْرَةِ، وَقَدْ سَاقَ مَنْ سَاقَ مِنْهُمُ الْـهَدْيَ مُعَرَّاتٍ مُجَلَّلَاتٍ. فَلَمَّا بَلَغَ قُرَيْشًا ذَلِكَ بَعَثُوا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي مِائَتَيْ فَارِسٍ كَمِينًا لِيَسْتَقْبِلَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَكَانَ يُعَارِضُهُ عَلَى الْجِبَالِ فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَضَرَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ فَأَذَّنَ بِلَالٌ وَصَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالنَّاسِ فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: لَوْ كُنَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ فِي الصَّلَاةِ لَأَصَبْنَاهُمْ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْطَعُونَ صَلَاتَهُمْ وَلَكِنْ يَجِيءُ لَهُمُ الْآنَ صَلَاةٌ أُخْرَى أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ ضِيَاءِ أَبْصَارِهِمْ فَإِذَا دَخَلُوا فِي الصَّلَاةِ أَغَرْنَا عَلَيْهِمْ. فَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِصَلَاةِ الْـخَوْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ....﴾ الْآيَةَ.

فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْـحُدَيْبِيَةَ، وَهِيَ عَلَى طَرَفِ الْـحَرَمِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَسْتَنْفِرُ الْأَعْرَابَ فِي طَرِيقِهِ مَعَهُ فَلَمْ يَتْبَعْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ وَيَقُولُونَ: أَيَطْمَعُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ أَنْ يَدْخُلُوا الْـحَرَمَ وَقَدْ غَزَتْهُمْ قُرَيْشٌ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ فَقَتَلُوهُمْ؟! إِنَّهُ لَا يَرْجِعُ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْـمَدِينَةِ أَبَدًا. فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْـحُدَيْبِيَةَ خَرَجَتْ قُرَيْشٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّاتِ

وَالْعُزَّى لَا يَدْعُونَ مُحَمَّدًا يَدْخُلُ مَكَّةَ وَفِيهِمْ عَيْنٌ تَطْرِفُ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنِّي لَمْ آتِ لِحَرْبٍ وَإِنَّمَا جِئْتُ لِأَقْضِيَ نُسُكِي وَأَنْحرَ بُدْنِي وَأُخَلِّيَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ لَحْمَاتِهَا.....[١]

ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال عمر: يا رسول الله! إنما أخاف قريشًا على نفسي، وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عَرَفَتْ قريش عداوتي إياها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان، أي فإن بني عمه يمنعونه. فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان فبعثه إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه لم يأت إلا زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته. واحتبَسَتْ قريشٌ عثمان عندها ثلاثة أيام، فبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قُتِل، فقال حضرةُ النبيِّ ﷺ عند بلوغه ذلك: «لا نبرح حتى نناجز القوم» - أي نقاتلهم-، ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة (على الجهاد)، أي بعد أن قال لهم: إن الله أمرني بالبيعة[٢]. واتّكأ ﷺ إلى شجرة وبايعه المسلمون جميعهم تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْـمَوْتِ وَأَنْ يثبتوا في قتال المشركين ولَا يَفِرُّوا عَنْهُ أَبَدًا. في هذه الأثناء جاء الخبر بأن عثمان لم يُقْتَل. وجَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الخزاعِيّ وَرَكْبٌ مِنْ خُزَاعَةَ، وَهُمْ عَيْبَةُ نُصْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِتِهَامَةَ، مِنْهُمُ الْـمُسْلِمُ وَمِنْهُمُ الْـمُوَادِعُ لَا يُخْفُونَ عَلَيْهِ بِتِهَامَةَ شَيْئًا، فَأَنَاخُوا رَوَاحِلَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمّ جَاءُوا فَسَلّمُوا عَلَيْهِ فَقَالَ بُدَيْلٌ: جِئْنَاك مِنْ عِنْدِ قَوْمِك، قَدْ اسْتَنْفَرُوا لَكَ الْأَحَابِيشَ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ مَعَهُمْ يُقْسِمُونَ باللهِ لَا يُخَلُّونَ بَيْنَك وَبَيْنَ الْبَيْتِ حَتّى تَبِيدَ خَضْرَاؤُهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إنّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، إنّمَا جِئْنَا لِنَطُوفَ بِهَذَا الْبَيْتِ فَمَنْ صَدّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ وَقُرَيْشٌ قَوْمٌ قَدْ أَضَرّتْ بِهِمُ الْحَرْبُ وَنَهَكَتْهُمْ فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتهمْ مُدّةً يَأْمَنُونَ فِيهَا، وَيُخَلّونَ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النّاسِ وَالنّاسُ أَكْثَرُ مِنْهُمْ فَإِنْ ظَهَرَ أَمْرِي عَلَى النّاسِ كَانُوا بَيْنَ أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النّاسُ [أي يُسْلِموا] أَوْ يُقَاتِلُوا وَقَدْ جَمَعُوا، وَاللهِ لَأَجْهَدَنّ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتّى تَنْفَرِدَ

١- الرواية إلى هنا مستقاة من **تفسير علي بن إبراهيم القمي**، تفسير سورة الفتح، ٢/٣٠٩ - ٣١١. وعنه المجلسي، **بحار الأنوار**، ٢٠/٣٤٧ - ٣٤٩. وهي موافقة في أكثرها لما في **مغازي الواقدي والسيرة الحلبية**.

٢- هذه الفقرة من الرواية ملخَّصة من **السيرة الحلبية**.

سَالِفَتِي أَوْ يُنْفِذَ اللهُ أَمْرَهُ.

فَوَعَى بُدَيْلٌ مَقَالَتَهُ وَرَكِبَ إِلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمْ بِمَقَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي قَالَ وَمَا عَرَضَ عَلَى قُرَيْشٍ مِن الْـمُدَّةِ، وكان عُرْوَةُ بنُ مسعودٍ الثقفي حاضرًا فقام من مجلسه وقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ لَا أَدَّخِرُ عَنْكُمْ نُصْحًا، وَإِنَّ بُدَيْلاً قَدْ جَاءَكُمْ بِخُطَّةِ رُشْدٍ لَا يَرُدَّهَا أَحَدٌ أَبَدًا إِلَّا أَخَذَ شَرًّا مِنْهَا، فَاقْبَلُوهَا مِنْهُ وَابْعَثُونِي حَتَّى آتِيكُمْ بِمِصْدَاقِهَا مِنْ عِنْدِهِ. فَبَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى جَاءَهُ وقال له: إِنِّي تَرَكْت قَوْمًا، عَلَى أَعْدَادِ مِيَاهِ الْـحُدَيْبِيَةِ مَعَهُمْ قَدْ اسْتَنْفَرُوا لَك أَحَابِيشَهُمْ وَمَنْ أَطَاعَهُمْ وَهُمْ يُقْسِمُونَ باللهِ لَا يُخَلُّونَ بَيْنَك وَبَيْنَ الْبَيْتِ حَتَّى تَجْتَاحَهُمْ. وَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ قِتَالِهِمْ بَيْنَ أَحَدِ أَمْرَيْنِ أَنْ تَجْتَاحَ قَوْمَك، وَلَمْ نَسْمَعْ بِرَجُلٍ اجْتَاحَ أَصْلَهُ قَبْلَك. فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا قَالَه لِبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابِهِ بأنه لم يَأْتِ لِقِتَالِ أَحَدٍ، إنّما جاء ليطوف بِهَذَا الْبَيْتِ وأنه مستعدٌّ لعقد هدنةٍ مع قريش مُدَّةً يَأْمَنُونَ فِيهَا[١].

فَقَالَ عُرْوَةُ: باللهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَحَدًا صُدَّ عَمَّا صُدِدْتَ. فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ وَأَخْبَرَهُمْ؛ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: وَاللهِ لَئِنْ دَخَلَ مُحَمَّدٌ مَكَّةَ وَتَسَامَعَتْ بِهِ الْعَرَبُ لَنَذِلَّنَّ وَلَتَجْتَرِئَنَّ عَلَيْنَا الْعَرَبُ فَبَعَثُوا حَفْصَ بْنَ الْأَحْنَفِ وَسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: لَا يَسْأَلُ الْيَوْمَ امْرُؤٌ مِنْ قُرَيْشٍ خُطَّةً لَيْسَ لِـلَّهِ فِيهَا سَخَطٌ إِلَّا أَجَبْتُهُمْ إِلَيْهِ.

قَالَ: فَوَافَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ! إِلَى أَنْ نَنْظُرَ إِلَى مَاذَا يَصِيرُ أَمْرُكَ وَأَمْرُ الْعَرَبِ عَلَى أَنْ تَرْجِعَ مِنْ عَامِكَ هَذَا فَإِنَّ الْعَرَبَ قَدْ تَسَامَعَتْ بِمَسِيرِكَ فَإِنْ دَخَلْتَ بِلَادَنَا وَحَرَمَنَا اسْتَذَلَّتْنَا الْعَرَبُ وَاجْتَرَأَتْ عَلَيْنَا، وَنُخَلِّي لَكَ الْبَيْتَ فِي الْقَابِلِ فِي هَذَا الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى تَقْضِيَ نُسُكَكَ وَتَنْصَرِفَ عَنَّا. فَأَجَابَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ. وَقَالُوا لَهُ: وَتَرُدُّ إِلَيْنَا كُلَّ مَنْ جَاءَكَ مِنْ رِجَالِنَا وَنَرُدُّ إِلَيْكَ كُلَّ مَنْ جَاءَنَا مِنْ رِجَالِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ جَاءَكُمْ مِنْ رِجَالِنَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ وَلَكِنْ عَلَى أَنَّ الْـمُسْلِمِينَ بِمَكَّةَ لَا يُؤْذَوْنَ فِي إِظْهَارِهِمُ الْإِسْلَامَ وَلَا يُكْرَهُونَ

١- هذه الفقرة والتي قبلها مُلَخَّصة مما جاء في كتاب **المغازي** للواقدي، ٢/ ٥٩٣ - ٥٩٤.

وَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ يَفْعَلُونَهُ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَقَبِلُوا ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَجَابَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الصُّلْحِ أَنْكَرَ عَلَيْهِ عَامَّةُ أَصْحَابِهِ وَأَشَدُّ مَا كَانَ إِنْكَارًا عُمَرُ.

وعلى أي حال دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْـمُكْتِبِ وَدَعَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ؛ فَكَتَبَ عليه السلام: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ اكْتُبْ كَمَا كَانَ يَكْتُبُ آبَاؤُكَ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، فَإِنَّهُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ. ثُمَّ كَتَبَ هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْـمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ. فَقَالَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو: وَلَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ مَا حَارَبْنَاكَ، اكْتُبْ هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ. أَتَأْنَفُ مِنْ نَسَبِكَ يَا مُحَمَّدُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَا رَسُولُ اللهِ! وَإِنْ لَمْ تُقِرُّوا، ثُمَّ قَالَ: امْحُ يَا عَلِيُّ وَاكْتُبْ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ أَمِيرُ الْـمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا أَمْحُو اسْمَكَ مِنَ النُّبُوَّةِ أَبَدًا. فَمَحَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ ثُمَّ كَتَبَ هَذَا مَا تَقَاضَى عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَالْـمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو اصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِ الْـحَرْبِ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ عَلَى أَنْ يَكُفَّ بَعْضُنَا عَنْ بَعْضٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ[١]، وَأَنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَيْبَةً مَكْفُوفَةً[٢]، وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ وَعَقْدِهِ فَعَلَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عقد [عَهْدِ] قُرَيْشٍ وَعَقْدِهَا فَعَلَ، وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ يَرُدُّهُ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ مَنْ أَتَى قُرَيْشًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْإِسْلَامُ ظَاهِرًا بِمَكَّةَ لَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَى دِينِهِ، وَلَا يُؤْذَى وَلَا يُعَيَّرُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ عَنْهُمْ عَامَهُ هَذَا وَأَصْحَابُهُ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْنَا فِي الْعَامِ الْقَابِلِ مَكَّةَ فَيُقِيمُ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْنَا بِسِلَاحٍ

١- الإِسْلال: مِن سَلَّ البَعيرَ وغيرَه في جَوْف الليل إذا انْتَزعته مِن بين الإبل وهي السَّلَّة. وقيل: هو الغَارة الظَّاهرة. والإِغْلال: الخِيانة أو السَّرِقة الخَفِيَّة، وقيل: الإِغْلال: لُبْس الدُّرُوع. والإِسْلال: سَلُّ السُّيوف.

٢- العَيْبة: وِعاءٌ من أَدَم يكون فيها الـمتاع. والعَيْبَةُ ما يجعل فيه الثياب. ومعنى عَيْبَةٌ مَكفوفةٌ: أن بيننا وبينهم في هذا الصلح صَدْرًا مَعْقُودًا على الوفاءِ بما في الكتاب نَقِيًّا من الغِلِّ والغَدْرِ والخِداع. والـمَكْفُوفةُ الـمُشرَجَةُ الـمَعْقُودة، والعربُ تكني عن الصُّدُور والقُلُوب التي تَحْتوي على الضمائر الـمُخْفاةِ بالعِيابِ وذلك أَن الرجلَ إِنما يَضَعُ في عَيْبَته حُرَّ مَتاعِه وصَوْنَ ثيابه ويَكتُم في صَدْرِه أَخصَّ أَسراره.. ». انظر ابن منظور، **لسان العرب**، (مادة ع ي ب)، ١، ٦٣٤.

إِلَّا سِلَاحِ الْـمُسَافِرِ السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَشَهِدَ عَلَى الْكِتَابِ الْـمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ(١). وكما روى كُتَّابُ السِّيَر، ذُكرت في معاهدة الصلح أربعة شروط.

وسمَّى الله رفض «سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو» لذكر محمد بالرسالة: حميَّة الجاهلية، كما في الآية ٢٦ من سورة الفتح حين قال تعالى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

وقبل أن يجف حبر الـمعاهدة جاء شاب يُدعى «أَبُو جَنْدَل» من قريش كان قد أسلم وحبسه الـمشركون فتمكَّن من الهرب وخرج من مكة ولجأ إلى الـمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: «**لقد عاهدنا القومَ ولا يمكننا الغدر، وأُرِيدُ أَنْ أُتِمَّ لِقُرَيْشٍ شَرْطَهَا، فاصبر يا أبا جندل فسيجعل اللّهُ لكَ فَرَجاً وَمَخْرَجاً.**

فَلَمّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن الْكِتَابِ وَانْطَلَقَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَأَصْحَابُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا وَاحْلِقُوا!». فَلَمْ يُجِبْهُ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَى ذَلِكَ! فَقَالَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرّاتٍ كُلّ ذَلِكَ يَأْمُرُهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ذَلِكَ. فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتّى دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجَتِهِ مُغْضَبًا وقال لها: «هلك الـمسلمون، أمرتهم فلم يمتثلوا». فقالت أُمُّ سَلَمَةَ: اخرجْ يا رسول الله ولا تكلِّم أحداً منهم، وابدأهم بما تريد فإذا رأوْكَ فعلتَ تبعوكَ، ففعل رسول الله ﷺ ما أشارت به عليه، فلما رآه الـمسلمون ينحر هديه ويحلق شعره قاموا ففعلوا مثله».

وهذا يبين أن أُمَّ سَلَمَةَ كانت ذات رأي صائب ونظرة بعيدة. وعلى كل حال كان رسول الله ﷺ يشاور أهله؛ وَمِنْ ثَمَّ فما ورد من أحاديث في نهي الرجل أن يشاور زوجته أحاديث مفتراة وموضوعة.

السياسة الإلهية في معاهدة الحديبية

حزن أصحاب رسول الله ﷺ لـمنعهم من أداء العمرة وغضبوا لشروط الـمعاهدة ولم يكونوا قانعين بها، ولكن رسول الله ﷺ أخبرهم أنه قَبِل بهذه الشروط بأمرٍ من الله، وتبين فيما

١- الفقرات الأخيرة لخَّصها الـمؤلف من الـمجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٢٠/ ٣٥١ - ٣٥٣، وأصلها في **تفسير علي بن إبراهيم القمي**، ذيل تفسيره لسورة الفتح.

بعد أنه كانت هناك منافع كثيرة في شروط تلك الـمعاهدة:

١- كان أحد شروط الـمُعاهدة أن كل من فرّ من مكة من الـمسلمين لم يجز لرسول الله أن يقبله، ولم يكن هذا الشرط حسنًا في الظاهر، ولكن في باطن الأمر كان شرطًا مفيدًا جدًّا لأن الشباب الذين أسلموا في مكة تحرّروا وأظهروا إسلامهم، ولما كان هذا الشرط لصالح رسول الله ﷺ طلب أبو سفيان إلغاءه!.

ذكر الـمؤرخون أن شخصًا يُدعى «**أَبُو بَصِيرٍ**» أسلم وفرَّ من الـمشركين في مكة إلى الـمسلمين، فأرسلت قُرَيْشٌ رَجُلَيْنِ فِي طَلَبِهِ، وَقَالُوا لرسول الله ﷺ: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْت لَنَا! فَدَفَعَهُ ﷺ إلَى الرّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتّى بَلَغَا ذَا الْـحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فتمكَّن أَبُوبَصِيرٍ مِنْ قَتْلِ أَحَدِ الرّجُلَيْنِ ولاذ الآخر بالفرار مذعورًا، وانطلق أَبُو بَصِيرٍ حتى رجع إلى رسول الله ﷺ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ الله! قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمّتَكَ، قَدْ رَدَدْتنِي إلَيْهِمْ فَأَنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ. فَقَالَ النّبِيّ ﷺ: اذهب حيث شئت ولا تقف في الـمدينة، فخرج أبو بصير ومعه خمسة نفر كانوا قدموا معه مسلمين حتى كانوا بين العيص وذي الـمروءة من أرض جهينة على طريق تجارة قريش مما يلي سيف البحر، وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو في سبعين رجلاً راكبًا أسلموا فلحق بأبي بصير، واجتمع إليهم ناسٌ من غفار وأسلم وجهينة حتى بلغوا ثلاثمئة مقاتل، وهم مسلمون لا تمر بهم عير لقريش إلا أخذوها وقتلوا أصحابها! فأرسلت قريش أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ يسألونه ويتضرَّعون إليه أن يبعث إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهم فيقدموا عليه وقالوا: من خرج منا إليك فأمسِكْهُ غير حرج[1]، أي طلبوا منه إلغاء ذلك الشرط من الـمعاهدة الذي يقضي بمنع من أسلم من أهل مكة أن يلتحق برسول الله ﷺ بالـمدينة! وهكذا تغيرت تلك الظروف التي كانت تبدو سيئةً في نظر الـمسلمين، وَتَبَيَّنَ لهم أنها لم تكن لصالح الكفَّار.

٢- لما انصرف رسول الله ﷺ عن الْـحُدَيْبِيَةِ نَزَلَ عليه - وهو عند **كراع الغميم** قرب

١- هذه الفقرة الأخيرة ملخَّصة من كتاب الطبرسي، **إعلام الورى بأعلام الهدى**، ص ٩٨.

الـمدينة - قولَه تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا.....﴾، فاعتبر اللهُ غزوةَ الْـحُدَيْبِيَةِ فتحًا مبينًا. ومن الـممكن حقيقةً أن تكون غزوةُ الْـحُدَيْبِيَةِ ذاتها فتحًا مبينًا، أو أن تكون غزوةُ الْـحُدَيْبِيَةِ مقدمةً وسببًا لفتح مكة الذي هو الفتح الـمبين، إذ كان فتحُ مكَّةَ سببًا لتحرُّر الإسلام في مكة وزوال ذلك السدّ الذي كان يحول دون انتشار الإسلام، فأصبح الناس أحرارًا في أن يفكروا بعقولهم بحرية ويزنوا محاسن الإسلام ويضعوا السيوف جانبًا، نعم لقد خمدت نار العصبية وانطلقت العقول لتفكّر في أصول الدين الجديد، ولذلك سرعان ما أصبح الذين كانوا بالأمس مستائين من صلح الحديبية أصبحوا مستبشرين به خيرًا، إذْ أصبح الناسُ في أمان، ووُضِعت الأسلحةُ جانبًا، والتقى الناسُ بعضُهم ببعض، واهتمَّ بالإسلام وأدرك أحقيته كل من كان ذا عقلٍ ولبٍّ فدخل فيه، وبعد سنتين تبيَّن أنه دخل في الإسلام خلال السنتين الـماضيتين من الصلح أكثر مما دخل فيه طول عشرين سنة ماضية! بدليل أنه في صلح الْـحُدَيْبِيَةِ كان عدد جيش الـمسلمين ألفًا وأربعمئة رجل، ولكن العدد أصبح في فتح مكَّة عشرة آلاف رجل، بل أكثر، وهذا أفضل دليل على نبوة محمدٍ ﷺ وأن القرآن وحي من الله. نسأل الله أن يتيح للمسلمين وللموحدين في زماننا مثل هذه الحرية، لأنَّ أهلَ القرآن والـموحدين يعيشون اليوم في غربة شديدة.

﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح: ١٣-١٥].

<u>الفوائد</u>: تتعلَّق هذه الآيات بالذين لم يشاركوا في غزوة الْـحُدَيْبِيَةِ. هذا وبعد عشرين يومًا من عودة رسول الله ﷺ من الْـحُدَيْبِيَةِ إلى الـمدينة، جاءه الأمر من الله بالخروج إلى خيبر. فرأى هؤلاء الذين لم يشاركوا في الخروج إلى الْـحُدَيْبِيَةِ أن رسول الله ﷺ رجع منها منتصرًا، وأنه

خارج الآن للقاء يهود خيبر الذين يملكون ثروات وغنائم كثيرة، فأرادوا الخروج الآن والـمشاركة في غزوة خيبر. وكان رسول الله ﷺ يعلم أنهم لا يقولون ذلك صدقًا من قلوبهم، لذا نزلت هذه الآيات لتقول: إنهم لن يُوَفَّقُوا في الـمشاركة بالغنائم.

وأما غزوة خيبر فهي التي أشار إليها تعالى في الآيتين ١٨ - ١٩ من هذه السورة بقوله: ﴿وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾.

وكانت خيبر عبارة عن سبع قلاع مُحَصَّنة لليهود هي: نَاعِمٌ وَقَمُوصٌ وَالْكَتِيبَةُ وَالشّقُّ وَالنَّطَاةُ وَوَطِيحُ وَسَلاَلِمُ.

أعلن رسول الله ﷺ لأصحابه عن خروجه إلى خيبر فخرج في ألفٍ وأربعمئة من أصحابه ولما وصل إلى خيبر كان اليهود قد خرجوا من حصونهم لأجل الزراعة وغيرها من الأعمال بمساحيهم ومكاتلهم[1] فلما رأوا جيش الإسلام حولهم صاحوا وأخبروا بعضهم بعضًا وقالوا: محمد والخميس[2] معه! وذهبوا إلى قلاعهم وتحصَّنوا بها. وتفاءل رسول الله ﷺ خيرًا برؤية الـمساحي والـمجارف وقال: «اللهُ أكبر، خربت خيبر، [إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح الـمُنذَرين]»، وقام اليهود بوضع النساء والذرية والزاد في الحصون الأخرى وتجمَّع الرجال الـمُحاربون في حصن النطاة، وهاجمهم أصحاب رسول الله ﷺ وفتحوا بعض حصونهم إلى أن وصلوا إلى حصن القَموص وكان حصنًا شديد الـمَنَعَة صعبَ الـمنَال، وعرض لرسول الله ﷺ ألم الشقيقة الشديد ولم يستطع أن يأتي إلى ميدان القتال بنفسه فكان يُرسل كل يوم واحدًا من أصحابه يُعطيه الراية ليقوم بالحملة على الحصن لكنهم كانوا يعودون دون أن يتمكنوا من فتح حصن القَموص ذاك. فقال ﷺ في ليلةٍ: لأُعطينَّ الراية غدًا رجلاً كرَّارًا غيرَ فرَّارٍ، يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُهُ، يفتح اللهُ خيبرَ على يديه.

تجمَّع أصحاب رسول الله ﷺ في اليوم التالي وكلهم يأمل أن يُعطى الراية ويكون هو

١- الـمساحي: جمع مسحاة، وهي الـمجرفة من الحديد. والـمكاتل: جمع مكتل، وهي قفة كبيرة كالزنبيل.

٢- الخميس: الجيش.

المقصود من كلام رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: أين عليٌّ؟ فقالوا له: إن به رمدًا أقعده عن الحركة، فقال: أرسلوا إليه وادعوه فجاء على بغلته وعينه معصوبة بخرقة، فأخذ سلمة بن الأكوع بيده وأتى به إلى النبي ﷺ فوضع رسول الله ﷺ رأسَ عليٍّ على ركبته وتفل في عينيه، فما وجعهما بعد حتّى مضى لسبيله، ثمّ أعطاه الراية، ودعا له فقال: «**اللَّهُمَّ اكْفِهِ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ**» يقول عليٌّ: فَمَا وَجَدْتُّ بَعْدَ ذَلِكَ حَرًّا وَلَا بَرْدًا.

فخرج عليٌّ عليه السلام يُهرول هرولةً حتى وصل إلى حصن «قَموص»، فخرج إليه «مَرْحب» كعادته كل يوم، وعليه مغفر وانطلق كالفهد يزأر وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

فقال عليٌّ ردًّا عليه:

أنا الذي سمَّتني أمي حيدرة ... ضرغام آجام وليث قسورة

فاختلفا ضربتين، فبدره عليٌّ فضربه فقدَّ الحجر والمغفرة وفلق رأسه حتّى أخذ السيف في الأضراس[1]، وكان الفتح على يديه، ثمّ خرج بعد مرحب ربيع بن أبي الحقيق وعنتر الخيبري ومرّة وياسر (أخو مرحب) وأمثالهم من شجعان اليهود فقُتلوا جميعًا، ففرَّ اليهود ودخلوا القلعة وأغلقوا بابها فجاء عليٌّ إلى باب القلعة وأمسك به وهزَّه هزّةً عظيمةً حتى اقتلعه من مكانه واهتزَّت القلعة حتى أن صفيّة بنت حُييّ بن أخطب وقعت من فوق سريرها وجُرحت في وجهها!! وحمل عليٌّ على الحصن حتى فتحه وكان فتح خيبر سنة ٧ للهجرة.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى

١- الشيخ المفيد، **الإرشاد**، ١/ ١٢٧. ابن شهر آشوب، **مناقب آل أبي طالب**، ٣/ ١٢٩. وفي مصادر أهل السنة: انظر **تفسير البغوي**، ٧/ ٣٠٨، وتفسير **الكشف والبيان** للثعلبي النيسابوري، ٩/ ٥٠. وأخرجه مسلم في صحيحه مطولاً في الجهاد والسير، (١٨٠٧)، ٣/ ١٤٣٣ - ١٤٤١.

ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح: ١٦-١٧].

الفوائد: اختلف الـمُفَسِّرون في الـمقصود من: ﴿قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾، فيُمكن القول: إن الـمقصود منهم هوازن وثقيف الذين قاموا لمُحاربة الـمسلمين في غزوة حُنين، أو الـمقصود مسيلمة الكذاب، أو فارس والروم أو جميع الـمذكورين. والـمقصود من نفي الحرج في الآيَة هو تكليف الجهاد لأن الأعمى والأعرج والـمريض ليسوا مُكلَّفين بالجهاد، وكذلك كل من كان مُبتلًى بمرض يمنعه من الجهاد، وأما من كان فاقدًا لإحدى يديه فهذا لا يسقط عنه الجهاد لأنه يُمكن أن يعمل حارسًا للمجاهدين ويكون بمثابة الخفير لهم (الـمراقِب لتحركات العدوّ). وكذلك الأخرس يُمكنه مُهاجمة الأعداء وقتالهم.

﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةٗ يَأۡخُذُونَهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢٠﴾﴾ [الفتح: ١٨-٢٠].

الفوائد: أظهر اللهُ تعالى في هذه الآيات رضاه عن الـمؤمنين وعن الذين كانوا مع رسول الله ﷺ وعن الألف وأربعمئة نفر الذين بايعوه، حتى أن رسول الله ﷺ ضرب إحدى يديه بالأخرى دلالةً على بيعة عثمان الذي كان في مكة وكانت قريش قد حبسته! ومعنى الرضا: التوفيق للثواب والاستقامة على الإيمان إضافةً إلى الجنة التي وعدهم الله بها[1]. ويُمكن القول: إنهم من أهل الجنَّة وقد رحلوا عن الدُّنْيا وهم مؤمنون لأنَّ اللهَ عالـم بالغيب والشهادة وبمستقبل عباده، فإذا وعد قومًا بالجنَّة لا يُمكننا أن نعتبرهم فسقةً كافرين. بناءً على ذلك، فالأخبار التي وضعها الغلاة من الشيعة التي تقول: إن أصحاب رسول الله ﷺ ارتدوا جميعًا إلا ثلاثة نفر هي

١- الرضا من صفات الله تعالى التي يجب أن نؤمن بها ولا نؤولها، مع يقيننا بعدم مشابهة صفات الله تعالى لصفات خلْقِه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أخبارٌ موضوعةٌ يقينًا ولا أساس لها من الصحة ومناقضة لآيات القرآن، ولا يخفى أن هذه السورة إلى آخرها كلها في مدح هؤلاء الأصحاب.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفتح: ٢١-٢٤].

الفوائد: في جملة: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ إذا كان المقصود من الغنائم الكثيرة في الآيَة السابقة: غنائم خيبر ووادي القرى وفدك، فإن المقصود من هذه الجملة غنائم حُنين وفارس والروم وبلاد الشام وغيرها.

وقد يكون المقصود من جملة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْۚ﴾ غزوة فتح مكة التي وقعت في بطن مكة، وقد يكون المقصود من بطن مكة وادي مكة الذي هو **الحُدَيْبِيَةُ** التي تقع قرب مكة، وقد كفَّ اللهُ أيدي الطرفين عن الحرب وسفك الدماء، وهذا القول أفضل. وأما جملة: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ فالمقصود منها كفُّ الكفَّار عن الهجوم في خيبر وكفُّ قريش عن الحرب في الحُدَيْبِيَةِ، حتى أن خالد بن الوليد شنَّ هجمات على المسلمين لكن الرعب من المسلمين هزمه. وجاء في روايةٍ أن ثمانين نفرًا من المشركين حملوا على المسلمين يوم الحُدَيْبِيَةِ فأُخِذُوا وأُسِرُوا جميعًا، وحفظ اللهُ المسلمين[1].

١- انظر: ابن هشام، **السيرة النبوية**، ٢/ ٣١٤. وانظر أيضًا: **صحيح مسلم**، (١٨٠٨)، ٣/ ١٤٤٢. وسنن **أبي داود** (٢٦٨٨). وقال الألباني: صحيح. وسنن **النسائي** (٨٦٦٧)، ٥/ ٢٠٢. وسنن **الترمذي**، (٣٢٦٤)، ٥/ ١٩٨. قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. و**مسند أحمد**، ٣/ ١.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفتح: ٢٥-٢٦].

الفوائد: المقصود من: ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا ....﴾ هو أن هؤلاء الكفار منعوكم يوم الحُدَيْبِيَةِ من المسجد الحرام ومنعوا الهَديَ - أي الأضاحي التي أشعرتموها كي تُذبح في المسجد الحرام - من الوصول إليه.

والمقصود من: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ....﴾ أنه كان في مكة بين المشركين عدد من الرجال والنساء المؤمنين كانوا يستخفون بإيمانهم خوفًا من المشركين، فلولا أن اللهَ أراد المحافظة عليهم وعلى وجودهم وأن لا يوطَؤوا أثناء القتال؛ لَأَذِنَ اللهُ بقتال أهل مكة كي يوطَؤوا جميعًا، ولو تميَّز أولئك المؤمنون وانفصلوا عن الكفار لعذَّب اللهُ الكفار على أيدي المؤمنين. بناءً على ذلك، لا يُمكننا أن نقصف بالقنابل والمتفجِّرات المدن التي اختلط فيها المسلمون بالكفار ولا يجوز الهجوم وسفك الدماء بشكل عام، وبالطبع لا يجوز مهاجمة مدن الكفار (أي التي يكون أهلها جميعًا من الكفار) أيضًا دون أن يكون هناك سببٌ يستدعي ذلك.

والمقصود من: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ ما قاله سهيل بن عمرو عندما قال: لا تكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، وامحوا جملة: محمد رسول الله، ولم يسمح للمؤمنين أن يدخلوا مكة لأداء العمرة.

والمقصود من: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أن اللهَ أقام المؤمنين على كلمة بسم الله والتوحيد ومحمد رسول الله ﷺ وأوجب ذلك عليهم لأنهم كانوا أهلاً لهذه الكلمة. نعم، وصف اللهُ أصحاب رسوله ﷺ بثباتهم في التقوى والتزامهم بكلمتها ولكن هناك في زماننا جماعةٌ يسبُّونهم ويلعنونهم ومع ذلك يعدُّون أنفسهم مسلمين.

﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ٢٧ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٧-٢٩].

الفوائد: روى الطَّبْرَسِيّ أن الله تعالى أرى نبيه في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم دخلوا مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون: ما حلقنا ولا قصَّرنا ولا دخلنا المسجد الحرام! فأنزل الله هذه الآية وأخبر أنه أرى رسوله الصدق في منامه لا الباطل وأنهم يدخلونه وأقسم على ذلك فقال: ﴿لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ يعني العام المقبل إنْ شاءَ الله»[1].

وكذلك جرى الأمر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي ﷺ مع أصحابه بكل سرور وشهامة، ودخلوا مكة معتمرين وأقاموا فيها ثلاثة أيام، ولما طافوا بالكعبة في المسجد الحرام أمر رسول الله ﷺ أصحابَه فقال: اكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف، ليرى المشركون جَلَدَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ فاستكَفَّ أهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم يطوفون بالبيت ويتعجبون من شجاعتهم وشهامتهم وحنكتهم. وكان عبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ متوشحًا بالسيف يقول:

خلــوا بنــي الكفــار عــن ســبيله   قــد أنــزل الــرحمن في تنزيلــه

١- المجلسي، **بحار الأنوار**، ٢٠/ ٣٢٨.

في صــحفٍ تُــتلى عــلى رســوله   اليــوم نضــربكم عــلى تأويلــه

إلى آخر الأبيات...

وطاف المسلمون بالكعبة بكل وقار وهدوء، وتزوّج رسول الله ﷺ في هذا السفر ميمونة العامرية ابنة حارث العامريّ. ولا يخفى أن الآيَة ٢٩ جامعة لحروف الهجاء كلها.

ووصف اللهُ أصحاب رسوله ﷺ بأوصاف من جملتها أنهم: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾، وروى المؤرخون أنه لما «**رأى الرسول أن اتساع الفتوح يقضي بأن يتعلم بعض أصحابه صنعة الدبابات والمجانيق والضبور؛ أرسل إلى جرش اليمن اثنين من أصحابه**[١] **يتعلمانها**». (والدَّبَّابَة مُشَدَّدَةً: آلَةٌ من الجلد والخشب تشبه الدبابة العصرية، يدخل فيها الجنود ويدفعونها في أصْلِ الحِصْنِ فَيَنْقُبونَ وهُمْ في جَوْفِها. والمَجانيق: جمع المِنْجَنيق والمَنْجَنيق بكسر الميم وفتحها، وَهِيَ آلَةٌ تُرْمَى بِها الحِجارةُ على العدوّ وذلك بأَنْ تُشَدَّ سَوار مُرتَفِعَة جِدًّا من الخَشَب يوضَعُ عليها ما يُرادُ رَمْيُهُ ثم يُضْرَبُ بسارِيَةٍ تُوصله لمَكانٍ بعيدٍ جِدًّا. والضبر وجمعها الضبور: خشبة كبيرة أو خشبة تغشى بها الجلود يُتَّقَى بها في الحرب وفيها رجال، وَتُقَرَّبُ إلى أسفل الحصون لقتال أهلها).

وقال رسول الله ﷺ: «**عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمُ السِّبَاحَةَ وَالرِّمَايَةَ**»[٢].

ورُوِيَ عَنْ أنس أنه سُئل: هل كنتم في زمن النبيّ تشترطون للسبق؟ فأجاب: أجل: «**راهن رسول الله ﷺ على فرس فسبق فسُرَّ بذلك فأعجبه**»[٣].

وورد في الحديث أيضًا: «**إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَتَرَامَوْنَ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنَا فِي الْحِزْبِ الَّذِي فِيهِ ابْنُ الْأَدْرَعِ، فَأَمْسَكَ الْحِزْبُ الْآخَرُ وَقَالُوا: لَنْ يُغْلَبَ حِزْبٌ فِيهِ**

١- هما كما ذكر المؤرخون: عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة. انظر الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ٢/ ٣٥٣، وابن كثير، **البداية والنهاية**، ٤/ ٣٩٥.

٢- البيهقي، **شعب الإيمان**، ٦/ ٤٠١، ح (٨٦٦٥).

٣- النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ١٤/ ٨١، ح (١٦١٤٨).

رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: ارْمُوا فَإِنِّي أَرْمِي مَعَكُمْ. فَرَمَى مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَشْقاً»[١].

وقوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ رحماء جمع رحيم، وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرى أحدهم الآخر إلا صافحه وعانقه، وقال رسول الله ﷺ: «**لا تحقرن أحداً من المسلمين فإن صغيرهم عند الله كبير**»[٢].

وكان مسلمو صدر الإسلام يدعون لبعضهم، كما جاء عن حضرة السجاد في الدعاء ٢٧ من الصحيفة السجادية في دعائه للمجاهدين من أهل الثغور في زمنه: «**وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ ....**» إلى آخر الدعاء. ولم يكونوا مثل أهل زماننا يطعنون في مسلمي الصدر الأول وبمن يقوم ببيان حقائق الإسلام ويلعنونهم.

لقد أثنى اللهُ على أصحاب رسوله وشبَّههم بأغصان النبتة الخضراء وبالريحان وبأنهم كانوا شوكةً في أعين الكفار وأنهم مرَّغوا أنف الكفار في التراب، وكانوا حاملي راية التوحيد ونشروا الإسلام في كل مكان، فما أبعد غلاة الشيعة عن الإنصاف! إذْ يذمونهم ويطعنون فيهم ويخلطون بينهم وبين منافقي الأعراب من البدو، فهذه السورة أثنت على بيعة المهاجرين والأنصار وذمَّت منافقي البدو الذين كانوا يقولون: إن محمدًا لن يرجع سالـمًا من الحُدَيْبِيَةِ، وكانوا يمتنعون عن الخروج مع رسول الله ﷺ، فلا يجوز للعاقل المنصف أن يخلط بين المهاجرين والأنصار وبين المنافقين بل عليه أن يفصل بينهما تمامًا.

١- ابْنُ أَبِي جُمْهُورٍ الإحسائي، **عَوَالِي اللآلي**، ٣/ ٢٦٦. وعنه النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ١٤/ ٧٩. وأصله في مصادر أهل السنة: إِذْ رَوَاهُ ابْن حبَان فِي **صَحِيحه**، والبيهقي في **السنن الكبرى** (٢٠٢٤٩)، وَالْحَاكِم في **المستدرك**، ٢/ ٩٤ من طريقين قال عن الأول: إِنَّه صَحِيحٌ عَلَى شَرط مُسلم. ووافقه الذهبي في التلخيص. وقال عن الثاني: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه». وقال الذهبي: صحيح.

٢- ورام، **مجموعة ورام**، ١/ ٣١. وأصله في مصادر أهل السنة، فقد أخرجه الديلمي في **مسند الفردوس**، ٥/ ٣٠٢، ح (٨٢٥٦) عن عليِّ بن أبي طالبٍ رفعه، وأبو عبد الرحمن السلمي، عن أبي بكر.

سورة الحجرات

مدنية وهي ثماني عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ [الحجرات: ١-٥].

الفوائد: لما كانت إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ تؤدي إلى تحقيره وهذا يؤدي إلى الكفر، أمَرَ الحقُّ تعالى الناس في هذه الآيات أن يُراعوا الأدب مع رسول الله ﷺ. وَنَزَلَتْ هَذِه الآيَاتُ فِي وَفْدِ تَمِيمٍ: وَهُمْ عُطَارِدُ بْنُ حَاجِبِ بْنِ زُرَارَةَ فِي أَشْرَافٍ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ مِنْهُمُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ وَالزِّبْرِقَانُ ابْنُ بَدْرٍ وَعَمْرُو بْنُ الْأَهْتَمِ وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ فِي وَفْدٍ عَظِيمٍ فَلَمَّا دَخَلُوا الْـمَسْجِدَ نَادَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ وَرَاءِ الْـحُجُرَاتِ أَنِ اخْرُجْ إِلَيْنَا يَا مُحَمَّدُ! فَآذَى ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فَقَالُوا جِئْنَاكَ لِنُفَاخِرُكَ فَأْذَنْ لِشَاعِرِنَا[1].

١- المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ١٧/ ص ٢١. والذي ورد في مصادر أهل السنة في سبب نزول الآية كما ذكر البخاري في صحيحه (٤١٠٩) و(٤٥٦٦) ونقله البغوي في تفسيره (٧/ ٣٣٤) أنَّهُ «قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمِّرِ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدٍ! وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمِّرِ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ! فَقَالَ:

وعلى كل حال، لما كانت العِبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وأن مورد النزول لا يُخصِّص الوارد، فإن الآية تُوجب على أهل الإيمان مراعاة الأدب وأن لا يتقدَّموا على اللهِ ورسوله ﷺ في الفتوى وفي بيان آداب الشرع والاحتياطات وسائر الأمور، وأن لا يكونوا كما يقول المثل: أكثرَ مَلَكيَّةً من المَلِك! فإن لم يكن رسول الله ﷺ حاضرًا الآن فإن اللهَ حاضرٌ وناظرٌ في كل مكانٍ وآنٍ.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ [الحجرات: ٦-٨].

الفوائد: نزلت هذه الآيات في حق الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْط، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحًا به وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوا صدقاتهم! وكان الأمر بخلافه. فغضب النبيُّ ﷺ وهمَّ أن يغزوهم فنزلت الآية [عن ابن عباس ومجاهد وقتادة]. وقيل: إنها نزلت فيمن قال للنبي ﷺ: إن مارية أم إبراهيم يأتيها ابن عم لها قبطي فدعا رسول الله ﷺ عليًّا عليه السلام وقال: يا أخي! خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله. فقال: يا رسول الله! أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة أمضي لما أمرتني أم الشاهدُ يَرَى ما لا يرى الغائب؟ فقال ﷺ: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. قال علي عليه السلام: فأقبلت موشحا بالسيف فوجدته عندها، فاخترطت السيف فلما عرف أني أريده أتى نخلةً فرقي إليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا أنه أجبُّ أمْسَح ما له مما للرجال قليل ولا كثير، فرجعتُ وأخبرتُ النبيَّ ﷺ

أَبُوبَكْرٍ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي! فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ! فَتَمَارَيَا حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا. فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ حَتَّى انْقَضَت الْآيَةُ.

فقال: الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت[١].

وعلى كل حال، لا تجوز الثقة بكل خبر يسمعه الإنسان [بل لا بدَّ من التبيُّن والتحقُّق من صحته] وإلا لندم على ما فعله إذا اكتشف فيما بعد عدم صحَّته.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

الفوائد: نزلت هذه الآيات في نزاعٍ وقع بين الأوس والخزرج اللذَيْن كانا قبيلتين من المؤمنين من الأنصار، ووقع بينهم خصامٌ واقتتال، فأوجب الحقّ تعالى على سائر المؤمنين أن يُراقبوا هذا الأمر ويضبطوه ويُصلحوا بين الـمُتخاصمين، فإن أراد أحد الفريقين الـمُتخاصمَيْن التعدِّي على الآخر وعدم الانصياع لحكم الله فعلى المسلمين قتاله كي يُجبروه على الإذعان إلى الحقّ وإلى حكم الله، كما حدث في معركة صفّين حين خرج معاوية وأعوانه الذين قدموا من [الشام و] فلسطين فكان من الواجب على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أن يُقاتلهم ليُجبرهم على طاعة أمر الله.

أضف إلى ذلك أن المؤمنين إخوةٌ بعضهم لبعض فإذا وقع نزاعٌ بين أخوين وجب الإصلاح بينهما، ورُوي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ**»[٢]. ورُوي عنه أيضًا أنه قال: «**مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ شَهِدَ رَجُلًا يُنَادِي يَا لَلْمُسْلِمِينَ! فَلَمْ يُجِبْ فَلَيْسَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[٣].

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ١٣٣، وعنه المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٢٢/ ص ٥٣.

٢- الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، ج ١٨/ ص ٤٤١. وفي مصادر أهل السنة أخرجه بلفظ مقارب أبو داود في **سننه** (٤٩١٩) وأحمد في **المسند**، ٦/ ٤٤٤.

٣- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج٢/ ص ١٦٤. وفي مصادر أهل السنة أخرجه بلفظ مقارب - دون الجملة الأخيرة - الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٧٠، رقم ٧٤٧٣)، وفي المعجم الصغير (٢/ ١٣١، رقم ٩٠٧). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/ ٨٧): فيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي ضعَّفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم، وأبو زرعة، وابن حبان.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

الفوائد: ذكرت هذه الآيات عددًا من كبائر الذنوب ونهت عنها، فمنها السخرية من الآخرين والطعن فيهم بالإشارة والكناية وثلبهم وتعييرهم ومناداتهم بلقبٍ سيءٍ مثل يا كافر ويا فاسق ويا ديُّوث وأمثالها. وجاء في الحديث أن صفية ابنة حُييّ بن أخطب التي كانت يهوديةً فأسلمت وتزوَّجها رسول الله ﷺ جاءت يومًا إلى حضرة النبيّ ﷺ باكيةً، فسألها عن سبب بكائها فقالت: إن عائشة وحفصة تعيراني وتقولان لي: يا يهودية! فنزلت هذه الآيات[1] ونهت عن هذه الأفعال نهيًا شديدًا.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

الفوائد: إحدى الآيات التي جذبت اهتمام الناس بالإسلام هذه الآية التي أبطلت الامتيازات الجاهلية التي كانت سببًا في العصبيات الجاهلية فلا فضل لأبيض على أسود. وألغى الإسلام التفاخر بالآباء والأجداد، فلا فرق في الإسلام بين هاشميّ النسب وغيره إلا بالتقوى.

١- **تفسير علي بن إبراهيم القمي**، ج٢/ ٣٢١ - ٣٢٢، والطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ١٣٦، وعنهم المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٢٢/ ص ١٩٧. وفيها أن رسول اللهِ ﷺ قال لصفية قولي لهما: «إِنَّ أَبِي هَارُونُ نَبِيُّ اللهِ وَعَمِّي مُوسَى كَلِيمُ اللهِ وَزَوْجِي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ». وفي مصادر أهل السنة أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٩٢) وَقَالَ حَدِيث حسن صَحِيح غَرِيب، والحاكم في المستدرك (٤/ ٣١، رقم ٦٧٩٠)، والطبراني في الأوسط (٨/ ٢٣٦، رقم ٨٥٠٣).

وروى المؤرخون أنه: «**لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَكَّةَ قَامَ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: يَا بَنِي هَاشِمٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، وَإِنِّي شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ. لَا تَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّداً مِنَّا، فَوَاللهِ مَا أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ وَلَا مِنْ غَيْرِكُمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ. أَلَا فَلَا أَعْرِفُكُمْ تَأْتُونِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْمِلُونَ الدُّنْيَا عَلَى رِقَابِكُمْ وَيَأْتِي النَّاسُ يَحْمِلُونَ الْآخِرَةَ! أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَعْذَرْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَفِيمَا بَيْنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَكُمْ وَإِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلَكُم**»[١].

ورُوي أن زيد بن موسى بن جعفر دخل على المأمون (الخليفة العباسي)، فأكرمه المأمون، وكان حضرة الرضا عليه السلام أيضًا في ذلك المجلس عند المأمون، فسلَّم زيدٌ على حضرة الرضا لكن الرضا لم يُجب سلامَه، فقال له زيد: «**أنا ابنُ أبِيكَ ولا تَرُدُّ عَلَيَّ سَلامِي؟! فَقَالَ الرِّضَا** عليه السلام: **أَنْتَ أَخِي مَا أَطَعْتَ اللهَ، فَإِذَا عَصَيْتَ اللهَ لَا إِخَاءَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ**»[٢].

ورُوي «إن إسماعيل قال للصادق عليه السلام: يا أبتاه! ما تقول في المذنب منا ومن غيرنا؟ فقال عليه السلام: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]»[٣].

وقد بيَّن الأئمة عليهم السلام هذا المعنى مرارًا في كلماتهم وأدعيتهم، وعلى كل حال، فوجود آيات القرآن الواضحة في هذا المجال يُغنينا عن نقل كلماتهم.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات:١٤-١٦].

الفوائد: كان أعراب البادية -أي البدو- بعيدين عن المعارف الإلهية، ولم يكن إيمانهم

١- المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٨/ ص ٣٥٩.

٢- ابن شهر آشوب، **مناقب آل أبي طالب**، ج٤/ ص٣٦١. وعنه المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٤٩/ ص٢٢١.

٣- ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، **عيون أخبار الرضا**، ٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥.

برهانيًّا، بل أظهروا الإيمان خوفًا أو لكثرة المسلمين وظهور أمرهم فكانوا يَمُنُّون على رسول الله ﷺ بإيمانهم، فقال تعالى: إنهم وما يُظهرونه يُعَدُّون من المسلمين وتجري عليهم أحكام الإسلام فتُحفظ أرواحهم وأموالهم ودماؤهم، ولكن لما لم يكن لديهم اعتقاد وإيمان حقيقيٌّ راسخ فهم مؤمنون باللسان فقط، والإسلام يشمل بعمومه من أقر بالشهادتين بلسانه سواء كان لديه عقيدة قلبية أو لم يكن لديه، أما الإيمان فهو خاصٌّ وهو الاعتقاد في القلب مع إظهار ذلك في اللسان، والمؤمن الحقيقيّ هو الذي بيَّنَتْهُ الآيةُ ١٥ من هذه السورة ومن علاماته: الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ أَلْبَسَهُ اللهُ ذُلًّا وَفَقْراً فِي مَعِيشَتِهِ وَمَحْقًا فِي دِينِهِ**»(1).

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحجرات: ١٧-١٨].

الفوائد: نزلت هذه الآيات في أعراب من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ مع نسائهم وأطفالهم، في سَنَةٍ جدبة، وأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر. ولأجل أن يلفتوا انتباه رسول الله ﷺ إليهم كانوا يقولون: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، وجعلوا يمنون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية (2). وبينت الآية أن اعتناق الإسلام لا يعطي صاحبه الحق في المنَّة على الله ورسوله بل على العكس على المسلم أن يشكر الله أن هداه ووفقه إلى الإسلام.

١- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ج ٥/ ص ٢. والطوسي، **تهذيب الأحكام**، ج ٦/ ص١٢٣.

٢- انظر البغوي، **معالم التنزيل**، ٧/ ٤٣٩، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**١٦/ ٣٤٨، والثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ٩/ ٨٩. وانظر أيضًا: عبد الرزاق الصنعاني، **تفسير عبد الرزاق**، ٢/ ٢٣٥، وأبو حيان، **البحر المحيط**، ٨/ ١١٧، والسيوطي، **الدر المنثور**، ٧/ ٥٨٥.

سورة ق

مكيَّة وهي خمس وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ۝٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ١-٥].

الفوائد: ﴿قٓ﴾ من حروف الهجاء ولم توضع هنا لأداء معنى معيَّن، كما قلنا ذلك مرارًا، وقال بعض المُحققين: إن هذه الحروف المُقطعة في بداية بعض السور لأجل القسم، وَالمُرَاد مِنْ ﴿قٓ﴾: قسمٌ بالله القدير، وبالطبع وردت أحاديث في هذا الأمر أيضًا.

ويُمكننا بيان السبب في اختيار حرف القاف من بين جميع الحروف في بداية هذه السورة وذلك لأن هذا الحرف ورد بشكل كبير في آيات هذه السورة القليلة نسبيًا، كما أن حروف الألف واللام والميم وردت في سورة البقرة أكثر مما وردت في سائر السور على نحو نسبيّ.

وَالمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ أن الكفار يعيشون في تشويش واضطراب، فمرَّةً يعتبرون القرآن شعرًا ومرَّةً يعتبرونه سحرًا وأحيانًا يقولون: إنه أساطير الأولين، وطورًا يقولون: إنه كذبٌ، فهم مُتحيِّرون في أمرهم وتائهون.

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق: ٦-١١].

الفوائد: شبَّه الحقّ تعالى إحياء الـموتى وإخراجهم من قبورهم، بخلق السماوات والأرض وإنبات النباتات والزهور والثمار. واعتبر الـمطرَ مباركًا لأن الأشجار والزروع والحبوب جميعها تنبت ببركة الـمطر. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ عذق التمر وعنقود العنب حيث نُضِّدت حبات التمر وحبات العنب فيهما بشكل منتظم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾ [ق: ١٢-١٤].

الفوائد: ذِكر الأقوام الـماضين يهدف إلى تسلية خاتم الأنْبياء ﷺ كي لا يحزن كثيرًا على تكذيب قومه له، ويعلَمَ أن الأمم السابقة فعلوا الأمر ذاته مع من سبقه من الأنْبياء. وأما أصحاب الرسِّ فهم الذين ألقوا نبيَّهم في البئر وقد شرحنا ذلك في التعليق على الآية ٣٨ من سورة الفرقان. وأصحاب الأيكة –أي الأجمة أو الغابة ذات الأشجار الكثيرة الـمُلتفَّة – فهم قوم شُعيب. وأما قوم تُبَّع فقد بيَّنَّا حالهم في الآية ٣٧ من سورة الفرقان.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٥-١٨].

الفوائد: اللهُ تعالى مُطَّلعٌ بشكلٍ كاملٍ ودقيقٍ على كميَّة كل ما خلقه من أشياء وكيفيَّاتها. وخَلَقَ كلَّ شيءٍ بمقدارٍ مُعيَّنٍ وجعله متناسبًا مع الـموجودات الأخرى وحفظه من النقصان أو

الزوال، وكذلك في خلق الإنسان.

وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ﴾ الملكان اللذان يُسجِّلان أعمالَ الإنسان وأقوالَه مثلَ جهاز التسجيل بل أدق من ذلك. والعجيب أنه لم يكن زمن نزول القرآن أي جهاز تسجيل ولكن أُشير إلى ذلك في هذه الآيات الإلهية.

﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ [ق: ١٩-٢٣].

الفوائد: تم التعبير في هذه الآيات عن الأمور التي ستقع في المستقبل بصيغة الماضي لأن هذه الأمور مُحَقَّقة الوقوع، مثل: ﴿جَآءَتۡ﴾ و﴿نُفِخَ﴾ و﴿فَكَشَفۡنَا﴾. وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ هو يوم القيامة كما في ظاهر الآيات، وقال بعضهم: إن المقصود هو وقت الاحتضار ولا دليل على ذلك.

﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ ۞قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ [ق: ٢٤-٢٩].

الفوائد: من هما المُخَاطَبان بجملة: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ﴾؟ ظاهر الآيات يُفيد أنَّ المُخَاطَبَيْن هما: السائق والشهيد اللذان ذُكرا سابقًا. وأما كلمة القرين في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ [ق: ٢٣] فهي الشهيد حسب الظاهر. وفي جملة: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ﴾ القرين هو الشيطان أو الصديق الذي كان يُضلُّ الإنسان في الدُّنْيَا وأدَّى به إلى الطغيان.

﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ٣٠ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ٣٢ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٍ مُّنِيبٍ ٣٣ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ ٣٥﴾ [ق: ٣٠-٣٥].

الفوائد: المُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٌ﴾ الأمور التي لم ترها عينٌ ولم تسمع بها أذن [ولم تخطر على قلب بشر]؛ كما أن في جهنم ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾ فعند رحمته -جَلَّ وَعَلَا- مزيدٌ من العناية والفضل والعطايا [١].

﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ٣٩ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق: ٣٦-٤٠].

الفوائد: هذه الآيات جميعها لتسلية رسول الله ﷺ وتقويته فهي تقول له: إن كان مشركو مكة قد أعرضوا عنك وآذوك فإن الأمم الماضية كانوا أقوى منهم ولكنهم لم يُعجزونا ولم يكن في استطاعتهم الهروب والفرار من عقابنا. فاصبر أيها النبيّ وتذكر قدرتنا على من كذَّبوك، ولا تنسَ حَمْدَ الله وتسبيحَه في خمسة أوقات، فَذِكْرُ الله والصلاةُ يمنحان القلب الطمأنينة.

وتُستفاد أوقات الصلاة الخمس من هذه الآية؛ لأن التسبيح بحمد الله قبل طلوع الشمس يُشير إلى وقت صلاة الفجر، وقبل الغروب يُشير إلى صلاتي الظهر والعصر، ومن الليل يُشير إلى صلاتي المغربي والعشاء. والتسبيح والحمد الواجبان هما التسبيحات والحمد التي تُقال في هذه الصلوات اليومية الخمس.

١- قد ذهب المفسرون إلى أن المراد من ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٍ﴾، بيان سعة جهنم.

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ ذَٰلِكَ حَشۡرٌ عَلَيۡنَا يَسِيرٞ ﴿٤٤﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٤١-٤٥].

<u>الفوائد</u>: المراد من ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ﴾ استمع بأذن القلب كي لا تخاف مثل الآخرين في ذلك اليوم.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ أنه ليس لرسول الله ﷺ سيطرةٌ ولا سلطانٌ على الناس ولم يُعطَ من الله قدرةً تُمكِّنه أن يُجبر الناس على شيءٍ لا يُريدونه، فيجب على الغلاة أن ينتبهوا إلى هذه الآيات ولا يعتقدوا بامتلاك رسول الله ﷺ أو الأئمة من ذريته قدرةً تكوينيةً.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أن تذكير الناس يجب أن يكون بآيات القرآن وتلاوتها لا بشيءٍ آخر.

سورة الذاريات

مكيَّة وهي ستون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ [الذاريات: ١-٦].

الفوائد: يُمكن أن نعتبرَ الأوصافَ الأربعةَ التي ذُكرت في الآيات الأربع الأولى متعلِّقةً بموصوف واحد، كما يُمكن أن نعتبرها متعلقة بموصوفات متعددة. فإذا قلنا: إن الموصوف واحد فهو الرياح التي وُصفت بتلك الأوصاف الأربع على الترتيب، والفاء للترتيب، **الأول**: قَسَمٌ بالرياح التي تذُرُّ بذور النباتات وتنشر غبار الأرض في كل مكان. **الثاني**: قَسَمٌ بالرياح التي تحمل الأبخرة من البحر، التي تتشكل منها السُّحب الثقيلة. **الثالث**: وصف جريان الريح إلى المدن والقرى. **الرابع**: وصف الريح بأنها تُقسِّم الأمطار وتنشر حبات المطر في كل مكان مناسب. ومن الممكن أن تكون هذه الصفات للملائكة التي هي قوى عالَم الغيب. وسوف نُبيِّن الهدف من هذه الأقسام في سورة النازعات.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧ إِنَّكُمۡ لَفِي قَوۡلٖ مُّخۡتَلِفٖ ٨ يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ ٩ قُتِلَ
ٱلۡخَرَّٰصُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ١١ يَسۡـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٢ يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ
يُفۡتَنُونَ ١٣ ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ١٤﴾ [الذاريات:٧-١٤].

الفوائد: ﴿ٱلۡحُبُكِ﴾ تعني الطرق، والمقصود بها ظاهرًا طرق النجوم ومسارات الكواكب.

ويمكن أن تكون جملة: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ مدحًا للمؤمنين أو ذمًّا للمشركين، فإن كانت مدحًا للمؤمنين فمعناها «وينصرف عن الاختلاف من انصرف». وإن كانت ذمًّا للمشركين فمعناها: «وينصرف عن القرآن من انصرف». وذكر الطَّبْرَسي [في تفسيره مجمع البيان] روايةً [عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام] تقول: «**لا يجوز لأحد أن يقسم إلا بالله تعالى، والله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه**»[١].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

الفوائد: أتى الله بكلمة: ﴿هُمْ﴾ في جملة: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لأجل الحصر، لأنه لا اعتبار لاستغفار غير المُتَّقين، والاستغفار الحقيقيّ هو الذي يترافق مع الذكر والعمل وهو خاصٌّ إذن بالمُتَّقين.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ أن هناك فرقًا بين السائل والمحروم، لأن المعطوف غير المعطوف عليه [أي أن العطف يقتضي التغاير]، فالسائل هو الذي يحقّ له أن يطلب من الزكاة الواجبة، أما المحروم فلأنه ليس له حقّ في الزكاة فإنه لا يسأل بل يُعطونه من الصدقات المستحبة. وأيضًا السائل هو الذي لا يتعفف عن السؤال أما المحروم فهو العفيف الذي لا يسأل.

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٣].

الفوائد: يُمكن أن يعود ضمير ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ على جملة: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من جنةٍ وجحيمٍ

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ج٥/ ص١٥٣.

وجزاءٍ، ويُمكن أن يعود على «القرآن» المفهوم من ضمن الكلام، يعني أن القرآن حقٌّ، والملاك الذي يُبيِّن هذا القرآن يستخدم هذه الحروف والكلمات عينها التي تستخدمونها في بيانكم. ومن الممكن أن يعود ضمير ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ على الرزق أو على يوم الدين، أي مثلما أنكم عندما تنطقون توقنون بكلامكم ونطقكم وتعلمون أنكم الآن في حال التكلم، كذلك القيامة ووقوعها أمرٌ يقينيٌّ قطعيٌّ محقَّق الوقوع.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات: ٢٤-٣٠].

الفوائد: كان إبراهيم ﷺ رجلاً كريمًا مضيافًا، أتى لضيوفه الغرباء الذين لم يكن يعرفهم وكان عددهم من ثلاثة إلى عشرة أشخاص، حسب ما ذكروه، بعجلٍ مشويٍّ، وكانت العادة أن يأكل الضيف مما يُقدَّم له من طعام، فإن لم يأكل كان ذلك علامةً على عداوته وإضماره السوء، لذا لما رأى إبراهيم أنهم لا يأكلون مما قدَّمه لهم خاف منهم، فقوَّتْهُ الملائكة وقالت له: لا تخف، وبشَّرته بابن سيأتيه بعطاءٍ من الله، لذا أدرك إبراهيم أن الضيوف مأمورون مِنْ قِبَلِ الله.

وَيَتَبَيَّنُ من هذه الآيات أن الأنبياء لا يعرفون كل شيء ولا يعلمون من الغيب إلا بمقدار ما يوحى إليهم.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣١-٣٧].

الفوائد: المقصود من: ﴿قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ قوم لوط الذين وصفهم اللهُ تعالى بسبب عملهم

القبيح بكل الصفات المذمومة: **مجرمين، مسرفين، كافرين**، كما ذُكرت أوصاف أخرى لهم في سور القرآن الأخرى، كما في سورة هود الآيات ٧٠ إلى ٨٣، وفي سورة الحجر الآيات ٥٨ إلى ٧٤، وفي سورة الشعراء الآيَة ١٦٠، وفي سورة الأعراف الآيَة ٨٠، وفي سورة النمل الآيَة ٥٤، وفي سورة العنكبوت الآيَة ٢٨، ويُمكن مراجعة الآيات التي جاءت بعدها والرجوع إلى سور القرآن الأخرى.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠].

الفوائد: عُطفت جملة: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ على ﴿فِيهَآ﴾ في جملة: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾. كما عُطفت على ﴿فِيهَآ﴾ في جملة: ﴿وَفِي عَادٍ﴾ أي أنَّ في جميع هذه القصص آياتٍ وعِبرةً وموعظةً. ولكن للأسف لم يأخذ اللاحقون العِبرة من أحوال الماضين بل زادت أعمالهم السيئة ومفاسدهم أكثر.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الذاريات: ٤١-٤٥].

الفوائد: قوم عاد هم الذين أرسل اللهُ إليهم هودًا عليه السلام كما جاء ذلك مشروحًا بالتفصيل في سورة هود. أما قوم ثمود فهم قوم النبيّ صالح عليه السلام ومرَّت قصته أيضًا في سور الأعراف وهود والشعراء وغيرها من السور.

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ

أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٦-٥٤].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أن فضاء السماوات يتسع يومًا بعد يوم.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أن الزوجية -أي الذكر والأنثى- موجودة في كل شيء كما جاء بيان ذلك في آياتٍ أخرى، وهذا من معجزات القرآن.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾ أن الشعوب المختلفة والأمم الماضية كانت كلها مُصِرَّةً على الكفر والضلال وكأنها أوصت بعضها بعضًا بسلوك طريق الضلال، مع أنه كان ينبغي عليها أن تتواصى بالحقّ لا بالباطل.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الذاريات: ٥٥-٦٠].

الفوائد: لما كان رسول الله ﷺ قد تعب من قومه وسئم من تكذيبهم، قال تعالى له: أعرض عنهم يا محمد فلا ملامة عليك في كفرهم وجحودهم [فقد بلَّغتَ وأنذرتَ]، وكان كلام الكفار وتكذيبهم قد أوشك أن يجعل رسول الله ﷺ يكفُّ عن رسالته، ولذلك جاءه الخطاب في الآية ٥٥ من هذه السورة أنه إن لم يكن في كلامك نفعٌ للكافرين فإن فيه نفعًا للمؤمنين. فلا تمتنع عن تذكيرهم لأن الذكرى تنفع المؤمنين.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أن أفراد الجِنّ والإنس جميعًا خُلقوا لأجل السعادة ولم يُخلق أحدٌ لأجل الشقاء.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أن الله تعالى لم يُرد من خلقه نفعًا ولا إشباع حاجة منه إلى شيء، بل كل ما أراده هو إيصال الفيض والكرم، وإيجاد الخلق دون عوض.

(٨ أبيات من الشعر للمؤلف باللغة الفارسية):

لم أخلق الخلق كي أنتفع منهم بل كي أجود على العباد

يا من وهبت الروح للتراب المظلم يا من أعطيت العقل والإحساس والرزق والإيمان

يا من جعلت التراب المالح خبزًا يا من جعلت الخبز الميت حياةً

يا مُبدِّل التراب ذهبًا يا من جعلت ترابًا آخر آدم أبا البشر

عملك هو تبديل الأعيان والعطاء عملنا هو السهو والنسيان والخطأ

يا من تُرشد الروح الحائرة يا من تجعل من ضلَّ الطريق نبيًّا

يا من تأتي بالسكَّر من القصب وبالفاكهة من الخشب يا من تأتي من المنيِّ الميت بتمثال الجمال!

تخلق الورد من الطين والصفاء من القلب وتمنح الشحم ضياءً ونورًا

سورة الطور

مكيَّة وهي تسع وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ٤ وَٱلسَّقۡفِ
ٱلۡمَرۡفُوعِ ٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ٨ يَوۡمَ
تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرٗا ٩ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرٗا ١٠﴾ [الطور: ١-١٠].

الفوائد: يُقسم الحقّ تعالى بالأشياء المباركة كي يعرف العباد قَدْرَها ويُدركوا أهميتها ويُجِلُّوها، مثل جبل الطور الذي تمتلئ نواحيه بالأنهار والأشجار والأزهار والرياحين إضافةً إلى أنه موضع الوحي ومكان حركة موسى عليه السلام وقيامه ورُقيِّ قومه. ومثل الكتاب المنشور الذي هو في متناول جميع الناس، والكتب المفيدة المنشورة أحد أهم وسائل تقدم الأمم ورُقيِّها، ومثل الكعبة التي هي منبعٌ للبركات لعباد الله وفيها منافع لجميع الناس، وهذا هو المقصود من: ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾. وبالطبع فإن منافع وبركات السماوات والبحار لا تحتاج إلى ذكر. كل هذا الأقسام (الأَيْمان) هي لأجل تأكيد وقوع القيامة وأهميَّتِها، وأنها هدف الخليقة. وسيأتي بيان المقصود من الأقسام القرآنية في سورة النازعات.

﴿فَوَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٖ يَلۡعَبُونَ ١٢ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ
جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤ أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا
تُبۡصِرُونَ ١٥ ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ

تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطور: ١١-١٦].

الفوائد: لما كان الناس في الدُّنْيَا يُطلقون على المعجزة البيِّنة والدليل الواضح اسم «**السِّحْر**»، وبَّخهم اللهُ تعالى على ذلك فقال: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾؟!».

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أن كل إنسان سينال جزاء عمله دون زيادةٍ أو نقصان، ووعد الله لا يتخلف.

﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ وَوَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٩﴾مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ١٧-٢٣].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ أن الأبناء والذرية من أهل التقوى يلتحقون في الجنة بآبائهم وإن كانوا أدنى منهم رتبةً، لكنهم بسبب إيمانهم سيجتمعون بآبائهم كي تقر أعين آبائهم بهم ولا يُصيبهم الحزن والغم لفراق أبنائهم، وهذا بذاته سيكون سببًا لمزيد من سعادة المتقين وفرحهم. والمقصود من جملة: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ﴾ أن أهل الجنة سيتبادلون كؤوس الشراب فيما بينهم بسرعة.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢٤-٢٩].

الفوائد: يُمكن أن يكون المقصود من جملة: ﴿كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ أننا كنا نُشفق في دار الدُّنْيَا بين أهلنا فكانت هذه الشفقة سببًا لنجاتنا من العذاب ولُطف اللهِ بنا، ويُمكن أن يكون المقصود أننا كنا نخافُ اللهَ في الدُّنْيَا أو كنا نخافُ فوتَ الدُّنْيَا وفراقَ الأصدقاء فتبيَّنَ لنا

اليوم أن خوفنا ذاك لم يكن في محله ولم يكن له من داعٍ. والباء في ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ باء السببية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ۝٣١ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَـٰمُهُم بِهَـٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٣٢ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ۝٣٣ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ۝٣٤ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥﴾ [الطور: ٣٠-٣٥].

الفوائد: نقل لنا الحقّ تعالى في هذه الآيات جميع أقاويل الكفار وشُبهاتهم الباطلة على نحو الاستفهام التوبيخيّ والتقريعيّ. والمقصود من: ﴿رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ حوادث الدهر السيئة التي تُسبِّب الموت والهلاك والتي كان المشركون ينتظرون أن تحلّ برسول الله ﷺ.

وهناك ثلاثة معانٍ محتملة لجملة: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾: ١- من غير سبب وبدون علَّة، أي «**باللغو والباطل**». ٢- من غير هدف يعني: «**خُلقوا عبثًا**». ٣- خُلقوا «**من غير خالق أو من غير مادة من المواد**».

﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۜيْطِرُونَ ۝٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ۝٣٨ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَـٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ۝٣٩ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٠ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤١﴾ [الطور: ٣٦-٤١].

الفوائد: المقصود من: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ...﴾ هل الذين يُنكرون الخالقَ هُم الذين خلقوا السماوات والأرض؟ والمقصود من جملة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ هل يملك الكفار خيار إعطاء الرسالة لمن يشاؤون؟ والمقصود من جملة: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ هل يستطيع الكافرون أن يذهبوا ويأخذوا الوحي من الله كي يستغنوا عن محمد؟ والمقصود من جملة: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي هل يتنبؤون بحوادث ستُصيب محمدًا استنادًا إلى علمهم بالغيب؟! [وكلها من باب الاستفهام الإنكاري].

﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢ أَمۡ لَهُمۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣ وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧﴾ [الطور: ٤٢-٤٧].

الفوائد: الـمقصود من جملة: ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗا﴾ اجتماع الـمشركين في دار الندوة لنفي محمد ﷺ أو حبسه أو قتله. والـمقصود من: ﴿عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ العذاب الدُّنْيَوي من قبيل القحط والحرب وسفك الدماء وتسلط الأشرار كما ابتُلي بذلك مشركو مكة، وفي نهاية الأمر وبعد معركة بدر، ذهبوا إلى جهنم وبئس الـمصير، لأن كلمة: «**دُونَ**» تأتي بمعنى القرب وهي مشتقة من مادة أدون أي أقرب.

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

الفوائد: بعد أن أجاب اللهُ عن شُبهات الـمشركين وبيَّن إيذاءهم، أَمَرَ رسولَه ﷺ أن يُقوِّي روحه ويزيد من صبره بواسطة تسبيح الله وتقديسه وعبادته. والـمقصود من جملة: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ النهوض من النوم لأجل قيام الليل أو النهوض لأجل أداء الصلاة الواجبة أو القيام لأجل الدعوة أو الاستيقاظ والقيام من القيلولة، أو القيام من الـمجلس أو مُطلق القيام الذي يشمل كل ما ذُكر. والـمقصود من: ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وقت غروب النجوم وطلوع الصبح أي وقت أداء صلاة الفجر.

سورة النجم

مكيَّة وهي اثنتان وستون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ
هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ
٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾
[النجم: ١-١٠].

الفوائد: قيل: إن المقصود من: ﴿ٱلنَّجۡمِ﴾ هنا نجم الثريا الذي يطلع باكرًا قبل الفجر ويغرب باكرًا عند طلوع الشمس، فقد شبَّه اللهُ به كوكب الهداية الأحمدية الذي طلع قبل صبح القيامة ورحل بسرعة عن الدُّنْيَا. كما أُطلق لفظ النجوم على آيات القرآن أيضًا كقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة: ٧٥]. بناءً على ذلك، يُمكن أن يُطلق على كل آية اسم ﴿ٱلنَّجۡمِ﴾ ، وكل آيةٍ إنما هبطت من مقام الربوبية، ولما كان نجم الثريا يغرب بسرعة في الخريف فإنه من الممكن أن يكون اللهُ قد أقسم بحال غروبه. ومن الممكن أن تكون الألف واللام لكلمة: ﴿ٱلنَّجۡمِ﴾ للاستغراق. بناءً على ذلك، يكون المقصود من هذه الآية أن كل نجم هو في حالة الهوِيِّ والهبوط، ولكن الظاهر أن المراد من النجم هو آية القرآن.

ولما كان ضمير ﴿هُوَ﴾ في جملة: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ يُشير إلى القرآن فمعنى ذلك أن القرآن ليس سوى الوحي وهذا لا يتنافى مع كون كلمات محمد ﷺ الأخرى أيضًا وحيًا.

والمقصود من الملاك الذي وصفه اللهُ بجملة: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ ملاك الوحي جبريل عليه السلام الذي مدحه اللهُ في هذه الآيات بأنه: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾. والآيات من ٤ إلى ١٠ تتعلق بجبريل عليه السلام، لكن بعض الخرافيين في زماننا تخيَّل أن هذه الآيات هي صفات لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فجاؤوا واخترعوا دعاءً باسم «دعاء الندبة» وقالوا فيه لإمامهم المُتخيَّل: أيها الإمام! أنت ابن النبيِّ الذي وصفه اللهُ بهذه الصفات... إلى قولهم: «**يَا ابْنَ مَنْ دَنا فَتَدَلّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، دُنُوًّا وَاقْتِرَابًا مِنَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى**»[١].

اللهُ يقول: إن ملاك الوحي الذي هو مُعلِّمٌ للرسول هبط من الأفق الأعلى واقترب من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقترابًا شديدًا كالمسافة بين قوسين أو أدنى، فأوحى إليه. ولكن مخترع دعاء الندبة يقول: إن والد الإمام، يعني النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم اقترب من اللهِ وتدلَّى إلى الأسفل وأصبح بُعْدُهُ عن الله العليّ الأعلى كالمسافة بين القوسين الملتصقين، فأثبت بذلك المكان والحيِّز لِلَّهِ عزّ وجلّ، وجرَّ نفسه وأتباعه نحو الكفر! فينبغي أن نقول: «**لعنة الله على الكاذبين المفترين**»! وقد كتبنا رسائل حول دعاء الندبة بيَّنَّا فيها ما في هذا الدعاء من أمور مضادَّة للقرآن فليُراجَعْ ثَمَّةَ.

﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١١-١٨].

الفوائد: ذهب بعض المُفسِّرين إلى أن هذه الآيات تتعلَّق بمعراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وينبغي أن نعلم أن لفظ المعراج لم يأتِ في القرآن الكريم، وإنما ذُكر الإسراء فقط -أي الرحلة الليلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- في سورة الإسراء، وهي رحلةٌ كانت من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. وهذه الآيات من سورة النجم ليست صريحة في المعراج والإسراء، ولا يوجد فيها إلا كلمتان يُمكن أن يُستفاد منهما قصة المعراج، إحداهما: ﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ والأخرى: ﴿جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ﴾، رغم أن هذين اللفظين قد يُحملون على شجرة السدر الدُّنْيَوية والبستان الأخضر

١- المجلسي، **بحار الأنوار**، ج ٩٩/ ص ١٠٨.

النضر، وأن نقول: إن ملاك الوحي أخذ مرَّةً رسولَ الله ﷺ إلى شجرةِ سِدْرٍ بعيدةٍ حيث يوجد بستان، وهناك صدَّق قلبُ النبيِّ ﷺ أن ما يراه هو مَلَكُ الوحي وأن بصره لم يزغ ولم يشتبه. وأنه رأى بعضًا من آيات الله الكبرى. ولكن الظاهر حمل الآيات على القول الأول أي على المعراج، وفي هذه الحالة يُمكننا أن نقول: إن هذه الوقائع حدثت ليلة المعراج عند: ﴿سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ وهي - طبقًا لبعض الأحاديث والروايات- في السماء السابعة تحت العرش. والجنة البرزخية أيضًا تقع هناك، كما أن رسول الله ﷺ رأى هناك بعض آيات الله الكبرى أيضًا.

نعم، إن رسول الله ﷺ لم يعتبر نفسه آيةً من آيات اللهِ العُظمى بل لاحظ في المعراج - طبقًا لهذه الآيات- آياتٍ من آيات ربِّه العُظمى والكبرى، ولكن بعض الناس في زماننا تقدَّم على رسول الله ﷺ واعتبر نفسه آيةَ اللهِ العُظمى!!.

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣ أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ٢٤ فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥﴾ [النجم: ١٩-٢٥].

<u>الفوائد</u>: الاستفهام في جملة: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ استفهام توبيخيّ، أي هل رأيتم بعين البصيرة اللات والعُزَّى ومناة وفكرتم ولاحظتم أنها موجوداتٌ جامدةٌ لا تنفع ولا تضرُّ ولا تستحقّ الحمد؟

كان المشركون يشعرون بالعار إذا كانت لديهم بنات، ورغم ذلك كانوا يعتبرون اللات والعُزَّى ومناة بنات الله ويعتبرونها شُفعاءهم عند الله! لذلك خاطبهم اللهُ على سبيل الاستفهام التوبيخيّ فقال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾؟!».

والمقصود من: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ عبارات الشفيع وباب الحوائج وأمثالها التي أطلقتموها على الأصنام، دون أن يكون عندكم دليلٌ ولا سُلطان -أي حُجَّةٌ- من الله على ذلك. كما يتمّ اليوم إطلاق ألفاظ مثل: القُطب والمُرشد والحُجَّة [والغوث]

وآية الله العُظمى وأمثال هذه الأسماء والألقاب التي اخترعوها لمخلوقاتٍ لا تضرُّ ولا تنفع، ومثل ذلك أيضًا كلمات: الشفعاء وباب الحوائج التي لا دليل عليها في الكتب السماوية وهي أسماءٌ ابتدعوها من عند أنفسهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ على عدم جواز اتِّباع الظن وحرمة التقليد.

والاستفهام في جملة: ﴿أَمۡ لِلۡإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾؟!» استفهامٌ إنكاريٌّ، أي لا يليق بالإنسان أن يقول كل ما خطر على قلبه فيخترع ذلك ويبتدعه.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ٢٧ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ [النجم: ٢٦-٣٠].

الفوائد: كان كثير من المشركين يجعلون الملائكة وسطاء بينهم وبين الله ويقولون: نحن لسنا أهلاً أن نطلب من الله مباشرةً بدون واسطة، وكانوا يعتبرون الملائكة شفعاءهم عند الله. وكانوا يعتبرون الأصنام مظاهر للملائكة، وقد ردّ اللهُ تعالى كل هذه الأفكار واعتبرها عقائد مُجرَّدة من السند والدليل. والعجيب أن هناك في زماننا من يعتبر أن الملائكة هي على شكل البنات ويرسمون أو يصنعون تماثيل بشكل البنات ليُصوِّروا بها الملائكة ويعتبرونها مظاهر للملائكة.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أنه ليس لهم علمٌ بصحة عقائدهم وأفكارهم الدينية. كما تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ أن لا فائدة من الظن والتخمين في العقائد الدينية ولا يجوز أن تُبنى عقائد الإيمان إلا على العلم والمعرفة.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ أنه عندما لا يرضى اللهُ عن عبد من عباده أي عندما لا تكون أعمال العبد وسلوكه وعقائده مرضيةً ولا مقبولةً عند الله، فلا يُمكن لأحد أن ينفعه ولا أن يشفع له.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝٣١ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم: ٣١-٣٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أن الشفاعة خاصة بالله وأنه تعالى خلق العالَم والبشر للامتحان وليوم الجزاء، فلم يخلق الكائنات عبثًا.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ أن كل من اجتنب الكبائر غفر اللهُ له الصغائر، والفرق بين الكبائر وبين الفواحش أن الكبائر كل ذنبٍ يُوجب لفاعله عقاب النار، أما الفواحش فهي التي توجب إقامة الحدّ على فاعلها.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ على بطلان الأخبار التي دسَّها غلاة الشيعة في كتبهم التي تنسب لأئمة أهل البيت أنهم وصفوا أنفسهم بالثناء والتمجيد والعظمة، واعتبروا أنفسهم عالـمين بالغيب ومُدبري أمور الكون، وأحد الأدلة على بطلان هذه الأخبار أن الأئمَّة عليهم السلام لم يكونوا مُتكبِّرين ولا مغرورين ولا مُعجبين بأنفسهم ولم يُزَكُّوا أنفسهم ولم يمدحوا ذواتهم كل ذلك الـمدح والثناء.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ۝٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ۝٥١ وَقَوْمَ نُوحٖ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ۝٥٢ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤﴾ [النجم: ٣٣-٥٤].

الفوائد: قوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰٓ﴾ رُوِيَ أنها نزلت في الوليد بن الـمغيرة جلس عند

النبي ﷺ وسمع وعظه، وأثرت الحكمة فيه تأثيرًا قويًا، فقال له رجل: لم تركتَ دين آبائك واتبعتَ محمدًا؟ ثم قال له: لا تخف وأعطني كذا وأنا أتحمل عنك أوزارك، فأعطاه بعض ما التزمه، ومنع الباقي فنزلت الآية[1].

وتدل الجمل التي في بدايتها عبارة: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ على الحصر وأن تلك الأمور مقصورة على الله ومنحصرة به، ولا يقدر عليها أحد غيره.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ والجملة التي بعدها أنه لن ينتفع الإنسان في دنياه وآخرته إلا بسعيه وما بذله من جهد.

ولما كان كوكب ﴿ٱلشِّعْرَىٰ﴾ كوكبًا بعيدًا جدًّا وكبيرًا للغاية كانت قبيلة خُزاعة تعبده، بَيَّنَ اللهُ تعالى أنه هو ربُّ الشِّعرى ليُبيِّن قدرته المطلقة.

والمقصود من: ﴿ٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ مدن قوم لوط التي حلَّ بها عذاب الله.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٥٥-٦٢].

الفوائد: مَنِ المُخَاطَبُ بجملة: ﴿ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾؟ إذا اعتبرنا الآية -كالآيات التي سبقتها- منقولةً من صُحف موسى وإبراهيم فإن المُخَاطَب هو جنس الإنسان بشكل عام، وإلا فيُمكننا أن نعتبر المُخَاطَب بها رسول الله ﷺ.

وإن قيل: كيف قال تعالى بعد أن ذكر أنواع نقمته وعذابه: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾؟! فالجواب: أن في ذكر تلك النقم وأنواع العذاب التي حاقت بالسابقين من الأمم عِبرةً للاحقين ونِعمةً وفائدةً لهم.

والسجود واجبٌ عند تلاوة الآية الأخيرة ويكفي للساجد أن يذكر الله بأي ذكر شاء.

١- انظر الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٢٩/ ص ١٢.

سورة القمر

مكيَّة وهي خمس وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤ حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ٥﴾ [القمر: ١-٥].

الفوائد: جاءت جملة: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ وجملة: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ بصيغة الـماضي رغم أن وقوعها في الـمستقبل، لأنها مُحققة الوقوع، أي أن اللهَ ذكرها بصيغة الـماضي لبيان حتميَّتِها وقطعيَّتِها. بناءً على ذلك، لما كان مجيء يوم القيامة أمرًا واقعًا وآتيًا لا محالة وجب أن يكون انشقاق القمر أيضًا كذلك، فوقوع كل من الأمرين سيكون في الـمستقبل وعند نفخ الصور. ومن الـممكن أن نعتبر جملة: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ فعلاً ماضِيًا حقيقيًّا وأن انشقاق القمر وقع -طبقًا لأخبار كثيرة مشهورة- زمن رسول الله ﷺ قبل الهجرة إلى مكة، والآية التي أعرضوا عنها واعتبروها سحرًا هي: شقّ القمر هذا كما رُوِيَ عَنْ عبد الله بن مسعود وعدد آخر من أصحاب رسول الله ﷺ أن كفار مكة طلبوا من رسول الله ﷺ معجزةً فقال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: السحر لا يؤثر في السماء، فإن كنت صادقًا فَشُقَّ لنا القمر فرقتين، وكانت ليلة بدر، فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين.

ومن الـممكن أن تكون «مَا» في جملة: ﴿فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ ما النافية كما يُمكن أن تكون ما

الاستفهامية وقد ترجمناها على المعنى الثاني. واعلم أنه يُستفاد من كثير من آيات القرآن أن محمدًا ﷺ لم يدَّعِ لنفسه معجزةً سوى القرآن، فهذا يُبعد أن يكون شقّ القمر من معجزاته ﷺ. ولكننا نؤمن بأن رسول الله ﷺ كانت له معجزات أخرى أيضًا غير القرآن.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر: ٦-٨].

الفوائد: ذُكرت ثلاثة احتمالات لجملة: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾:

الأول: أعرض عن شفاعتهم في ذلك اليوم.

الثاني: أعرض عنهم فسيأتيهم العذاب يوم كذا وكذا.

الثالث: أعرض عنهم لأن صفتهم يوم القيامة كذا وكذا. وجواب الأمر في الصورتين الأخيرتين محذوف.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝١٦﴾ [القمر: ٩-١٦].

الفوائد: يُذكِّر اللهُ رسولَه محمدًا ﷺ بالأذى والإهانات والتكذيب الذي قامت به الأمم السالفة تجاه أنبيائها كي يعلم أن مقام الرسالة مقامٌ يتطلب من صاحبه التحمل والصبر وقوة القلب، كما أن على الصادعين بكلمة الحقّ أن يعلموا أنه لن ينال أحدٌ الأجرَ دون مشقةٍ وجهد وعليهم أن يأخذوا الدروس والعِبر من أحوال الأنبياء، كما أنه على سائر الدعاة أيضًا أن يستيقظوا ولا يتأثروا بكلام الناس [أي بإهاناتهم واتهاماتهم وإيذائهم].

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧ كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ
١٨ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ
أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ٢٠ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٢١ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ
مِن مُّدَّكِرٖ ٢٢﴾ [القمر: ١٧-٢٢].

الفوائد: كرَّر الحقّ تعالى في هذه السورة جملة: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أربع مرَّات وبيَّن أن هذا القرآن قد سهَّل اللهُ تعلُّمه على جميع الناس، وكما بيَّنت الآيات الأخرى، القرآنُ هدايةٌ وبيانٌ واضحٌ لعموم الناس، فالويل لعلماء الدين المرائين المتلبسين زورا بلباس أهل العلم في زماننا الذين لا هم يتدبرون القرآن حتى يفهموه، ولا يَدعون الناس يتدبرونه حتى يفهموه، بل يقولون لهم ليل نهار: لا يُمكنكم فَهْمُ القرآن، وقد ارتكبوا هذا الجرأة والجرم لصيد العوام وحفظ دكاكينهم الخرافية المضادة للقرآن وحفظ منافعهم المادية.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤
أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ٢٥ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ
٢٦ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ
شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٠ إِنَّآ
أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ٣١﴾ [القمر: ٢٣-٣١].

الفوائد: كان قومُ ثمود قومَ النبيِّ صالحٍ عليه السلام وقد أخرج اللهُ لهم ناقةً من الجبل تصديقًا لِنُبُوَّة صالح واختبرهم وامتحنهم لكنهم رسبوا في الامتحان.

ويمكن أن يكون المُرادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ﴾: أيها القوم احضُروا عند كل سهمٍ سواءً كان سهمَ الناقة أم سهمَكم، لأنه كان قد تقرر أن يكون ماء النبع خالصًا لتلك الناقة في يومٍ، وخالصًا للقوم في يوم آخر، فالآية تأمر القوم أن يحضروا في اليوم الخاص بالناقة ليشربوا من لبنه.

﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٣٢ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن

شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ [القمر: ٣٢-٣٩].

الفوائد: ما أكثر تأكيد الحقّ تعالى على كون القرآن سهلاً مُيسَّرًا للفهم! فاستخدم هنا لام التأكيد في جملة: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ....﴾ ثم استخدم حرف «**قَدْ**» الذي يُفيد التأكيد أيضًا.

وكلمة «النُّذُر» في هذه الجمل مصدر أنذر بمعنى الإنذار، ونُذُرِ بكسر الراء أصلها: نُذري.

وقد جاءت قصة لوط في سور متعددة مثل: سورة هود الآيَة ٧٠، وسورة الحجر الآيَة ٥٩، وسورة الشعراء الآيَة ٦٠، وسورة النمل الآيَة ٥٦ وغيرها من السور.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٠-٤٨].

الفوائد: «**النُّذُرُ**» مصدر بمعنى اسم الفاعل أي الـمُنْذِر، وهي جمع النذير أيضًا. وجملة: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ.....﴾ خطابٌ لمشركي مكّةَ، الذين كانوا يقولون: نحن جمعٌ كبيرٌ بعضنا يُساعد بعضًا فقال تعالى: عن قريب سيتفرق جمعهم ويُوَلُّون ظهورهم للمعركة، وهذا إخبارٌ عن أمرٍ غيبيّ لأن الآيات نزلت في مكة ثم وقعت بعد سنوات عديدة موقعة بدر، وتفرَّق جَمْعُ الـمشركين فيها. وبالطبع فإن يوم القيامة سيكون أشدَّ مرارةً وصعوبةً عليهم.

﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر:٤٩-٥٥].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ أن الله خلق كل شيء بمقدار مُعيَّن وبنحوٍ يتناسب مع سائر المخلوقات، ومنع زيادته ونقصانه ولولا ذلك لفسد العالَم، فمثلاً: لو خلق الله الحشرات بمقدار أكثر من اللازم لملأت الحشرات كل الفضاء وأفسدته، وهكذا سائر المواد والعناصر، فالله تعالى خلق كلَّ شيء بمقدار اللزوم وهو مُسيطرٌ على ذرَّات جميع المخلوقات لأنه القويُّ المُقتدر.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ على دقة الحساب. «**اللهم اجعلنا من المتقين بل واجعلنا للمتقين إمامًا**».

سورة الرحمن

مكيَّة وهي ثمان وسبعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦﴾ [الرحمن: ١-٦].

الفوائد: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مبتدأٌ وخبره جملة: ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ ، وذكر اللهُ تعالى ذلك لأن أهل مكة كانوا يُنكرون الرحمن ويقولون: ما الرحمن؟! وكانوا يقولون: لقد علَّم شخصٌ من الناس هذا القرآن لمحمَّد! فقال تعالى ردًّا عليهم: الرحمن هو الذي أنزل برحمته هذه الآيات، التي هي رحمةٌ كلُّها، أنزلها على محمد وعلَّمه إياها. وقدَّم اللهُ تعالى في هذه الآيات ذكر القرآن وتعليمَه على ذكر أصل خلقة الإنسان لبيان أهمية القرآن وعظمته، لأن تعليم القرآن موهبةٌ منحها اللهُ لملاكٍ مثل جبريل ﷺ. ولما كان أصل الخِلقة مُقدَّمًا على التعليم قدَّم جملة: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ على جملة: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾. والمقصود من: ﴿ٱلۡبَيَانَ﴾ التعبير الذي هو نِعمة اللهِ الكبرى على الإنسان التي تُميِّزه عن سائر الحيوانات إذ يستطيع الإنسان بها أن يُعبِّر للآخرين عما في ضميره ويُبيِّنَ علومه، وأن يُفهم الآخرين ما يعتمل في نفسه من ألم ويُعبِّر عن رغباته.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ١١ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ [الرحمن: ٧-١٣].

الفوائد: كرَّر الحقُّ تعالى كلمة الـميزان ثلاث مرَّات:

الأول: بمعنى آلة الوزن التي هي الـميزان الـمعروف (ذو الكفَّتين) أو العدل.

الثاني: بمعنى الوزن يعني راعوا دقَّة الوزن حين تَزِنُون.

الثالث: بمعنى الـموزون، أي بمعنى الـمفعول أي لا تُنقصوا شيئًا من الـموزون.

والـمقصود من: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ أن الحبوب عدّة أقسام: قسمٌ له أوراق وغلاف (القش) مثل الشعير والقمح، والقسم الآخر ورديٌّ وعطريٌّ كالثمار التي يأكلها الإنسان وهذه تُسمَّى الريحان، أما ما يأكله الحيوان فيُسمَّى العصف.

وأما تكرار جملة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرَّةً فهو لأجل التقرير والتأكيد، ولعل السرَّ في تكرار الجملة ٣١ مرَّةً أن الحقّ تعالى عدَّد نِعمه على الجِنِّ والإنس من بداية السورة إلى أن يصل في آخرها إلى آيات التخويف وعذاب النار، فذكر تلك الجملة ثمان مرَّات. ثم ذكر تلك الجملة للتخويف وللنجاة من العذاب سبع مرَّات. ثم ذكر تلك الجملة في بيانه للجنة ونعيمها ثمان مرَّات، وذلك لأن أبواب الجحيم سبعة وأبواب الجنة ثمانية. وذُكرت في هذه الآيات كلمة (جنَّتان) وكُرِّر العدد ثمانية لكل جنة فيُصبح الـمجموع إحدى وثلاثين. ومن الـممكن أن نقول: لما تكررت في السورة السابقة جملة: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٠] ثلاث مرَّات، وذُكرت نِعم الله هنا في هذه السورة؛ وجب أن يكون عددها عشرة أضعاف عدد تكرار تلك الجملة. ومن الـممكن أن نقول: إن آية ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ تكرَّرت لكلٍّ من الجِنِّ والإنس خمس عشرة مرَّة. وعلى كل حال، من أساليب التخاطب لدى العرب تكرارهم لكل أمر مهم، كما نجد ذلك في ترجيعات الشعراء الذين يُكرِّرون بيت شعر واحد على رأس كل مجموعة من الأبيات، كما نجد أيضًا الشاعر سعدي (الشيرازي) يُكرِّر إحدى ترجيعاته في إحدى قصائده وهي ترجيعة:

بنشينم وصبر پيشه گيرم   دنبالهِٔ كار خويش گيرم

أي

لِأجْلس وأتخذ الصبر لي خُلُقًا ولأذهب إلى عملي

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨﴾ [الرحمن: ١٤-١٨].

الفوائد: المقصودُ من: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ جدُّنا آدم أو الإنسان النوعيّ. والمقصود من: ﴿ٱلۡجَآنَّ﴾ بتشديد النون الجِنَّة والشياطين، وذكرها لأجل بيان القدرة الإلهيّة وبيان الفضل الإلهيّ أي أن الإنسان رغم أنه خُلق من أصلٍ كثيفٍ كدرٍ إلا أنه في الوقت ذاته أُعطي روحًا أرفع وأسمى. والمقصود من المشرقين والمغربين مشرق الشمس والقمر أو مشرق الشمس: في الشتاء وفي الصيف، ومغربها كذلك، وهي في الواقع مشارق ومغارب.

﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥﴾ [الرحمن: ١٩-٢٥].

الفوائد: والمقصود من: ﴿ٱلۡبَحۡرَيۡنِ﴾ البحر المالح والبحر العذب أو بحر ماء السماء وماء الأرض، أو بحر الروم والبحر الفارسي، أو البحر الأحمر والبحر الأسود، التي يوجد بينها برزخٌ أي حائلٌ يمنع -بقدرة الله- أحد البحرين أن يعتدي على البحر الآخر ولا يؤثر كلُّ بحرٍ في الآخر، فمثلاً لا يؤثر الماء العذب بالماء المالح ولا المالح بالعذب.

﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٨ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٣٠﴾ [الرحمن: ٢٦-٣٠].

الفوائد: تُطلق عبارة: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا﴾ على العقلاء لأنهم هم الذين يريد اللهُ أن يعظهم.

والمقصودُ من: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاتُ ربِّك، كما أوضحنا ذلك في التعليق على قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]. ويُمكن أن تكون عبارة: ﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ بمعنى ذو العظمة ومن الممكن أن نقول: إن الجلال هو التنزُّه عن صفات النقص والصفات السلبية «**لأن شأنه أجلُّ وأعظم من أن يكون ناقصًا محتاجًا**». والمقصود من: ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ صاحب الصفات الكمالية والكرم. والمقصود من جملة: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ أنه لا تعطيل في ذاته وصفاته، وهذا ردٌّ على من يقول: إن اللهَ خلق العالَمَ ثم تركه واستراح، أو أوكل تدبيره لمخلوق من مخلوقاته! نعوذ بالله. إذن، طبقًا لهذه الآيَة الكريمة فإن اللهَ تعالى فعَّالٌ دائمًا وفي كل وقت وزمن في شأنٍ من الشؤون من خلقٍ أو رزقٍ ..... وليس في أمره لحظة توقف، كما لا يشغله عملٌ عن عملٍ آخر: «**لا يشغله شأن عن شأن**».

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرحمن: ٣١-٣٦].

الفوائد: المقصودُ من جملة: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ التهديدُ، أي سنُحاسبكم سريعًا. والخطاب في آية: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ كما يظهر من ظاهر الآيات هو في القيامة حين لا يستطيع البشر أن يهربوا من قدرة الحقّ ويخرجوا من السماوات والأرض وينجوا بأنفسهم من العقاب والجزاء إلا بدليلٍ من علمٍ أو عملٍ أو إيمانٍ أو تقوى. والمقصود من جملة: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ شُهب النار أو جَذَوَات النار أو الرصاص أو القنابل الهوائية.

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾﴾ [الرحمن: ٣٧-٤٢].

الفوائد: لما كانت هناك مواقف مختلفة في القيامة، فإن العباد يُسألون في أحد المواقف ولا يُسألون في موقف آخر. فقد تُشير الآيَة المذكورة أعلاه ﴿لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ إلى عدم السؤال في المواقف التي لا يُسأل فيها العباد، ويُمكن أن يُقال: إنه لا يُسأل المجرم باللسان سؤالاً حقيقيًّا لأن المجرمين يُعرفون بسيماهم وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم وسائر أعضائهم، بل سيُسْألون سؤالاً تقريعيًّا وتوبيخيًّا. والمقصود من جملة: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أن أهل النار يُجَرُّون من جباههم وأقدامهم ويُسْحَبُون ويُرمون في جهنم نعوذ بالله.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾﴾ [الرحمن: ٤٣-٥٥].

الفوائد: الْمَقْصُود مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ الإنسان الذي يعتبر اللهَ قائمًا على كل نفسٍ وحاضرًا ناظرًا فلا يعصي اللهَ في حضوره. والمراد من: ﴿جَنَّتَانِ﴾ جنة عدن وجنة النعيم التي يدخلها المؤمنون لأجل التسلية والتفنن في الجنات ويتمتعون بنعيمها.

﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾﴾ [الرحمن: ٥٦-٦٣].

الفوائد: لما كان المؤمنون الذين يخشون ربَّهم بالغيب في الحياة الدُّنْيَا يستحيون ويغضون

أبصارهم ولا يعصون اللهَ بأعينهم لذا أثابهم اللهُ ببناتٍ ذوات حياءٍ فتَّانٍ.

وجملة: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ﴾ كلامٌ كليٌّ وعقليٌّ، ولذلك جاء في الحديث: «**قال اللهُ تبارك وتعالى: هل جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنَّة؟**»[1]. ولكن الإنسان قد يعمل أحيانًا خلافًا لفطرته لذا جاء في الحديث: «**اتق شرَّ من أحسنت إليه**»[2].

وقد تكون كلمة «**دُون**» في جملة: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ بمعنى القرب وقد تكون بمعنى الدرجة الأقلّ أي أن اللهَ جعل للعبد الذي كان يخشاه ويتقيه طبقتين في الجنَّة: توجد في الطبقة الأولى القصور والغرف والحوريات الجميلات، وتوجد في الطبقة الثانية الأشجار والخضار والعيون كما جاء في الآيَة اللاحقة.

﴿مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾﴾ [الرحمن: ٦٤-٧٥].

الفوائد: إذا أراد العبد أن يصل إلى هذه النعم التي ذكرها الحقّ تعالى وعدَّدها في هذه الآيات فمن الجيد أن يقول بعد كل آيةِ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ يقول: « **لا بشيء من آلاء ربِّي أُكذِّب**»، ثم يُصلِّي على النبيّ ﷺ وآله آملاً أن ينال هذه النعم. وبالطبع ينبغي أن يكون من المتقين والعاملين بأوامر القرآن. لأن الجنَّة مكان المُتَّقين الطيِّبين الأطهار وليست مكانًا

١- أخرجه الديلمي في **مسند الفردوس** عن أنس، (٤/ ٣٣٧، رقم ٦٩٧٥)، وابن النجار في **ذيل تاريخ بغداد** عن علي، انظر **كنز العمال** للمتقي الهندي، ج٢/ ص ٥١٧، (٤٦٣٨).

٢- قال العجلوني في **كشف الخفاء** (١/ ٤٣): «(اتق شر من أحسنت إليه) وفي لفظٍ: من تحسن إليه، قال في الأصل: لا أعرفه ويشبه أن يكون من كلام بعض السلف. قال: وليس على إطلاقه بل هو محمول على اللئام دون الكرام». انتهى. قلت: فالجملة ليست حديثًا نبويًّا بل مَثَلٌ عربيٌّ قديم.

للخبيثين الأقذار.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ٧٦ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن: ٧٦-٧٨].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ أن اسم اللهِ مبارك وبركته من ثلاث جهات:

الأول: أن الحقّ تعالى دائمٌ وباقٍ، وبقاء النعم التي ذُكرت في هذه السورة ليس ذاتيًّا بل إنما تبقى ببقاء الحقّ تعالى لها.

الثاني: أن الخير منه وهو مالك الخير.

الثالث: بركة الحقّ تعالى بمعنى عُلوِّ شأنه، ولما كانت ذات الحقّ في غاية العظمة وعُلوِّ الشأن كان اسمه أيضًا عظيمًا ومباركًا وسببًا لزوال الشر وفرار الشياطين والمزيد من الخير، ولذلك فإحدى لذَّات أهل الجنَّة ذِكر اسم الله عزَّ وجل.

سورة الواقعة

مكيَّة وهي ست وتسعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ٢ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا
٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ٥ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ٦ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧ فَأَصۡحَٰبُ
ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ٩
وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾ [الواقعة: ١-١١].

الفوائد: حرف «إِذَا» في جملة: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ مبتدأ وخبره حرف «إِذَا» في جملة: ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا﴾. ولم يذكر الله تعالى في هذه الآيات القيامة، بل ذكر عجائب وقائعها للتهويل. وَالـمَقْصود مِنْ صفتي: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ أنها ترفع منزلة الـمؤمنين وتخفض الكافرين الـمُنكرين.

وَالـمُرَاد مِنْ: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ -وهي مشتقة من اليمين يعني اليد اليمنى- أصحاب السعادة واليُمن، بعكس ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ الذين هم أهل الشؤم والـمصائب والشقاء. وَالـمقْصود مِن: ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الذين سبقوا الآخرين في الإيمان وأعمال الخير.

﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ١٢ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٤ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ
١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ١٦ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ
وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠

وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الواقعة: ١٢-٢٤].

الفوائد: قيل: إن ﴿ٱلنَّعِيمِ﴾ بستانٌ أو جنَّةٌ لا ينتهي نعيمها بل تبقى على الدوام.

وَالمقْصود مِنْ: ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ صبيانٌ وشبابٌ لا يشيخون بل يبقون في سن الشباب دائمًا.

وقُرئت ﴿يُنزِفُونَ﴾ بكسر الزاي ومعناها لا تنفد ولا تنقطع عنهم. وَالمرَاد مِن الخمر هنا الخمر الصافي الزلال الذي لا يُسبِّب السُّكر. و﴿ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾ هو اللؤلؤ الذي لم تمسه الأيدي ويكون جميل اللون فاتنًا.

﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٥-٤٠].

الفوائد: من هم المقصودون من ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾؟

كرَّر اللهُ تعالى جملة: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ في هذه السورة في موضعين، فقال بعضهم: أراد من الأولين مؤمني الأمم السابقة، ولكن اللهَ قال في سورة التوبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [التوبة:١٠٠] فيُمكننا أن نستفيد من ذلك أن المراد من الأولين هم هؤلاء المهاجرون والأنصار الذين وعدهم الله كل هذه الوعود بالنعيم والجنة ولا يضرُّهم أن هناك في زماننا من يطعن فيهم، بل هذا الطعن يزيد في أجرهم وثوابهم. ومن الممكن القول: إن المقصودين من ﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ الذين جاؤوا بعد رسول الله ﷺ ممن أشار اللهُ إليهم في سورة الجمعة بقوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡ...﴾ [الجمعة: ٣].

وَالمُرَاد مِنْ: ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ العُرب جمع العروب وهي المرأة المتحبِّبة إلى زوجها التي

يأنس بها زوجها، والتي تلاعبه قبل أن تعاشره. والأتراب جمع تِرب بكسر التاء ومعناها المماثل في السنِّ والمماثل في القدِّ والرفيق في اللعب. لأن جميع أهل الجنَّة شبابٌ قدُّهم واحد وسنهم واحدة وجمالهم متشابهٌ وكلهم في نضرة وجدَّةٍ وسرور.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾
لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا
ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا
ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ
ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٥٦].

الفوائد: ما هو المقصود من ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾؟ ذكروا في ترجمة[١] ذلك أنه القَسم الكبير. لأن المُشْرِكين كانوا يُصرُّون على قولهم: إنه ليس ثمَّة بعثٌ ولا قيامة ويُقسمون على ذلك، ولكن الحِنث في اللغة هو عدم الوفاء باليمين، فيُمكن القول: إن الحِنث أُطلق هنا على القسم ذاته من باب «**إطلاق الضد على الضد**». واعلم أن هذه الآيات ذمٌّ لمن كانوا يُنكرون المعاد ويستبعدونه.

وبعد أن ذكر اللهُ أنواع الوعيد بدأ في الآيات التالية بذكر الأدلة على القيامة فذكر أدلةً يفهمها جميع الناس:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ
أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا

١- يعني معنى الآية، والمؤلف -رحمه الله- يستخدم كلمة (الترجمة) ويقصد بها (المعنى).

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٥٧-٦٢].

الفوائد: أحد الأدلة على المعاد ما ذكره اللهُ في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ....﴾ أي أن الذي قدر على خلقكم من مَنيٍّ نَتِنٍ لقادرٌ على أن يخلقكم ويبعثكم من جديد من التراب والعظام. ومن الدلائل على المعاد أيضًا آية: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي أن اختيار الموت لم يكن بأيديكم بل بتقديرنا، فكما قَدَرْنا على الذهاب بكم وإماتتكم فحن قادرون أيضًا على إعادتكم وإحيائكم من جديد. ومن الأدلة الأخرى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي رأيتم نشأتكم الأولى في الدُّنْيَا وكيف أن اللهَ خلقكم من عدم فعليكم كذلك أن تُدركوا وتؤمنوا أننا قادرون على إنشائكم مرَّةً ثانيةً في الآخرة.

﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٦٣-٧٤].

الفوائد: من الأدلة الأخرى على المعاد آية: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ التي تُفيد أن الزراعة عليكم والإنبات على الله. ولذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا عن أنفسكم: الزارع بل قولوا: الباذر**»[1].

إحدى نِعم الله الكبرى الخارجة عن اختيار البشر هطول المطر الذي يُعطي الماء الزلال العذب الذي يُحيي كل شيء في حين أن اللهَ تعالى كان قادرًا على أن يجعل ماء المطر مالحًا أو مُرًّا، وهذا أيضًا دليلٌ على المعاد، فاللهُ الذي أحيا الأرض الميتة بماء المطر لقادرٌ على أن يُحيي

١- روى الكُلَيْنِيّ في **الكافي** (ج٥/ ص ٢٦٣) عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إِذَا بَذَرْتَ فَقُلِ: اللَّهُمَّ قَدْ بَذَرْتُ وَأَنْتَ الزَّارِعُ**». ولم أجده في مصادر أهل السنة.

الأجساد الـميتة، ولذلك جاء في الحديث أن هناك ماءً عند الله يُدعى ماء الحيوان يُمطره قبل القيامة على الأرض لكي يُحيي به البشر جميعًا.

وَالـمَقْصود مِنْ قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ اذكروا الله واسمه العظيم، ونزِّهوه عن كل نقص، وقد قال رسول الله ﷺ: إنه يجب العمل بهذه الآية أي قراءة هذا التسبيح في الركوع.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة: ٧٥-٨٢].

الفوائد: اعتبرنا حرف «لَا» في جملة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ لا النافية لأننا نعتقد أنه لا توجد حروف زائدة في القرآن، وعليه فالـمعنى هو: إن الأمر واضحٌ بيِّنٌ إلى درجة أننا لا نحتاج معها إلى القسم على أن القرآن كتابٌ كريمٌ مباركٌ. أي أن الحقّ تعالى يقول: لا أقسم على كون القرآن كريمًا ولو أقسمت لكان ذلك قسمًا عظيمًا وذلك لعظمة جواب القسم أي جملة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾.

ويُمكن أن تكون جملة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ...﴾ قسمٌ فعليّ وهذا كما تقول العرب: لا والله، وفي هذه السورة يكون الـمعنى: «ليس الأمر على النحو الذي تتصورونه أيها الـمُشرِكُون الذين أنكرتم القرآن بل إنني لأقسم بمواقع النجوم أنه ... »، وهذا أيضًا رائجٌ في كلام العرب ومثله قوله تعالى في سورة النساء: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء:٦٥]. هذا وقد أقسم اللهُ تعالى في آيات أخرى أيضًا بالسماء والنجوم كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١] أو قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، ولو كان الـمراد من مواقع النجوم هو القرآن كما ذكرنا لكان الـمعنى أن اللهَ أقسم بالقرآن نفسه، وهذا مثل قسمه في بداية سورة يس حين قال: ﴿يسٓ . وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس: ١ - ٢].

وجملة: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ جملةٌ نافيةٌ خبريّة وليست جملةً إنشائيّةً ناهيةً؛ لأنها لو

كانت نهيًا لوجب أن يقول تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥ﴾ -بفتح السين-، ولكن الجملة الخبرية إنما تصدق إذا لم يمسَّ أحدٌ القرآن إلا وهو على طهارة، مع أننا نعلم أن الأمر ليس كذلك وأن كثيرًا من الناس يمسون القرآن دون وضوء ولا غسل، إذن فليس المقصود من كلمة ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾: الطهارة الظاهرية لأنه لو أراد ذلك لقال: المُتطهِّرون؛ بل المقصود الطهارة الباطنية أي أن أنقياء القلوب هم فقط الذين يُدركون القرآن، خلافًا للقذرين الخبثاء، والمقصود المُتطهِّرون من الشرك. كما أن المَقْصود مِنْ: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥ﴾لا يُدركه، أي أن غير الطاهرين لا يصل فهمهم إلى إدراك معاني القرآن ومسِّها، إلا إن كان الإنسان مُوحِّدًا، أما غير الموحدين فإن أدركوا شيئًا منه كان إدراكهم ناقصًا لا يمنحهم النجاة. فالمقصود هو نفي كمال الإدراك لا نفي وجوده. ويُمكن أن يكون المراد من كلمة: ﴿ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ الملائكة. وعلى كل حال، ما ذكرناه هو ما فهمناه ولا يمنع أنه من المُستحب في نظرنا أن يتوضأ الإنسان الذي يُريد تدبُّر القرآن وقراءته ومسَّه، أو يغتسل إن كان في حاجة إلى الغسل.

ويُمكن أن يكون المَقْصود مِنْ: ﴿مَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: موارد نزول آيات القرآن.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦].

الفوائد: لا تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ دلالةً صريحةً على كيفية السعادة أو الشقاء في عالَم البرزخ؟ والفاء في كلمة: ﴿فَرَوْحٌ﴾ تدل على أنه ليس بين القيامة وبين لحظة الرحيل عن الدُّنْيا فترةٌ أو فاصلٌ زمنيٌّ مشهودٌ ومحسوسٌ.

ولكن كيف نجمع بين هذا وبين آيات اللبث التي تقول: ﴿قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ

﴿فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣]؟

إن هذا يحتاج إلى تأمُّل! وفي نظرنا، إن الإحساس في عالَم البرزخ قليلٌ إلى درجة أنه عندما يحضر الإنسان ساعة القيامة يُحِسُّ وكأنه قد مات قبل لحظات وأنه لم تكن هناك فترةٌ زمنيةٌ فاصلةٌ بين موته والقيامة، وأنه أصبح في خلال لحظات - بعد موته- في عالَم القيامة[1]. بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، يجب على الإنسان أن يُراقب أعماله بشكلٍ دائمٍ ويعلم أنه عندما يُدركه الموت فمعنى ذلك أنه أصبح في صحراء المحشر وفي فزع اليوم الأكبر وفي يوم الحساب والكتاب وأنه انتقل إلى لحظة قيام القيامة ولا يتصورنَّ في هذه الدُّنْيَا أن هناك فاصلاً زمنيًّا طويلاً بين موته وبين يوم القيامة، أبدًا ليس ثمَّة فاصلٌ زمنيٌّ فمن مات قامت قيامته.

وَالمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾ - إن اعتبرنا أن المُخَاطَب في كلمة: «**لَكَ**» هو النبيّ ﷺ-: هو أن أصحاب اليمين يطلبون الرحمة لك لأنك كنت هاديهم. وإن اعتبرنا أن المُخَاطَب بكلمة «**لَكَ**» هو المحتضر كان المعنى أن أصحاب اليمين يطلبون الرحمة لك أيها المُحتضر المُشرف على الموت.

١- ذكر المؤلف في مواضع أخرى أن الناس ليسوا سواء في عالم البرزخ، فمنهم من يكون شعوره كشعور النائم أو الغائب عن الوعي، ولعل هذا هو حال جمهور الناس، أما من كان في قمة الخير (أو قمَّة الشر) فحالهم مختلف، فمثلاً آيات القرآن صريحة في حياة الشهداء وشعورهم الكامل فور استشهادهم في وقت لا يزال قومهم فيه أحياء في الدنيا، حتى أن الشهداء يتمنون أن يعرف قومهم في الدنيا ما نالوه من غفران وتكريم ونعمة من الله وفضل، كالآيات ٢٦- ٢٨ من سورة يس، والآيات ١٦٩- ١٧٥ من سورة آل عمران، والآية ١٥٤ من سورة البقرة.

سورة الحديد

مدنية وهي تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢﴾ [الحديد: ١-٢].

<u>**الفوائد**</u>: التسبيح إما مقاليٌّ أو حاليّ، فتسبيح الجِنِّ والملائكة والعقلاء من بني آدم مقاليٌّ، ولكن تسبيح الكائنات الأخرى حاليٌّ ومعناه أن كيفية خَلْقِ كلِّ كائنٍ ممكن الوجود وتناسبه ومقداره ودقة صُنْعِه شاهدٌ على أن خالقه واجب الوجود يتمتَّع بكمال العلم والقدرة والتدبير ومُنزَّهٌ عن الجهل والعجز وعدم التدبير. والتسبيح على أربعة أقسام: «**تنزيه الذات عن النَّقص والجهل والعجز والاحتياج والمكان، وتنزيه الصِّفات عن الشبه وعن التغيير والتغيُّر، وتنزيه الأفعال عن الشركة وعن التوقف على مادة ومثال وعن التفويض وعن اللعب وعن التعب والملل، وتنزيه الأسماء والأحكام والمعبودية**».

﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦﴾ [الحديد: ٣-٦].

الفوائد: قال رسول الله ﷺ في توضيح الآية ٣: «**إنه الأول ليس قبله شيء والآخر ليس بعده شيء**»[1] أي أن أوليته لا أول لها، أي لا شيء قبلها، وآخريته لا آخر لها، أي لا شيء بعدها.

وَالـمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أنه بعد خلق السماوات والأرض بدأ بتدبير العالَمَ كله[2]. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أن اللهَ مع الإنسان في جميع أحواله وهو عالـم بأعمال الإنسان جميعها، وصفة الحاضر والناظر والـمُراقب لكل شيء هذه خاصَّةٌ به وحده سبحانه وتعالى.

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الحديد: ٧-٨].

الفوائد: كلُّ لاحقٍ خليفةٌ لمن سبقه وكلُّ موضعٍ في القرآن جاءت فيه لفظة الخليفة أو الـمُستخلف فالـمقصود منها خليفة اللاحق للسابق، كما جاء في الآية السابعة من هذه السورة أن اللهَ جعلكم خلفاء في أموال السابقين أي أن دوركم جاء في التصرُّف في هذه الأموال فأنفقوا منها. وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ هو ميثاق الفطرة والعقل.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٩ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝١٠﴾ [الحديد: ٩-١٠].

١- أخرج مسلم في صحيحه (٢٧١٣) عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه كان يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ».

٢- انظر تعليق المصحح -حول استواء الله تعالى على عرشه كما يليق بجلاله- في هامش تفسير الآية الثانية من سورة رعد. [الـمُصحح]

الفوائد: المَقْصود مِنْ: ﴿قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ﴾ و﴿مِنۢ بَعۡدُ﴾ فتح مكة. وَيُسْتَفَادُ مِنْ هذه الآيات أن الذين أنفقوا من أموالهم في سبيل الله وجاهدوا في سبيله قبل الفتح، مقامهم عند الله أعلى وأرفع من الذين أنفقوا من أموالهم وجاهدوا بعد فتح مكة، لأن المسلمين كانوا قبل فتح مكة ضعفاءَ وكان الإسلام في نظر الناس ضعيفًا ذليلاً لا ناصر له ومُدافع عنه. وممن أنفق من أمواله ودافع عن الإسلام – عندما كان المسلمون لا يزالون قِلَّةً مُستضعفةً في الأرض وكان المُشْرِكُون مُسيطرين عليهم-: «**أبو بكر**»، هذا رغم أن أمير المؤمنين عليًّا ﵇ كان أول من أظهر إيمانه، ولكنه كان طفلاً ولم يهتمَّ أحدٌ بإيمانه، أمَّا أبو بكرٍ فكان رجلاً ذا منزلةٍ وكان كهلاً في سن رسول الله ﷺ، فكان لإيمانه أهميةٌ كبيرةٌ عند المُشْرِكين وكان عُرضةً لضربهم وأذاهم، خاصةً أنه كان يُنفق من ماله ويدعو الآخرين إلى الإسلام وكان من المُهاجرين وممن شهد بدرًا وأُحدًا وسائر الغزوات أي كان من المُجاهدين والسابقين الأولين. وللأسف دفعت يد السياسة بعض المسلمين إلى إساءة القول والطعن في مثل هؤلاء الأشخاص. لقد تعرَّض أبوبكرٍ بسبب دفاعه عن الإسلام في مكة إلى الضرب حتى أشرف على الموت. وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ**»[(١)].

وقد أنقذ أبو بكر بفضل إنفاقه عددًا من المسلمين من أيدي الكفار ومن جملتهم بلال الحبشيّ الذي كان يتعرَّض للتعذيب على أيدي المُشْرِكين فاشتراه أبو بكرٍ منهم وحرَّره، وهذا لا يمنع أن حضرة الأمير (علي بن أبي طالب) والآخرين أيضًا أنفقوا من أموالهم وجاهدوا بأنفسهم، والآية عامة.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ١١ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۖ بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ

١- متفق عليه، **صحيح البخاري** (٣٤٧٠) و**صحيح مسلم** (٢٥٤٠) و(٢٥٤١) عن أبي هريرة رفعه.

﴿نُورًاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ [الحديد: ١١-١٤].

الفوائد: جاء في الحديث أنه لما نزلت الآية ١١ سَخِرَ شخصٌ من اليهود وقال: إن ربَّ محمد فقيرٌ يحتاج إلى القرض، فلما سمع أبو بكر بذلك صفع اليهودي على وجهه، فجاء اليهودي إلى رسول الله ﷺ واشتكى من ذلك فنزلت الآية ١٨٦ من سورة آل عمران: ﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وعلى كل حال، فإن الصدقة والإنفاق والقرض من الأعمال المهمة التي يجب على المسلمين أن يقوموا بها ولا يغفلوا عنها كي يصلح أمر دنياهم وآخرتهم، وكي لا يُبتلوا بالقروض الربويَّة التي تذهب بأموالهم ودنياهم وتُخرِّب آخرتهم وتسلب البركة من حياتهم.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥ ۞أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٥-١٦].

الفوائد: كان هناك أشخاصٌ مثل اليهود مغرورون بأمور تحت اسم دين الله، وقد قست قلوبهم ولم تخشع لِلَّهِ لذلك كانوا يعصونه، فقال الحقّ تعالى في هذه الآيات: لا تكونوا أيها المسلمون مثل أولئك الذين قست قلوبهم ولم تخضع لآيات الله وما نزل من الحق. رُوي عن ابن عباس أن صحابة رسول الله ﷺ كانوا بمكة مجدبين فلما هاجروا وقدموا المدينة أصابوا لينًا في العيش ورفاهية، فتغيروا عما كانوا عليه [فقست قلوبهم] فعوتبوا بهذه الآية. كما روي أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أوصيكم بالشبان خيراً؛ فإنهم أرقُّ أفئدةً، إن اللهَ بعثني بشيراً ونذيراً، فحالفني الشبان وخالفني الشيوخ، ثم قرأ: فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**»(١).

١- لم أجده سوى في تفسير **روح البيان** لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، ج٧/ ص٣، دون سند.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝١٧ إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقۡرَضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعَفُ لَهُمۡ وَلَهُمۡ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٩﴾ [الحديد: ١٧-١٩].

الفوائد: قُرئت ﴿إِنَّ ٱلۡمُصَّدِّقِينَ وَٱلۡمُصَّدِّقَٰتِ﴾ بتشديد الصاد، وأصلها: المُتصدِّقون والمُتصدِّقات أي الذين يُؤدُّون الصدقات، فإن قرأناها بتخفيف الصاد كان معناها الذين آمنوا وصدَّقوا. ويتبيَّن من الآية ١٩ أن كل من آمن بالله ورسوله يُمكن أن يُقال له: الصدِّيق فليس الصدِّيق مُنحصرًا بالمعصوم ولا بالخليفة الأول (أبي بكر). كما يُستفاد من الآية أن كل مؤمن شاهدٌ عند الله على أعمال المؤمنين وأقوالهم أو على كفار زمانه، فالشهادة ليست مُنحصرةً برسول الله ﷺ.

﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ۝٢٠ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢١ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝٢٢﴾ [الحديد: ٢٠-٢٢].

الفوائد: يُذكِّرنا اللهُ تعالى في الآية ٢٠ بخصائص الدُّنْيَا وفوائدها وبفوائد الآخرة ومزاياها كي يسمع العاقل ويعي حقيقة الأمر ويستيقظ من غفلته. بالطبع لا ينبغي للعاقل والمؤمن أن يغفل عن الدُّنْيَا أيضًا، كل ما في الأمر أنه لا يجوز له أن يجعلها هدفه في الحياة بل عليه أن يجعل سعيه وعمله وكسبه الحلال وسيلةً لسعادة الدُّنْيَا والآخرة.

رُوِيَ أنه كان رسول الله ﷺ مرَّةً جالسًا مع أصحابه، فمرَّ بهم شابٌّ قويٌّ، فرأى الصحابة

من جلده ونشاطه منذ أول اليوم، فقال الصحابة: لو كان هذا في سبيل الله! [أي كان الأولى بهذا الشاب أن يصرف طاقته وقوته في سبيل الله]، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تقولوا هذا، فإنه كان يسعى على نفسه ليكفها عن الـمسألة ويُغنيها عن الناس فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعافاً ليُغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخراً فهو في سبيل الشيطان**»(١).

استدل الـمُفسِّرون بجملة: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ ...﴾ على أن الأمر يدل على الفور، ولكن الإنصاف أن الآية لا تدل على ذلك لأن الـمسابقة إلى الشيء تختلف عن الفورية في القيام به، فالـمسابقة تكون في الأمر الذي يُخيَّر فيه الإنسان بين الفورية وغير الفورية، أما إن كان الأمر فوريًّا فلا يكون هناك مجالٌ للمسابقة. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الحروب والـمجاعات والغلاء ونقص الثمار والـمصيبة في النفس كالألم والخوف والحزن وأمثالها. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ﴾ أن كل هذه الأمور مسجلة ومكتوبة في كتابٍ هو اللوح الـمحفوظ أو شيء آخر، فكل ما يقع على الإنسان قد كُتب سابقًا وقُدِّر عليه.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحديد: ٢٣-٢٤].

الفوائد: ورد في الحديث أن أفضل كلام في الزهد هو الآية ٢٣ من هذه السورة. وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا!! إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُهَا كَمَثَلِ الرَّاكِبِ رُفِعَتْ لَهُ شَجَرَةٌ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ**

١- أخرجه بلفظ مقارب: **الطبراني في الكبير** (١٩/ ١٢٩، رقم ٢٨٢) ، وفى **الأوسط** (٧/ ٥٦، رقم ٦٨٣٥)، قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** (٤/ ٣٢٥): «رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح». اهـ. وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: «أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث كعب ابن عجرة بسند ضعيف». اهـ. قلتُ: وأخرج نحوه البيهقي في **السنن الكبرى** عن ابن عمر مرفوعًا (٧/ ٤٧٩، رقم ١٥٥٢٠) .

فَقَالَ تَحْتَهَا ثُمَّ رَاحَ وَ تَرَكَهَا»[١]. وكان رسول الله ﷺ أزهد الأَنْبياء. رُوي عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: «**كان يمرُّ علينا أربعون يوماً ولا يُوقَدُ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ! قيل: فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ الْمَاءُ وَالتَّمْرُ**»[٢]. وكان عليٌّ عليه السلام زاهدًا جدًّا أيضًا ولما وصل إلى الخلافة قسَّم كل ما في بيت المال وأخذ لنفسه زنبيلاً ومجرفةً وذهب إلى بئرٍ في قباء وعمل فيه. يُراجع في هذا باب زهد الأَنْبياء والأولياء.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ على أن الهدف من إرسال الرسل إقامة العدالة الاجتماعية أي أن ينهض الناس أنفسهم لإقامة الحقّ والعدل في المجتمع ولا يسكتوا عن الظلم ولا يكونوا غير مبالين.

ويدل عطف ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾ على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ أنهما شيئان مختلفان، واختلف المُفسِّرون في المراد من ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾ ، ولكن طبقًا لظاهر اللغة ينبغي أن يكون الميزان هو الميزان المعروف الذي توزن به الأشياء، ويُقال: «**كل ما يُوزن به فهو الميزان**»، بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فكلمة الميزان يمكن أن تُطلق على الميزان المعروف (ذي الكفتين واللسان) وعلى القبَّان والشاقول والكتب السماوية والقرآن والعقل المتر وأمثالها، ويُمكن أن نعتبر ﴿ٱلْمِيزَانَ﴾ معطوفًا على ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ عطف تفسير أو من باب عطف الخاص على العام، بمعنى أن يكون الكتاب والميزان شيئًا واحدًا وكلاهما يُشير إلى القرآن الكريم، كما بيَّنَّا ذلك في التعليق على الآية ١٧ من سورة الشورى.

١- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٢/ ١٣٤. والحديث بلفظ مقارب في مصادر أهل السنة: **سنن الترمذي** (٢٣٧٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وسنن **ابن ماجه** (٤١٠٩)، و**مسند أحمد**، ١/ ٣٩١، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح. وأخرجه الحاكم في **المستدرك** (٤/ ٣٤٥، رقم ٧٨٥٩)، والبيهقي في **شعب الإيمان** (٧/ ٣١١، رقم ١٠٤١٥).

٢- الحديث (بلفظ مشابه) حديثٌ متَّفقٌ عليه: **صحيح البخاري** (٢٤٢٨)، و**صحيح مسلم**(٢٩٧٢).

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٦ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ فَـَٔاتَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۡهُمۡ أَجۡرَهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ٢٧﴾ [الحديد: ٢٦-٢٧].

<u>الفوائد</u>: تكرَّرت جملة: ﴿وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ ومن هذه الجملة يتبيَّن أن الأكثرية في كل أمةٍ كانوا من الفاسقين. ولكن كان الأفراد الصالحون أيضًا موجودين دائمًا بينهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً﴾ أن دين الأَنْبياء وأتباعهم هو دين الرأفة والرحمة والعطف والشفقة، لا دين القسوة والعنف وانعدام الرحمة، كما وصف اللهُ أتباع الإسلام أيضًا في الآية ٢٩ من سورة الفتح بقوله: ﴿.... رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ....﴾، كما أمر اللهُ تعالى أن يكون المؤمنون رُحماء بارِّين بالكفار وأهل الكتاب الذين لم يُقاتلوهم وأن يسلكوا معهم سلوكًا قائمًا على المحبة والقسط كما نجد ذلك في الآية ٨ من سورة الممتحنة[1]. هذا وقد جعل اللهُ أحد مصارف الزكاة: ﴿وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأما رهبانية المسيحيين التي سمَّاها اللهُ بِدعةً، إذ كانوا يتخلَّون عن الدُّنْيَا ولذاتها ويسكنون في الجبال والكهوف ويشتغلون بالعبادة، وقد انتشرت هذه الرهبانية بينهم عندما جاء ملوكٌ وسلاطينُ جبَّارون بعد حضرة عيسى عليه السلام ونشروا الكفر والفسوق بين الناس وحاربوا أتباع عيسى ثلاث مرَّات فقُتل أكثرهم وبقي قليلٌ منهم، فتركوا الدُّنْيَا وأهلها لأولئك السلاطين، وفرُّوا إلى الكهوف والجبال. وعلى كل حال، لم يُراعوا هذه الرهبانية التي ابتدعوها بأنفسهم، وارتكبوا في الخفاء المُحرَّمات والشهوات، ورغم أن الرهبان كانوا ينتظرون نبيّ آخر الزمان إلا أنه لما جاءهم هذا النبيّ لم يؤمن معظمهم به.

١- أي قوله تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

الفوائد: المقصودون بالخطاب في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مؤمنو أهل الكتاب الذين كانوا يؤمنون بالله وبالرسل قبل محمَّد ﷺ، فقال تعالى لهم: آمنوا بمحمد كي يكون أجركم مضاعفًا. ذكروا في سبب نزول هذه الآيات أنه لما كان اليهود يعتقدون أن الوحي والرسالة يجب أن تكون فيهم وأن اللهَ فضلهم على العالمين، ذكَّرهم الله في هذه الآيات أن فضل الله وكرمه، أي النُّبُوَّة، بيد الله يُعطيها من يشاء، وليست ملكًا لكم ولا تحت تصرفكم، وأنتم - بما أنكم آمنتم بالأنبياء السابقين - فإن آمنتم بمحمَّد كان أجركم عظيمًا مضاعفًا.

ومن الممكن أن نعتبر «لَا» في عبارة ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ لا النافية لأن الترجمة المشهورة اعتبرت أن «لَا» هذه زائدة، فإن اعتبرناها نافية كان المعنى: كي لا يعلم أهل الكتاب أنهم غير قادرين على تحصيل شيء من فضل الله ولا يُمكنهم الإيمان بمحمد بل هم قادرون على ذلك وإيمانهم بمحمد سيُؤدي إلى حصولهم على كرم الله وأن يكون أجرهم مضاعفًا.

قال سعيد بن جبير: بعث رسول الله ﷺ جعفرًا في سبعين راكبًا إلى النجاشي يدعوه، فقدم عليه فدعاه فاستجاب له وآمن به، فلما كان عند انصرافه قال ناس ممن آمن به من أهل مملكته وهم أربعون رجلاً: ائذن لنا فنأتي هذا النبيَّ فنسلم به، فقدموا مع جعفر، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا نبي الله! إن لنا أموالاً ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها، فأذن لهم، فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤] فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين، فلما سمع أهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [القصص: ٥٤]، فخروا على المسلمين فقالوا: يا معشر المسلمين! أمَّا مَنْ آمن بكتابكم وكتابنا فله أجران ومن آمن منا بكتابنا فله أجر كأجوركم فما فضلكم علينا؟ فنزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، فجعل لهم أجرين وزادهم النور والمغفرة ثم قال: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ..﴾ [الحديد: ٢٩].

وقال الكلبيُّ: كان هؤلاء أربعة وعشرين رجلاً قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهودًا ولا نصارى وكانوا على دين الأنبياء فأسلموا، فقال لهم أبو جهل: بئس القوم أنتم والوفد لقومكم! فردُّوا عليه: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ....﴾ [المائدة: ٨٤] الآية. فجعل الله لهم ولمؤمني أهل الكتاب [عبد الله بن سلام وأصحابه] أجرين اثنين...»[1].

يقول المؤلف: قولُ الكلبيِّ في نظرنا صحيحٌ.

---

١ - الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٤٤.

سورة الـمجادلة

مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ٢ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٣ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾ [الـمجادلة: ١-٤].

الفوائد: نزلت هذه الآيات في امرأة من الأنصار ثم من الخزرج واسمُها «خولة بنت ثعلبة»، وزوجها «أوس بن الصامت»، وَذلك أنها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وَكان امرءًا فيه سرعة وَلـمَم فقال لها: أنت عليَّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال. وَكان الظهار من طلاق أهل الجاهلية فقال لها: ما أظنك إلا وَقد حَرُمْتِ عليَّ فقالت: لا تقل ذلك وَائت رسول الله ﷺ فاسأله. فقال: إني أجد أني أستحيي منه أن أسأله عن هذا. قالت: فدعني أسأله. فقال: سليه. فأتت النبيَّ ﷺ وَعائشة تغسل شق رأسه، فقالت: يا رسول الله! إن زوجي أوس بن الصامت تزوجني وَأنا شابة غانية ذات مال وَأهل

حتى إذا أكل مالي وَأفنى شبابي وَتفرق أهلي وَكبرت سني ظاهر مني وَقد ندم فهل من شيء يجمعني وَإياه فتنعشني به؟ فقال ﷺ: ما أراكِ إلا حرمتِ عليه! فقالت: يا رسول الله! وَالذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقًا وَإنه أبو ولدي وَأحبّ الناس إليَّ! فقال ﷺ: ما أراك إلا حرمت عليه! وَلم أؤمر في شأنك بشيء. فجعلت تراجع رسول الله ﷺ وَإذا قال لها رسول الله ﷺ حرمت عليه هتفت وَقالت: «أشكو إلى الله فاقتي وَحاجتي وَشِدَّةَ حالي، اللهم فأنزل على لسان نبيك». وَكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت: انظُر في أمري جعلني اللهُ فداكَ يا نبيَّ الله. فقالت عائشة: أقصري حديثك وَمجادلتك أما ترين وجه رسول الله ﷺ؟! وَكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي أخذه مثل السبات، فلما قضي الوحي قال: ادعي زوجك، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ إلى تمام الآيات. قالت عائشة: تبارك الذي وسع سمعه الأصوات كلها، إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وَأنا في ناحية البيت أسمع بعض كلامها وَيخفى عليَّ بعضُهُ إذ أنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ...﴾، فلما تلا عليه هذه الآيات قال له: هل تستطيع أن تعتق رقبة؟ قال: إذًا يذهب مالي كله وَالرقبة غالية وَإني قليل المال. فقال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ فقال: وَالله يا رسول الله! إني إذا لم آكل ثلاث مرات كلَّ بَصَري وَخشيتُ أن تغشى عيني. قال: فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينًا؟ قال: لا وَاللهِ إلا أن تعينني على ذلك يا رسول الله. فقال: إني معينك بخمسة عشر صاعًا وَأنا داع لك بالبركة؛ فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعًا ودعا له بالبركة فاجتمع لهما أمرهما»[1].

وكان هذا أول ظهار في الإسلام، وكان الظهار من أشد أنواع الطلاق في الجاهلية. ولمعرفة شروط الظهار التي ذُكرت في كتب الفقه يُراجع كتاب **جامع المنقول**، أو كتاب أحكام القرآن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٥ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٤٦ - ٢٤٧.

ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ۝٦ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة: ٥-٧].

الفوائد: قال ابن عباس: نزل قوله ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ.....﴾ الآية، في اليهود وَالمنافقين أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وَينظرون إلى المؤمنين وَيتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وَقد بلغهم عن أقربائنا وَإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتلٌ أو مصيبةٌ أو هزيمةٌ فيقع ذلك في قلوبهم وَيحزنهم، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وَعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية[1].

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١٠﴾ [المجادلة: ٨-١٠].

الفوائد: المقْصود مِنْ: ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ هنا إيذاء المؤمنين، وَالمَقْصود مِنْ: ﴿ٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ إيجاد العداوة والتوصية بمعاداة المؤمنين. وَالمَقْصود مِنْ: ﴿وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ تحريض بعضهم بعضًا على عصيان رسول الله ﷺ. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ على أنه عندما يكون هناك عددٌ من المؤمنين حاضرون ناظرون فلا يجوز للآخرين أن يُناجي بعضهم بعضًا سرًّا.

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٤٩ - ٢٥٠.

وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ أنهم عندما كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ كانوا يقولون: السام عليكم بدلاً من السلام عليكم! مع أن اللهَ تعالى قال: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]. وقال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ الْقَوْمُ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى مِنْهُمُ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ مَا يَحْزُنُهُ وَيُؤْذِيهِ**»(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة: ١١-١٣].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله أن يفسح بعضهم لبعض. وجاء في الحديث أن المسجد والصُّفَّة ضاقا على الناس يوم الجمعة الذي كان يجتمع فيه جميع المؤمنين، وكانَ رسول الله ﷺ يكرمُ أهل بدر من المهاجرين وَالأنصار فجاء أناس من أهل بدر وَفيهم ثابت بن قيس بن شماس وَقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا: السلام عليك أيها النبيُّ وَرحمة الله وَبركاته! فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسَّع لهم، فلم يفسحوا لهم، فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين وَالأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من أهل بدر، فشق ذلك على

١- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٢/ ٦٦٠. وهو حديث متفق عليه في مصادر أهل السنة: انظر **صحيح البخاري** (٥٩٣٢) وصحيح مسلم (٢١٨٤).

من أقيم من مجلسه وَعرف الكراهية في وجوههم، وَقال المنافقون للمسلمين: ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس؟! فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وَأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وَأجلس من أبطأ عنهم مقامهم، فنزلت الآية[١].

(وَأما) آية النجوى أي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ...﴾ الآية، فإنها نزلت في الأغنياء وَذلك أنهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته، فنزلت آية الرخصة. وَقال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السلام: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي وَلا يعمل بها أحد بعدي ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهمًا فنسختْها الآية الأخرى ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَـٰتٖۚ﴾ الآية[٢].

ويُمكننا القول: إن نزول الآية كان لأجل امتحان المؤمنين وكان حكمها مؤقتًا وجاءت آية الإشفاق لتحديد الوقت لا لنسخ الحكم.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٥ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَـٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٦ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَـٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ١٧﴾ [المجادلة: ١٤-١٧].

الفوائد: المقصودون في جملة: ﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ...﴾: المنافقون، والمُشار إليهم في قوله تعالى: ﴿قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾: هم اليهود الذين كان المنافقون يتولونهم أي يحبونهم ويُصادقونهم ويُطلعونهم على أسرار المسلمين. يقول اللهُ: إن هؤلاء المنافقين لم يكونوا لا من

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٥٢.

٢- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٥٢.

المؤمنين ولا من اليهود، وقد كان المنافقون يُقسمون إنهم من المسلمين وكانوا يجعلون هذا القَسَم جُنَّةً أي وقايةً وسِتْرًا يحتمون به من التهمة وسوء الظن بهم، فهم يبتعدون بأنفسهم عن طريق الله ويصدون الآخرين أيضًا عن سبيل الله، وهذا كشأن [فريق من] المسلمين في زماننا لا هم مسلمون ولا يَدْعُون أحدًا يبين للناس الإسلام الحقيقي؛ فهم يمنعون أنفسهم ويمنعون الآخرين عن طريق الله، وإن رآهم شخص لا معرفة له بحقيقة الأمر نَفَرَ مِنَ الإسلام وكَرِهَهُ!

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: ١٨-٢١].

الفوائد: المقصود أن المنافقين لكثرة ما كانوا يقسمون بالله كذبًا فإنهم يوم القيامة أيضًا سيقسمون كذبًا أمام الله!

ومن الممكن أن يُراد من: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ﴾ الغلبة الظاهرة لأن كلَّ نبيٍّ أُمِرَ بالجهاد نُصِر على أعدائه، ومن الممكن أن يُرادَ بذلك الغلبة بالحجة والدليل.

وَالْمَقْصُود مِنْ: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: بيان حال المنافقين في الدنيا إذْ يحسبون أنهم على طريق صحيحة، ومن الممكن أن يُراد بيان حالهم في الآخرة وأنهم هناك أيضًا لن يكونوا موقنين ببطلانهم.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢].

الفوائد: رُوِيَ [عَنْ ابن عباس قال:] نزلت هذه الآية في **أبي عبيدة بن الجراح** قتل أباه **عبدَ**

الله بن الجراح يوم أحد، **وعمر بن الخطاب** قتل خالَه **العاصَ ابن هشام بن المغيرة** يوم بدر، **وأبي بكر** دعا ابنه يوم بدر إلى البراز، فقال النبيُّ ﷺ: «**متعنا بنفسك**»! **ومصعب بن عمير** قتل أخاه **عبيد بن عمير**، **وعلي بن أبي طالب وعبيدة** قتلوا **عتبة وشيبة والوليد بن عتبة** يوم بدر، أخبر أن هؤلاء لم يوادُّوا أقاربَهم وعشائرَهم غضبًا لِـلَّهِ ودينه[١].

ورُوِيَ أن الآية نزلت في **حاطب بن أبي بلتعة** حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله إليهم وكان ﷺ أخفى ذلك، فلما عوتب على ذلك قال: أهلي بمكة أحببت أن يحوطوهم بيد تكون لي عندهم[٢].

وقيل: إنها نزلت في **عبد الله بن أُبَيّ بن سلول** وابنه **عبيد الله بن عبد الله** وكان هذا الابن عند النبي ﷺ فشرب النبيُّ ﷺ فقال: أَبْقِ فضلةً من شرابك أَسْقِهَا أبي لعل الله يطهر قلبه. فأعطاه فأتى بها أباه فقال: ما هذا؟ فقال: بقية شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك. فقال: هلا جئتني ببول أمك!! فرجع إلى النبي ﷺ فقال: ائذن لي في قتله. فقال ﷺ: بل ترفَّق به[٣].

١- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٢٩/ ٢٧٧-٢٧٨. وانظر: الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ٩/ ٢٦٤، والبغوي، **معالم التنزيل**، ٨/ ٦٣، والواحدي، **أسباب النزول**، ص (٤٧٨)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٧ / ٣٠٧، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٤ / ٣٣٠ .

٢- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٥٥. وانظر: الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ٩/ ٢٦٤، والبغوي، **معالم التنزيل**، ٨/ ٦٢، والفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٢٩/ ٢٧٨، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٧ / ٣٠٨.

٣- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٥٥. وانظر: الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ٩/ ٢٦٤، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٧ / ٣٠٧.

سورة الحشر

مدنية وهي أربع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ [الحشر: ١-٢].

الفوائد: المُراد من جملة ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إخراج كفار يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة فمنهم من خرج إلى خيبر وَمنهم من خرج إلى الشام.

وكانت قصتهم أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه وَلا يقاتلوا معه، فقبل ذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا وَظهر على المشركين قالوا: وَاللهِ إنه للنبيُّ الذي وجدنا نعته في التوراة لا تُردُّ له رايةٌ. فلمَّا غزا غزاةَ أحد وَهُزم المسلمون ارتابوا وَنقضوا العهد فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبًا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشًا وَحالفوهم وَعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد. ثم دخل أبو سفيان في أربعين وَكعب في أربعين من اليهود المسجد وَأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار وَالكعبة ثم رجع كعب بن الأشرف وَأصحابه إلى المدينة وَنزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه وَأبو سفيان وَأمره بقتل كعب بن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة الأنصاري وَكان أخاه من الرضاعة.

قال محمد بن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري وَكان بين بني النضير وَبني عامر عقد وَحِلف فلما أتاهم النبيُّ يستعينهم في الدية قالوا: نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه، وَرسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد، فقالوا: مَنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة، وَرسولُ الله ﷺ في نفر من أصحابه، فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم فقام، وَقال لأصحابه: لا تبرحوا فخرج راجعا إلى المدينة. وَلَمَّا استبطؤوا النبيَّ ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيتُهُ داخلاً المدينةَ فأقبل أصحابُ النبيِّ ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر. وَأَمَرَ رسولُ اللهِ ﷺ محمدَ بنَ مسلمة بقتل كعب بن الأشرف فخرج وَمعه سلكان بن سلامة وَثلاثة من بني الحارث وَخرج النبي ﷺ على إثرهم وَجلس في موضع ينتظر وجوههم فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره وَأجلس قومه عند جدار وَناداه: يا كعب! فانتبه وَقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن مسلمة أخوك جئتك أستقرض منك دراهم؛ فإن محمدًا يسألنا الصدقة وَليس معنا الدراهم، فقال: لا أقرضك إلا بالرهن. قال: معي رهن، انزل فخذه، وَكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروسًا. فقالت: لا أدعك تنزل لأني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت، فلم يلتفت إليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة وَهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء ثم أخذ رأسه وَدعا بقومه وَصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وَسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلاً. وَرجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب ففرحوا وَأمر رسول الله ﷺ بحربهم وَالسير إليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن[١].

فأرسل لهم رسولُ الله ﷺ من يبلِّغهم أنهم نقضوا العهد الذي جعله لهم، وأنهم همُّوا بالغدر به ﷺ وأمرهم أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَلَدِه وإلا فليستعدوا للحرب. وأمهلهم رسول الله ﷺ عَشْرَةَ

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٥٧ - ٢٥٨.

أَيَّام. فَمَكَثُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا يَتَجَهَّزُونَ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولُ عبدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلول يبلغهم عنه: أن لَا تَخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَقِيمُوا فِي حُصُونِكُمْ فَإِنّ مَعِي أَلْفَيْنِ مِنْ قَوْمِي وَغَيْرَهُمْ مِنْ الْعَرَبِ، يَدْخُلُونَ مَعَكُمْ حِصْنَكُمْ فَيَمُوتُونَ مِنْ آخِرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُوصَلَ إِلَيْكُمْ، وما زال بهم حتى اغترَّ يهودُ بني النضير وزعيمُهم حُيَيّ بن أخطب فِيمَا قَالَه عبدُ اللهِ بْنُ أُبَيّ، فَأَرْسَلَ حُيَيّ أَخَاهُ إِلَى رَسُولِ ﷺ: إِنّا لَا نَبْرَحُ مِنْ دَارِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَاصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ. فحاصر رسولُ الله ﷺ حصنَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، إلى أن ألقى الله في قلوبم الرعب فأذعنوا للجلاء، فَقَالَ رسول الله ﷺ: أُخْرُجُوا مِنْهَا بشرط أن لَكُمْ مَا حَمَلَتِ الْإِبِلُ من المتاع إلّا الْحَلْقَةُ (أي السلاح). واتفقوا على ذلك، ولكنهم حاولوا مرةً ثانيةً الغدر برسول الله ﷺ وقتله، وفي نهاية المطاف وبعد حصار دام واحدًا وعشرين يومًا خرجوا من ديارهم، وشرط عليهم رسول الله ﷺ أن لا يحمل كلُّ أهلِ بيت أكثر من حمولة ثلاثة جمالٍ فقط.

فخرجوا إلى أذرعات بالشام وأريحا إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق، وآل حيي بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر(١).

والمقصود من: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ﴾ جلاء اليهود عن المدينة الذي كان أول خروج لهم منها، ولم يسبق أن أُخرجوا منها إذ كانوا أصحاب عدَّة وعدد.

هذا وكانت كراهية بني النضير لمحمد ﷺ لها أسباب أخرى من جملتها حكم رسول الله ﷺ لصالح بني قريظة ضدَّ بني النضير، في قصة قتلٍ وقعت بين هاتين القبيلتين اليهوديتين، والتي ذُكرت في سورة النساء، ويراجع في ذلك كتب التاريخ.

وبالمناسبة، فإن بعض الجمل التي وردت فيما نقلناه آنفًا من رواية حول قتل كعب بن الأشرف، فيها تأمل [أي ثمة شكٌّ في صحتها].

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم

١- هذه التتمة لقصة بني النضير لخصها المؤلف مما جاء في كتاب **المغازي** للواقدي، ص ٣٦٤ - ٣٧٤.

مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الحشر:٣-٥].

الفوائد: الْـمَقْصُود مِنْ: ﴿لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ أن يبتلي اللهُ بني النضير بما حلَّ ببني قريظة من القتل أو الأسر. وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ أن رسول الله ﷺ اقتلع أثناء محاصرة بني النضير أشجار نخيلهم وكان السبب في ذلك أنَّ قلوبهم كانت شديدة التعلُّق بأشجارهم فأراد رسول الله ﷺ أن يقتلع أملهم في البقاء وأن يحملهم على الإذعان إلى الرحيل بسرعة.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٦-٩].

الفوائد: «الفَيْءُ» مالٌ يعود من الكفار على المسلمين. وحكمه - كما بينته هذه الآيات- أنه إذا تركه الكفار دون حرب وقتال، كأموال بني النضير، فإن التصرف فيها خاص برئيس المسلمين ومالكِ زمام أمورهم يصرفها كما بينت آية مصارف خمس غنائم الحرب أي الآية ٤١ من سورة الأنفال: ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقد أوضحنا تلك المصارف في تعليقنا على تلك الآية وذكرنا بأنها لا تختص بالسادة أي الأشراف من بني هاشم، بل المقصود من اليتامى والمساكين وابن السبيل فيها عامة المسلمين، كما يدل عليه مجيء الآية التالية بعدها مباشرة: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ﴾.

بناءً على ذلك فإننا نتعجب كل العجب لماذا قصر فقهاء الشيعة الأصناف المذكورين في الآية ٤١ من سورة الأنفال على بني هاشم فقط، والتعجب الأكثر هو أنهم جعلوا المقصود من غنائم الحرب: غنائمَ جميع المكاسب!!.

وعلى كل حال قسَّم رسولُ الله ﷺ أموال بني النضير على المهاجرين فقط، ولم يعط الأنصار شيئًا سوى ثلاثة أشخاص كانوا في فقر وحاجة شديدة وهم: أَبُو دُجَانَةَ وَسَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ وَالْحَارِثُ بنُ الصمَّة، وقال رسول الله ﷺ للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم (لأن المهاجرين كانوا قد فروا من ديارهم وتركوا منازلهم ومعايشهم وكانوا بحاجة إلى ما يعيشون به في المدينة) وتشاركونهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يُقْسَمْ لكم شيءٌ من الغنيمة، فقال الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها، فنزلت الآية [١] من هذه السورة[٢].

وذكر المؤرخون أخبارًا كثيرةً في إيثار الأنصار أو أصحاب رسول الله ﷺ بشكل عام، من ذلك أنه كان هناك سبعة جرحى عطشى بين المجروحين في ميدان معركة أحد فجيء بماء يكفي لأحدهم فقال واحدٌ منهم: ناوِلْ فلانًا، حتى طِيفَ على سبعتهم وَماتوا وَلم يشرب أحدٌ منهم فأثنى اللهُ سبحانه عليهم. ومن ذلك أيضًا أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: أطعِمْني فإني جائع، فبعث ﷺ إلى أهله فلم يكن عندهم شيء. فقال: من يضيفه هذه الليلة؟ فأضافه رجل من الأنصار وَأتى به منزله وَلم يكن عنده إلا قوت صبية له؛ فأتوا بذلك إليه وَأطفؤوا السراج وَقامت المرأة إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا، وَجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ فظن الضيف أنهما يأكلان معه حتى شبع الضيف، وَباتا طاويين، فلما أصبحا غدَوَا إلى

١- أي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

٢- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٦٠. وروى ذلك أيضًا جميع كُتَّاب السيرة.

رسول الله ﷺ فنظر إليهما وَتبسم وَتلا عليهما هذه الآية[١].

وعلى كل حال، فهذه الآيات صريحة في مدح المهاجرين والأنصار وفي صدق إيمانهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «**ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[٢].

وللأسف فإن بعض الخطباء وقُرَّاء المَرَاثي (في مجالس العزاء) ممن جعلوا من أنفسهم آلةً بيد الاستعمار، يطعنون ليل نهار بالمهاجرين والأنصار، فإن نهاهم أحد عن فعل ذلك اتهموه بآلاف التهم. أما الله تعالى فيقول في آخر تلك الآيات:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ۞أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم

١- القصتان رواهما الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٦٠.

٢- رواه الترمذي في سننه، ح (٢٦٤١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٢١٨)، وأخرجه الطبراني في معجمه الأوسط (٨/ ٢٢)، وفي المعجم الصغير (٢/ ٢٩)، وأبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي في الأحاديث المختارة (٧/ ٢٧٧)، والآجري في "الشريعة" (٢٣، ٢٤)، وابن بطة في "الإبانة" (٢٦٥/ كتاب الإيمان)؛ واللالكائي في"اعتقاد أهل السنة"(١٤٦-١٤٧)؛ والأصبهاني في "الحجة في بيان المحجة" (١٧) وابن وضاح في "البدع" (٢٤٨)، ومحمد بن نصر المروزي في "السنة" (٥٩)، وغيرهم. لفظ الترمذي: «..... وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». ثم قال الترمذي: حديث حسن وحسنه الألباني أيضًا. وقال ابن تيمية في في مجموع الفتاوي (٣/ ٣٤٥): «الحديث صحيح مشهور في السنن والمساند». [المُصحح]

بَيْنَهُمْ شَدِيدٌۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر:١٠-١٤].

الفوائد: يجب على المؤمنين اللاحقين أن يستغفروا لمن سبقهم من أهل الإيمان لأنهم كانوا الرعيل الأول والرُّوَّاد السابقين في الدين ونصروا الإسلام وأوصلوه للاحقين. يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في الدعاء الرابع من الصحيفة السجادية الذي سلَّم فيه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اللَّهُمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ**». ثم دعا لأتباع الصحابة فقال: «**اللَّهُمَّ وَأَوْصِلْ إِلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، الَّذِينَ يَقُولُونَ**: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ **خَيْرَ جَزَائِكَ. الَّذِينَ قَصَدُوا سَمْتَهُمْ، وَتَحَرَّوْا وِجْهَتَهُمْ، وَمَضَوْا عَلَى شَاكِلَتِهِمْ**» إلى قوله: «**اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى التَّابِعِينَ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَعَلَى أَزْوَاجِهِمْ وَعَلَى ذُرِّيَّاتِهِمْ وَعَلَى مَنْ أَطَاعَكَ مِنْهُمْ**».

وَالْمَقْصُود مِنْ: ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ...﴾ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُوْلٍ الذي أرسل إلى يهود بني النضير رسالةً أن اثبتُوا وتمنَّعوا ولا تخرجوا من حصونكم وقاتلوا محمدًا، وإني ممدكم بألفي مقاتل، ولكنه لم يَفِ بوعده لهم، إذ كان قلبه مليئًا بالخوف من المؤمنين.

إن أمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن وهي تبين أن المنافقين غير المهاجرين والأنصار، فالمنافقون كانوا أولياء لليهود والنصارى ومحبين لهم ومشتركين معهم في المشرب والفكر، أما المهاجرون والأنصار فإن قلوب اليهود والنصارى والمنافقين كانت مليئة بالخوف منهم. فالذين جاؤوا بعد ألف وأربعمئة سنة وصاروا يلعنون جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي المهاجرين والأنصار بحجة أنهم كانوا من المنافقين، عليهم أن يفهموا كم هم بعيدون عن الدين والإنصاف.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر:١٥-١٧].

الفوائد: المقصود من جملة: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني المشركين الذين قُتِلوا ببدر

وذلك قبل غزاة بني النضير بستة أشهر. وعن ابن عباس أن المراد من جملة: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾ هم بنو قينُقاع الذين نقضوا العهد عندما رجع رسول الله ﷺ من بدر. وسبب تلك الواقعة أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْعَرَبِ كانَتْ تَحْتَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ جاءَتْ إِلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَجَلَسَتْ عِنْدَ صَائِغٍ فِي حُلِيٍّ لَهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ قَيْنُقَاعَ فَجَلَسَ مِنْ وَرَائِهَا وَلَا تَشْعُرُ، فَخَلَّ دِرْعَهَا إِلَى ظَهْرِهَا بِشَوْكَةٍ فَلَمَّا قَامَتِ الْمَرْأَةُ بَدَتْ عَوْرَتُهَا فَضَحِكُوا مِنْهَا. فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَاتَّبَعَهُ فَقَتَلَهُ، فَاجْتَمَعَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ، وَتَحَايَشُوا فَقَتَلُوا الرَّجُلَ، وَنَبَذُوا الْعَهْدَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَحَارَبُوا، وَتَحَصَّنُوا فِي حِصْنِهِمْ. فجاء جبريل ونزل على النبيِّ بآية: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ﴾ [الأنفال: ٥٨]، فاستخلف رسول الله ﷺ على المدينة أبا لُبَابَة وأعطى الراية حمزة بن عبد المطلب، ثم سار إليهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة، فكانوا أول من غدر من اليهود وحاربوا وتحصنوا في حصنهم، فحاصرهم أشد الحصار حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأمر بهم فكُتِّفوا، واستعمل رسولُ اللهِ ﷺ على كتافهم المنذر بن قُدامة السُّلَمِيَّ، وكان في نيَّة رسول الله ﷺ أن يقتلهم[1] وكانوا سبعمئة نفر، فجاء عبدُ اللهِ بنُ أُبَيّ بن سلول فكلَّم فيهم رسولَ الله ﷺ وقال: يَا مُحَمَّدُ! أَحْسِنْ فِي مَوَالِيَّ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ فَتَرَكَهُمْ مِنَ القَتْلِ وَأَمَرَ بهم أن يُجْلَوا مِنَ المدينة، فتركوا أموالهم وأثقالهم وبيوتهم، ولحقوا بأذرعات بالشام، وكان هذا في السنة الثانية [بعد الهجرة] من شهر شوال.

وأما قصة الشيطان: ﴿إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ فلعلها

---

١ – هذا الكلام بأن رسول الله ﷺ كان ينوي قتل أسرى بني قينقاع استنباط من كُتَّاب السِّيَر وليس فيه نصٌّ صريحٌ، والرواية فيه ضعيفة. والرواية الأصح أن رسول الله ﷺ أراد إجلاءهم من أول الأمر، فقد أخرج أبو داود بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ». فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَاهُمْ فَقَامَ رَسُولُ اللهِ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا!». فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فكرَّرها عليهم ثانية ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُجْلِيَكُمْ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ فَمَنْ وَجَدَ مِنْكُمْ بِمَالِهِ شَيْئًا فَلْيَبِعْهُ وَإِلاَّ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا الأَرْضُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ». انظر سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، حديث (٣٠٠٣).

إشارة إلى عابد بني إسرائيل برصيصا، فعن ابن عباس قال: إنه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصا، عَبَدَ اللهَ زمانًا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم وَيعوذهم فيبرؤون على يده، وَأنه أُتي بامرأة في شرف قد جُنَّت وَكان لها إخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها وَدفنها؛ فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقيَ أحدَ إخوتها فأخبَرَه بالذي فعل الراهب وَأنه دفنها في مكان كذا، ثم أتى بقيةَ إخوتها رجلاً رجلاً فذَكَرَ ذلك له؛ فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول: وَالله لقد أتاني آتٍ فذكر لي شيئًا يكبُرُ عليَّ ذكره، فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكَهم، فسار الملكُ وَالناسُ فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأُمِرَ به فصُلبَ، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم. قال اسجُدْ لي سجدةً واحدةً. فقال: كيف أسجد لك وَأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء فأومأ له بالسجود فكفر بالله وَقُتِلَ الرجُلُ! فهو قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرؤوا منهم عند الشدة[1].

ويمكن أن تكون هذه الآيةُ إشارةً إلى موقف الشيطان من الكفار يوم بدر إذ حرّض الناس على حرب رسول الله ﷺ ولكنه لما رأى الملائكة ولى هاربًا وقال للكفار: إني بريء منكم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ١٨-٢١].

الفوائد: أمر الحق تعالى بالتقوى مرتين في هذه الآية، وعبّر عن يوم القيامة بكلمة «**الغد**» لبيان قربه، حتى ينتبه الإنسان إلى عمله وإلى عمره ولا يذهب عمره سُدًى مجّانًا بلا فائدة.

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٦٥. وانظر البغوي، **معالم التنزيل**، ٨/ ٨٢ - ٨٣.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أن الله أوجد قاعدة كالعلاقة بين العلة والمعلول تقضي بأن كل من نسيَه نسي نفسه، ولما كان الله هو الذي وضع هذه العليّة فقد نسب ذلك إلى نفسه.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ أن قلوب الناس أقسى من صخور الجبال.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

الفوائد: ذكر الله تعالى الأسماء الحسنى في هذه الآيات، وهناك ثواب عظيم لمن يقرأ هذه الأسماء الحسنى، وللحق تعالى مئة اسم ذُكِرَت في القرآن، من جملتها ما ذُكِر في هذه الآيات وجاء في بعض الأحاديث فضل كبير لقراءتها. ففي حديثٍ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلاَثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ، وَكَّلَ الله بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ في ذلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيداً، وَمَنْ قالَهَا حِينَ يُمْسِي كانَ بِتِلْكَ الـمَنْزِلَةِ**»[1]. وفي رواية أخرى أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن اسم الله الأعظم فقال: «**عليك بِآخِرِ سُورَةِ الحَشْرِ**»[2].

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٦٦. والحديث أخرجه الترمذي في السنن (٢٩٢٢)، عن معقل بن يسار رفعه. وَقَالَ الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». وضعَّفه الألباني. وأخرجه أحمد في الـمسند، ٥/ ٢٦، وحكم شعيب الأرنؤوط (محقق مسند أحمد) على الحديث بالضعف.

٢- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/٢٦٦. وأخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عباس رفعه، وأخرجه أيضًا: الواحدي في التفسير الوسيط (٤/ ٢٨٠). انظر السيوطي، **الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**، ١٨٢٥).

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ التي تضمّنت ألف ولام العهد على أنّ للحق تعالى أسماء معيّنة نزلت في الوحي، وعلى العباد أن يعلموا هذه الأسماء بالذات ويقرؤوها ولا يبتدعوا غيرها. وقال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَقُولُوا السَّلاَمُ عَلَى الله؛ فَإِنَّ الله هُوَ السَّلاَمُ...**»[1].

١- متفق عليه، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما وأبو داود والنسائي وابن ماجه في **السنن**، وأحمد في مسنده، عن ابن مسعود. انظر السيوطي، **الفتح الكبير**، (١٣٥٨٢). وانظر الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، (٧٤٠٣).

سورة الـممتحنة

مدنية وهي ثلاث عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣﴾ [الحشر: ١-٣].

الفوائد: سُمِّيَت هذه السورة أيضًا بسورة **الامتحان** وسورة **الـمودّة**.

من الـممكن أن تكون كلمة ﴿أَعۡلَمُ﴾ في جملة: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ﴾ اسم تفضيل (أي أنا أكثر علمًا)، ومن الـممكن أيضًا أن تكون ﴿أَعۡلَمُ﴾ فعل مضارع بصيغة الـمتكلِّم (أي أنا أَعرِفُ) وقد ترجمناها على هذا الـمعنى الثاني.

ونزلت هذه الآية في **حَاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَةَ**، وَذلك أن سارة مولاة أبي عمرو بن صيفي بن هشام أتت رسولَ الله ﷺ من مكة إلى الـمدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمةً جئتِ؟ قالت: لا. قال: أمهاجرةً جئتِ؟ قالت: لا. قال: فما جاء بكِ؟ قالت: كنتم الأصلَ وَالعشيرةَ وَالـمواليَ وَقد ذهبَ مواليّ وَاحتجتُ حاجةً شديدةً فقدمت عليكم لتعطوني

وَتكسوني وَتحملوني. قال ﷺ: فأين أنت من شبان مكة؟ وَكانت مغنيةً نائحةً. قالت: ما طلب مني بعد وقعة بدر، فحثَّ رسول الله ﷺ عليها بني عبد الـمطلب فكسوها وَحملوها وَأعطوها نفقةً. وَكان رسولُ الله ﷺ يتجهَّزُ لفتح مكَّةَ، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وَكتب معها كتابًا إلى أهل مكة وَأعطاها عشرة دنانير وَكساها بُرْدًا على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة وَكَتَبَ في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم. فخرجت سارةُ وَنزل جبرائيل فأخبر النبيَّ ﷺ بما فعل؛ فبعث رسولُ اللهِ ﷺ عليًّا وَعمارًا وَعُمَرَ وَالزُّبَيْرَ وَطَلْحَةَ وَالـمقدادَ بن الأسود وَأبا مرثد، وَكانوا كلهم فرسانًا، وَقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى الـمشركين فخذوه منها. فخرجوا حتى أدركوها في ذلك الـمكان الذي ذكره رسول الله ﷺ فقالوا لها: أين الكتاب؟ فحلفت بالله ما معها من كتاب. فَنَحَّوْها وَفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابًا فهموا بالرجوع. فقال عليٌّ عليه السلام: وَالله ما كُذِبنا وَلا كَذَبنا وَسلَّ سيفه وَقال لها: أخرجي الكتاب وَإلا وَالله لأضربنَّ عنقكِ. فلما رأت الجدَّ أخرجته من ذؤابتها قد أخبأته في شعرها. فرجعوا بالكتاب إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأرسلَ إلى حاطبٍ فأتاه فقال له: هل تعرف الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما حملك على ما صنعتَ؟ قال: يا رسول الله! وَالله ما كفرتُ منذُ أسلمتُ وَلا غششتُكَ منذ نصحتُكَ وَلا أحببتُهم منذ فارقتُهم وَلكن لم يكن أحدٌ من الـمهاجرين إلا وَله بمكةَ من يمنع عشيرته وَكنت عريرًا فيهم أي غريبًا وَكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدًا، وَقد علمتُ أن الله يُنزل بهم بأسَه وَأن كتابي لا يغني عنهم شيئًا، فصدّقه رسول الله ﷺ وَعَذَرَهُ. فقام عمرُ بن الخطاب وَقال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا الـمنافق. فقال رسولالله ﷺ: وَما يدريك يا عُمَر لعلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أهل بدر فغفر لهم، فقال لهم: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1]. (وكان حاطب من الـمجاهدين الذين شهدوا معركة بَدْر).

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٦٩-٢٧٠. والقصة مشهورة ذكرها بصور متقاربة الـمحدِّثون والـمؤرِّخون جميعًا.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝٦﴾ [الحشر: ٤-٦].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ أن الأنبياء لاسيما حضرة إبراهيم ﷺ يجب أن يكونوا أسوةَ كلِّ مؤمن وقدوته، إذ تبرّأ إبراهيمُ ﷺ من أهله وأقربائه وعشيرته وقطع صلته بهم ولم يجعل قرابتهم له حجَّةً لموالاتهم ومحبتهم، بل عادَى في سبيل الله كلَّ كافر حُبًّا في اللهِ وموالاةً له. بل لا ينبغي الاستغفار للكفار حتى ولو كانوا أبوي الإنسان وحتى لو وعدهم بذلك، فقد وعد إبراهيم أباه بأنه سيدعو له ويستغفر له إن آمن، فلما وجده لم يؤمن تخلى عنه.

وكلمة ﴿فِتْنَةً﴾ في هذه الآيات معناها: «العذاب»، أي لا تعذِّبنا على أيديهم ولا تسلطهم علينا واحفظنا من محبتهم وموالاتهم ولا تجعلنا سخرية لهم. وقال بعضهم: إن كلمة ﴿فِتْنَةً﴾ في هذه الآية بمعنى الإضلال، أي لا تجعل أعمالنا سببًا لضلالهم، أي لا تجعلنا أصحاب سلوك سيئ يؤدي إلى إعراضهم عن الحق، واحفظنا من أن نشوِّه صورة الحق الناصعة.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٧-٩].

الفوائد: الْمَقْصُودُ مِنْ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً...﴾ أن يميل الكفار إلى دين الإسلام وتزول أسباب العداوة وتتيسَّر أسباب محبتكم لهم.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ...﴾ أن العدل والعون والإنصاف مطلوبةٌ تجاه كل إنسان حتى الكفار. ففي هذه الآية الكريمة بيّن الحق تعالى أنه لا مانع من معاملة الكفار الذين لا يحاربون الـمسلمين ولا يؤذونهم بالبرّ والقسط، أما الـمحبة القلبية فهي غير البر والإحسان، فلا يجوز أن يجعل الإنسان الكفار موضع أسراره. أما الكفار الذين يحاربون الـمسلمين ويؤذونهم فلا يجوز موالاتهم والإحسان إليهم خاصة عندما يكونون في حالة حرب مع الـمسلمين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحشر: ١٠-١١].

الفوائد: تُسْتَفادُ عِدَّةُ فوائد وأحكام من هذه الآيات:

١- إن أسلَمَتْ امرأةٌ وهربت من بلاد الكُفْر نحو الـمسلمين حفاظًا على دينها، وَجَبَ على الـمسلمين أن يقبلوها ويؤووها ولا يعيدوها إلى الكفّار.

٢- الـمرأة الـمهاجرة تَبِيْنُ من زوجها ولا يحِقّ للكافر أن يتزوجها، لأن في مثل هذا الزواج خطرًا على دينها، لأن الـمرأة تأخذُ منِ دِينِ زوجها.

٣- تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ...﴾ على إطلاق لفظ الـمؤمنة على الـمرأة بحكم الظاهر بمجرد هجرتها وادِّعائها الإيمان، وأنه يجب الاكتفاء من الإنسان بالنطق

بالشهادتين، وليس لأحدٍ اطلاعٌ على ما في باطن أحدٍ إلا الله وحده.

٤- وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ...﴾ أنه بعد أن تحلف المرأةُ المهاجرةُ أنها ما هاجرت إلا حفظًا لدينها، لابُدَّ من ترتيب الأثر العملي على ذلك رغم أنه ليس هناك علمٌ قطعيٌّ بصدقها، لأنَّ العلم العرفي والظن القريب من العلم كافيان في هذا المقام.

٥- نزلت الآية في صلح الحديبية، وهذا يدلُّ على أنه لو هاجَرَت امرأةٌ من ديار الكفر إلى المسلمين في أيام الصلح والسِّلْم، فعليها أن تعيد المهر الذي أخذته من زوجها الكافر، أما لو هاجرت في غير وقت الصلح، فلا يجب إعطاء زوجها الكافر شيئًا لأنَّ الكافرَ الحربيَّ يَبِيْنُ من المرأة المسلمة دون أي شرط.

٦- وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ على تحريم الزواج من المرأة الكافرة.

٧- وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ....﴾ أنه لو لم يُعطِكم الكفار المَهْرَ الذي كنتم قد دفعتموه إلى الزوجة الكافرة التي تركتموها، فلكم أن تقتصوا منهم فلا تعيدوا مهر المرأة المؤمنة إلى زوجها الكافر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحشر: ١٢].

الفوائد: المُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾أن لا يُلْحِقْنَ بأزواجِهنَّ المولود الذي التقطنه من الطريق ولا يتَّهِمْنَ النساء العفيفات ولا يكذِبْنَ. والمُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾: أي يُطِعنك في الامتناع عن النَّوْح، وتمزيق الثياب، وجزّ الشعر، وشقِّ الجيب على الأموات أي الأفعال التي نهاهُنَّ الإسلام عن فعلها، فلا يَقُمْنَ بمثل هذه الأفعال، وكذلك لا يعصين كلَّ ما أوصى به الشرعُ والعقل أو أمرا به من أعمال البر والتقوى.

ونزلت هذه الآية يوم فتح مكة لما فرغ النبيُّ ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا فجاءته النساء الكافرات يؤمِنَّ به ويُبَايِعْنَهُ، فكان ﷺ على الصفا وكان عمر أسفل منه، وهند بنت عتبة

مُتَنَقِّبَةً مُتَنَكِّرَةً مع النساء خوفًا أن يعرفها رسولُ الله ﷺ. فقال: «**أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً**». فقالت هند: إنك لتأخذ علينا أمرًا ما رأيناك أخذته على الرجال؟! وذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط. فقال ﷺ: «**ولا تسرقن**». فقالت هندٌ: إن أبا سفيان رجل ممسك وإني إنْ أصبت من ماله هنأتُ، فلا أدري أيحل لي أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لكِ حلالٌ، فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها: «**وإنك لهند بنت عتبة؟**» قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبيَّ الله عفا الله عنك. فقال ﷺ: «**ولا تزنين**». فقالت هندٌ: أو تزني الحرة؟! فتبسم عمر بن الخطاب لوقاحتها. فقال ﷺ: «ولا تقتلن أولادكن». فقالت هندٌ: ربيناهم صغارًا وقتلتموهم كبارًا وأنتم وهم أعلم! وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتله عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام يوم بدر[١].

وكانت طريقة مبايعة رسول الله ﷺ للنساء في ذلك اليوم أنه دعا بقدحِ ماءٍ فَغَمَسَ فيه يَدَهُ ثم غَمَسْن أيديَهُنَّ فيه علامةً على مبايعتهنَّ له[٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾ [الحشر: ١٣].

الفوائد: الْمَقْصُود مِنْ جُمْلَةِ: ﴿لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ....﴾ نهي فقراء الـمسلمين عن موالاة الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، بهدف الاستفادة منهم.

ومن الـممكن أن تكون ﴿مِنۡ﴾ في جُمْلَةِ: ﴿مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ بيانيَّةً للكُفَّار، أي أن الكفار الذين هم في القبور وأصبحوا تحت الثرى، يائسون من رحمة الله. ومن الـممكن أن لا

١- الطَّبْرَسِيّ، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٧٦. وقصة البيعة هذه مشهورة أيضًا ذكرها الـمحدِّثون والـمؤرِّخون جميعًا بألفاظ متقاربة.

٢- أورد هذا الخبر الحر العاملي في وسائل الشيعة، (١٤/ ١٥٤). وقال عنه أبوالقاسم السهيلي في كتاب «الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»: «وليس هذا بالمشهور، ولا هو عند أهل الحديث بالثبت، غير أن ابن إسحاق أيضًا قد ذكره في رواية عن يونس عن أبان ابن أبي صالح...». [الـمصحح]

تكون ﴿مِنۡ﴾ بيانية وعندئذٍ يصبح الـمعنى: إن الكفَّار يائسون من أن يعود أهل قبورهم إلى الحياة من جديد.

سورة الصف

مدنية وهي أربع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾ [الصف: ١-٤].

الفوائد: وتُسَمَّى هذه السورة بسورة **الحوارِيِّين** وسورة **عيسى** أيضًا. وسُمِّيت هذه السورة بسورة الصف لأن اللهَ تعالى رغَّب المؤمنين فيها بأن يصطفوا صفًّا واحدًا مُتراصًّا في قتال العدو ويكونوا كالجدار المتين المصنوع من النحاس.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ أن الذين يقولون ما لا يفعلون سيحل بهم غضب الله الشديد وسخطه.

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡۖ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٦﴾ [الصف: ٥-٦].

الفوائد: لما كان الـمُشْرِكون من قومِ محمَّدٍ ﷺ يؤذونه، أراد اللهُ تعالى أن يُخفف عن نبيِّه الحزن ويُبيِّن له تكذيب قوم موسى لنبيِّهم وإيذاءهم له، وتكذيب قوم عيسى لنبيِّهم أيضًا، فبيَّن

أن قوم موسى اتهموه مرَّةً بالسحر ومرَّةً بالجنون ومرَّةً بالبرص، واتهموه أحيانًا بالزنا وأحيانًا بأنه قتل أخاه هارون، وأنهم قالوا أحيانًا لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقالوا له حينًا آخر: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وعبدوا مرَّةً العجل. أما قصة إيذاء قوم عيسى عليه السلام له [ومحاولتهم قتله] فلا تحتاج إلى بيان.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ تلك البشارات التي أخبر الـمسيح بها حوارييه مرارًا، كالبشارة التي جاءت في إنجيل يوحنا، الإصحاح ١٥/ الفقرة ٢٦: «وَمَتَى جَاءَ الْـمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْـحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي». وكالبشارة الـمُفصَّلة التي ذُكرت في الإصحاح ١٦/ الفقرة من ٧ إلى ١٤ من إنجيل يوحنا[1].

وقد ذكر أحد تلاميذ الـمسيح ويُدعى برنابا، في الإنجيل الذي كتبه، في الإصحاح ١١٢/ الآيات ١٣ إلى ١٨ مجيء محمد بشكل صريح وذكره باسمه الـمعروف، أي «محمَّد». فإن قيل: لماذا لم يُبشِّر عيسى باسم محمد الذي هو أكثر شهرةً من أحمد؟ فالجواب: أنه قد يكون بشَّر بقدومه بذكر كلٍّ من الاسمين. هذا وقد كان لخاتم الأنبياء اسمان، مثلما كان ليعقوب اسمان: يعقوب وإسرائيل، وللمسيح أيضًا اسمان: عيسى والـمسيح. إضافةً إلى ذلك فقد ذُكر اسما محمد كلاهما في القرآن وبُشِّر بالاسمين سابقًا كي لا تبقى حُجَّةٌ لأحد.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ

١- ونص البشارة هو: «لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْـمُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. ٩أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلأَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بِي. ١٠وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلاَ تَرَوْنَنِي أَيْضًا. ١١وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلأَنَّ رَئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ. ١٢ «إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ وَلَكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. ١٣وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْـحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ».

ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ
۝٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ
ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف: ٧-٩].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ الخطباء والـمجتهدون الذين يُفتون الناس، باسم الدين وباسم الله، بفتاوى «**غير ما أنزل الله**»، أو ينسجون في خطبهم كل ما عنَّ لهم من أفكار مضادة للقرآن ومخالفة له، ويفتحون باب الشفاعة للناس على مصراعيه، ويجعلونهم يغترون في دينهم ويُخدعون.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أولئك الذين يُوجِّهون التهم للإسلام بألسنتهم وأقاويلهم ويقولون أمورًا منحرفة ومُضلَّة باسم الإسلام كي يُطفئوا نور الإسلام، ولكن اللهَ لا يُوفِّقهم في مسعاهم، وإذا أراد أحدٌ أن يجد مثالاً حيًّا على هذه الآية فليذهب ولينظر إلى التهم التي يُوجِّهها القساوسة إلى الإسلام، وأيضًا إلى التهم والخرافات التي ينشرها الـمُدَّعون للعلم من الـمسلمين كالذين ابتدعوا الخُمس وسهم الإمام باسم الدين، أو حصروا الزكاة في الأشياء التسعة فقط، وآخرون يدعون غير الله باسم التوسل و....... .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ
بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن
كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ
وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ
وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣].

الفوائد: ذَكَرَ اللهُ لأهل الإيمان الذين يُجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله نوعين من الثواب: الأول عاجلٌ والآخر آجلٌ. أما الثواب العاجل فهو النصر على الكفار وتأييد الحق تعالى لهم، كما تحقق وعد الله هذا لمسلمي صدر الإسلام بفتح مكة. وأما الثواب الآجل فهو الجنات

التي تجري من تحتها الأنهار ورضوان الله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف: ١٤].

الفوائد: المَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أنه لما افترق قوم عيسى عليه السلام بعده فرقتين قالوا: إنه الله أو ابن الله! وقال آخرون: إنه ليس ابن الله بل هو عبد الله ورسوله، وقد أيَّد اللهُ تعالى بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم القائلين برسالة عيسى وأنه عبد الله ورسوله.

سورة الجمعة

مدنيَّة وهي إحدى عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٤﴾ [الجمعة: ١-٤].

الفوائد: في هذه السورة التي بيَّنت وجوب صلاة الجمعة، ذكر اللهُ أربعين تأكيدًا على وجوب هذه الصلاة، من جملة ذلك: أنه بيَّن تسبيح جميع الموجودات لِلَّهِ، مع أن الموجودات جميعها خُلقت لمنفعة الإنسان وهي مقدمة لوجوده فعلى الإنسان أن يُسبِّح الله حتمًا وأن يذكره بالعظمة في اجتماعه [الاجتماع يوم الجمعة]. الأمر الثاني من التأكيدات: أن اللهَ اعتبر في الآية الثانية من هذه السورة أن العلم والحكمة إنما يتمّ اكتسابهما بواسطة تعلم القرآن وتعليمه، وأن الضلال السابق كان سببه عدم وجود القرآن وعدم العمل به، وهذا تأكيدٌ من الله وإشارةٌ منه إلى أنه لا يجوز للمسلمين أن يغفلوا عن العمل بالقرآن ولا يجوز لهم أن يتركوا الجمعة بل عليهم أن يُواظبوا عليها كي يستفيدوا منها ولا يضلوا كما ضلّ من قبلهم. ومن جملة التأكيدات أنه قال في الآية السادسة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ﴾ إشارةً إلى أنه من الواجب على الآتين في المستقبل من المسلمين أن يعملوا بالقرآن ويُصلُّوا الجمعة كي يستفيدوا منها كما يستفيد المسلمون الحاليون

وينجوا من الضلال والذل.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ﴾ وجملة: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ على أن هدف الرسالة هو تعليم العلم وتعلمه وليس التقليد الأعمى واتِّباع العوام. وللأسف، إن أراد أحدٌ في زمننا أن يعود بالناس إلى الإسلام الأول ويُعرِّفهم على كتاب الله ويردّ ويدحض الخرافات الـمذهبيَّة التي استرزق منها بعض الـمُتكسِّبين للدنيا بالدين؛ اتهموه بآلاف التهم وحفظوا الناس في الجهل والخرافة. وكلمة «ءَاخَرِينَ» مجرورة وهي صفة للقوم ومعطوفة على ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٧ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [الجمعة: ٥-٨].

<u>**الفوائد**</u>: شبَّه اللهُ تعالى حال اليهود الذين لا يعملون بالتوراة بالحمار الذي يحمل فوق ظهره كتبًا ولا يدري عنها شيئًا ولا يستفيد منها أي فائدة، وَمِنْ ثَمَّ يجب أن نفهم حال الـمسلمين الذين يدَّعون حمل القرآن وهم لا يعلمون منه شيئًا ولا يعملون بآياته وأنهم أسوأ من الحمار وأكثر ضلالاً. وفي هذه الآيات تأكيدٌ آخر أيضًا على وجوب صلاة الجمعة والعمل بها حتى لا يكون الـمسلمون كاليهود تاركين للعمل بكتابهم السماويّ.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ﴾ أن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم من أهل النجاة ومن محبوبي الله وكانوا مُغترِّين بهذا الظنّ، كحال الكثير من أفراد شعبنا الذين يغترُّون بمُجرَّد ادِّعائهم بالتشيع أو الإسلام ويعتبرون أنفسهم من أهل النجاة ويعتبرون الآخرين من أهل العذاب، في حين أنهم هم أسوأ من الآخرين، وقد قال اللهُ: إن من يعتبر نفسه من أهل السعادة والجنَّة فإنه لا يخاف من الـموت بل إنه يتمنى الـموت دائمًا ليصل إلى

الجنَّة ويزداد قربًا من الله، فهو يُرحِّب بالـموت، وهذا من علامات أهل الإيمان.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝١١﴾ [الجمعة: ٩-١١].

الفوائد: إحدى التأكيدات على صلاة الجمعة حرف النداء، لأن العرب عندما تريد بيان أمرٍ مُهمٍّ فإنها تأتي بأداة النداء في بدايته. والتأكيد الآخر أمر: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الذي يقول تعالى فيه: إنكم عندما تسمعون أذان الظهر يوم الجمعة فعليكم الإسراع إلى صلاة الجمعة بِجِدٍّ ونشاط، وهذه الآية تدل على أن خطبة صلاة الجمعة يجب أن تُقرأ بعد أذان الظهر، وَمِنْ ثَمَّ فإن كانت هناك أحاديث تخالف هذا الـمعنى، وجب طرحها جانبًا لمخالفتها للقرآن.

ومن التأكيدات الأخرى على صلاة الجمعة جملة: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ التي تدل على جهل الذين لا يحضرون صلاة الجمعة. وقد استخرجنا في كتابنا «**أحكام القرآن**» من هذه السورة الـمباركة أربعين تأكيدًا على صلاة الجمعة. فلتُراجَعْ ثَمَّةَ.

وجملة: ﴿وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ نهيٌ عن البيع، وتدلُّ على حرمة البيع وقت صلاة الجمعة، والحقيقة أن لدينا هنا أمرًا مُركبًا من أمرين واجبين: أحدهما الأمر بالصلاة والثاني: الأمر بترك ضدها، ولم يُوصَ بأي فريضةٍ في القرآن بشدّة الوصية بفريضة صلاة الجمعة هنا، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ الْجُمُعَةَ ثَلَاثاً مُتَوَالِيَاتٍ بِغَيْرِ عِلَّةٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ**»[1]، وقال ﷺ

١- ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت ٣٨١هـ)، **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، باب عقاب من ترك الجماعة والجمعة، ص ٢٣٢، وعنه: الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، ٧/ ٢٩٨، ح (٩٣٩٢). وفي مصادر أهل السنة أخرجه: النسائي وابن ماجه في السنن وأحمد في الـمسند والحاكم في الـمستدرك.

أيضًا في إحدى خطبه: «**وَالْجُمُعَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ**»[١]. وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الجمعة واجبة على كل مسلم إلى يوم القيامة...»[٢]. وإنما سُمِّي هذا اليوم بالجمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة. وللأسف فإننا نتعرَّض نحن وأصدقاؤنا الذين نُقيم صلاة الجمعة كل أسبوع إلى الاتهام. ومعنى ﴿خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ تمّ بيانه في الآية ٥٨ من سورة الحج.

١- ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، **من لا يحضره الفقيه**، باب وجوب الجمعة وفضلها، ١/ ٤٢٧.

٢- انظر الشيخ الطوسي، **تهذيب الأحكام**، ٢/ ٢٣٨. مختصرًا.

سورة الـمنافقون

مدنية وهي إحدى عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣﴾ [الـمنافقون: ١-٣].

الفوائد: لما أوجب اللهُ صلاة الجمعة، وجعل تركها إحدى العلامات على الجهل وعلى الغفلة عن ذكر الله، بيّن في هذه السورة جهل الـمنافقين وانعدام فهمهم، أي أن ترك صلاة الجمعة هو شأن الـمنافقين ومن صفاتهم.

وينبغي أن نعلم أن الـمُهاجرين والأنصار كانوا بعيدين عن النفاق وأن هذه السورة نزلت في رأسِ النفاق «**عبد الله بن أُبَيّ بن سَلُول**» وأصحابه.

وكانت قصتهم أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني الـمصطلق يجتمعون لحربه وَقائدهم الحارث بن أبي ضرار أبو جويرية زوج النبيِّ ﷺ، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له الـمريسيع من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس وَاقتتلوا فهزم الله بني الـمصطلق وَقُتل منهم من قُتل، وَنفل رسول الله ﷺ أبناءهم وَنساءهم وَأموالهم، فبينا الناس على ذلك الـماء إذ وردت واردة الناس وَمع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وَسنان الجهني من بني عوف بن خزرج

على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الأنصار وَصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين؛ فأعان الغفاريَّ رجلٌ من المهاجرين يقال له جعال وَكان فقيرًا فقال عبد الله بن أُبَيّ لجعال: إنك لهتاك. فقال: وَما يمنعني أن أفعل ذلك؟ وَاشتد لسان جعال على عبد الله، فقال عبد الله: وَالذي يحلف به لآزرنك وَيهمك غير هذا، وَغضب ابن أُبَيّ وَعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم حديث السن، فقال ابن أُبَيّ: قد نافرونا وَكاثرونا في بلادنا، وَاللهِ ما مَثَلُنا وَمثلهم إلا كما قال القائل: «سمِّن كلبَكَ يأكُلْكَ» أما وَالله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، يعني بالأعز نفسَه وَبالأذل رسولَ الله ﷺ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وَقاسمتموهم أموالكم! أما وَالله لو أمسكتم عن جعال وَذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم وَلأوشكوا أن يتحولوا من بلادكم وَيلحقوا بعشائرهم وَمواليهم. فقال زيد بن أرقم: أنت وَالله الذليل القليل المبغَض في قومك وَمحمَّدٌ ﷺ في عزٍّ من الرحمن وَمودَّةٍ من المسلمين، وَالله لا أحبك بعد كلامك هذا. فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب. فمشى زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ وَذلك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر، فأمر رسول الله ﷺ بالرحيل، وَأرسل إلى عبد الله فأتاه فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ فقال عبد الله: وَالذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئًا من ذلك قط! وَإن زيدًا لكاذبٌ. وَقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله! شيخنا وَكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام من غلمان الأنصار، عسى أن يكون هذا الغلام وَهَمَ في حديثه؛ فعذره رسول الله ﷺ، وَفشت الملامة من الأنصار لزيد، وَلما استقلَّ رسول الله ﷺ فسار لَقِيَهُ أُسَيْدُ بنُ الحُضَيْرِ فحيَّاه بتحية النبوة ثم قال: يا رسول الله! لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها، فقال له رسول الله ﷺ: أوَما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذَلَّ. فقال أُسَيْدُ: فأنت وَالله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو وَالله الذليل وَأنت العزيز. ثم قال: يا رسول الله! ارفق به فوالله لقد جاء اللهُ بك وَإن قومه لينظمون له الخرز لِيُتَوِّجُوه وَإنه ليرى أنك قد استلبته ملكًا. وَبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبَيّ ما كان من أمر أبيه فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله! إنه قد بلغني أنك تريد قتل أبي فإن كنت لا بُدَّ فاعلاً فَمُرْني به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر

بوالديه مني وَإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبَيّ يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار. فقال ﷺ: بل نرفُق به وَنُـحْسِنُ صحبته ما بقي معنا. قالوا وَسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى وَليلتهم حتى أصبح وَصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن إلا أن وجدوا مس الأرض وقعوا نيامًا، إنما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن أُبَيّ. ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يُقال له بقعاء، فهاجت ريح شديدة آذتهم وَتخوفوها وَضلت ناقةُ رسول الله ﷺ وَذلك ليلاً؛ فقال: مات اليوم منافق عظيم النفاق بالـمدينة. قيل: من هو؟ قال: رفاعة. فقال رجل من الـمنافقين: كيف يزعم أنه يعلم الغيب وَلا يعلم مكان ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي؟ فأتاه جبريل فأخبره بقول الـمنافق وَبمكان الناقة وَأخبر رسول الله ﷺ بذلك أصحابه وَقال: ما أزعم أني أعلم الغيب وَما أعلمه وَلكن الله تعالى أخبرني بقول الـمنافق وَبمكان ناقتي، هي في الشعب. فإذا هي كما قال، فجاؤوا بها وَآمن ذلك الـمنافق. فلما قدموا الـمدينة وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت أحد بني قينقاع وَكان من عظماء اليهود، وَقد مات ذلك اليوم.

قال زيد بن أرقم: فلما وافى رسول الله ﷺ الـمدينة جلستُ في البيت لِمَا بي من الهمّ وَالحياء فنزلت سورة الـمنافقين في تصديق زيد وَتكذيب عبد الله بن أُبَيّ، ثم أخذ رسول الله ﷺ بإذن زيد فرفعه عن الرحل ثم قال يا غلام صدق فوك وَوعت أذناك وَوعى قلبك، وَقد أنزل الله فيما قلت قرآنًا، وَكان عبد الله بن أُبَيّ بقرب الـمدينة فلما أراد أن يدخلها جاءه ابنه عبدُ الله بن عبدِ الله بن أُبَيّ حتى أناخ على مجامع طرق الـمدينة فقال: ما لك ويلك؟ قال: وَالله لا تدخلها إلا بإذن رسول اللهِ وَلتعلمنّ اليوم من الأعزّ من الأذلّ، فشكا عبدُ الله ابنَه إلى رسول الله ﷺ، فأرسل إليه أن خلِّ عنه يدخل، فقال: أما إذا جاء أمر رسول الله ﷺ فنعم[1]، ولكن يجب أن تقول:

١- الرواية من البداية إلى هنا استقاها الـمؤلف حرفيًّا من: الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٩٣- ٢٩٤. والبقية ملخَّصة من **السيرة النبوية** لأحمد بن زيني دحلان، ٢/ ١١٢.

الْعِزَّةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، فقال: وإن لَمْ أَقُلْ؟ قال: لا أدعك. فقال عبدُ الله بن أُبَيّ: أشهد أنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ. فدخل فلم يلبث إلا أيامًا قلائل حتى اشتكى وَمات.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [المنافقون: ٤-٦].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ أن المنافقين أشخاصٌ ذوو مظهرٍ جميلٍ وكلامٍ حسنٍ ومعاملةٍ حسنة ولكن لا ينبغي أن يغترَّ أحدٌ بظاهرهم أو بلباسهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿أَسْتَغْفَرْتَ....﴾ على أن دعاء رسول الله ﷺ ليس بالضرورة مستجابًا دائمًا.

وتشبيه المنافقين بـ ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ لأن الخُشُبَ إن استُخدمت لسقف الغرفة أو لقوائم الأثاث فإنها تكون نافعةً أما لو أُسندت الخُشُبُ إلى الجدار فلا يكون فيها أي نفع؛ وهذا هو حال المنافقين.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٧-٩].

الفوائد: لما كان المنافقون غير موقنين بوجود الله ولا بأنه هو الرازق، كانوا يتخيَّلون أنهم هم الذين يرزقون الناسَ.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أن العِزَّة خاصةٌ بالله لأنه غنيٌّ ذاتًا وقادرٌ بالذات والآخرون كلهم ممكنو الوجود ومحتاجون إليه.

وتشير جملة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ إلى أنه لا ينبغي أن تشغلكم أموالكم وأولادكم عن ذكر الحقّ أي صلاة الجمعة، بدليل أنه قال هنا ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ وقال هناك في سورة الجمعة: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠-١١].

الفوائد: قال ابن عبَّاس: «ما من أحدٍ يموت وكان له مالٌ فلم يؤدِّ زكاته، وأطاق الحج فلم يحُجَّ إلا سأل الرجعة عند الموت»[١].

والأمر في جملة: ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ للوجوب، وفي هذه السورة ينبغي أن نقول: إن هذا الأمر يتعلَّق بأداء الزكاة. وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾ على وجوب أداء الزكاة من كل شيء وأنها ليست مُنحصرة في الأشياء التسعة.

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٢٩٦.

سورة التغابن

مدنية وهي ثماني عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [التغابن: ١-٣].

الفوائد: قُدِّم الجار والمجرور على كلمتي الملك والحمد في جملة: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ﴾ ليدل على الحصر، لأن الأشياء جميعها مُلكٌ لِلَّهِ وحده، ولا يملكها أحدٌ سواه إلا على سبيل المجاز والعارية، كما أنه لا يستحق أحدٌ الحمد إلا على سبيل القهر أو عرضًا، أما الله فهو المحمود بالذات. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ﴾ أن صورة الناس جميعهم جميلةٌ، وإن كان بعض الناس بشعي الصورة فإنهم بالنسبة إلى من هو أبشع منهم جميلون. ولذلك لا يُريد أي إنسان أن يكون على شكل حيوان.

﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦﴾ [التغابن: ٤-٦].

الفوائد: كيف جاء فعل ﴿يَهۡدُونَنَا﴾ بصيغة الجمع مع أنه يعود على كلمة «بَشَر» المُفردة؟

الجواب: إن البشر اسم جنس يُطلق على الـمفرد وعلى الجمع. والعجيب أن الكفار الذين يقبلون أن يكون الحجر معبودًا لهم يرفضون أن يكون البشر رسولاً إليهم. ومعنى ﴿وَٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ﴾. أن اللهَ لم يُجْبرهم على الإيمان رغم قدرته على ذلك لأنه مستغنٍ عن عبادة الناس وإيمانهم.

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ [التغابن: ٧-٩].

الفوائد: بما أن الكُفَّار لم يكونوا يتوقَّعون أيَّ حسابٍ أو كتابٍ أو حشرٍ أو نشر وكانوا يظنون أنه ليس في هذا العالَم حسابٌ ولا جزاءٌ ولا كتاب أعمال لذا ظلوا على كفرهم، ولكنهم لو احتملوا الخطر لسارعوا إلى الإيمان. وقد سُمِّيت هذه السورة بسورة ﴿ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ لمجيء كلمة ﴿ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ فيها. و﴿ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ يوم القيامة هو أن كل من نظر إلى من هو أعلى منه رتبةً أو أفضل منه حالاً شعر بأنه قصَّر في حياته وأنه كان مغبونًا في عمره. وقال بعضهم: إن أهل النار مغبونون لأنه كانت لهم مقاماتٌ في الجنَّة كانوا سينالونها لو آمنوا، لكن تلك الـمقامات والـمنازل حُجبت عنهم لكفرهم وأُعطيت للمؤمنين. وَالـمَقْصود مِن: ﴿ٱلنُّورِ﴾ القرآن الذي هو مُضيءٌ في نفسه ومُرشدٌ للغير.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: ١٠-١٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أن جميع الـمصائب والبلايا إنما تقع بأمر الله وتقديره ولو لم يشأ الله وقوعها لما نزلت بأحد، ولكن اللهَ لا يمنع وقوعها

لأن في وقوعها مصلحةً للعباد وهي لامتحانهم واختبارهم.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ على انحصار عمل رسول الله ﷺ بإبلاغ أمر الدين، وليس من مهماته الأعمال الأخرى الكونية التي يتخيَّلها أهل الغُلوّ.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٣-١٤].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ أن بعض زوجات الإنسان وأبنائه يكونون أعداءً له، وهم الذين يرغبون بموته ليرثوه، أو النساء اللواتي يرغبن أن يرتكب أزواجهن الإثم ويتحمّل الأوزار والوبال [في جمع المال الحرام] كي يُسْرَرْنَ في عيشهنَّ ويتمتعنَ في حياتهنَّ، وهنَّ أيضًا اللواتي كُنَّ يمنعن أزواجهن من الذهاب إلى الجهاد وَيَقُلْنَ: إلى من تتركنا؟ وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ﴾ أولئك الذين رأوا، بعد أن هاجروا، أن سائر المؤمنين سبقوهم في الهجرة وفي التفقُّه في الدين، أما هم فقد منعهم نساؤهم وأولادهم من الهجرة فظلوا جَهَلَةً أسرى للكفار، فلما رأوا ذلك أرادوا أن يُعاقبوا نساءهم وأولادهم فأمرهم اللهُ تعالى بالعفو والصفح.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن: ١٥-١٨].

الفوائد: المَقْصود مِن فتنة الأموال والأولاد أنها سببٌ في التخلُّف عن أمر الآخرة والوقوع في المشقات والبلايا وسببٌ لاكتساب الوزر والوقوع في الحرام. وبالطبع هذه الفتنة تمنح الإنسان الأجر والثواب طالما لم يقع في الحرام ولم تدفعه أمواله وأولاده إلى ارتكاب الفواحش والآثام وإلى الغفلة عن الله والضلال. كما رُوي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «**لا تقولوا: اللَّهُمَّ**

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ» لأن المرأة والأولاد والأموال فتنة للإنسان، ولكن قولوا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ»[١].

كان رسول الله ﷺ يخطب الجمعة ويعظ المؤمنين فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ إليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال: صدق الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما، ثم أخذ في خطبته[٢].

١- روى نحوه الهيثمي في مجمع الزوائد، (١١٩٥٩)، ٧/ ٤٤٩، وقال: «رواه الطبراني (في الكبير) وإسناده منقطع وفيه المسعودي وقد اختلط». اهـ. قلت وجاء في نهج البلاغة (قسم الحكم، ص ٤٨٣)، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ، وَلَكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ:** ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]».

٢- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٣٠١.

سورة الطلاق

مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ
لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ
وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١
فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ
مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن
يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ
حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [الطلاق:١-٣].

<u>الفوائد</u>: المَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أنكم إن طلقتم النساء فطلقوهنَّ طلاقًا يمكِّنُكُم من احتساب زمن عدَّتهنّ وهو أن يُطلّقها في طهر لم يُجامعها فيه فيحتسب هذا الطهر واحدًا من الأطهار الثلاثة. والأمر الآخر أن الخطاب في صدر الآية وُجِّه إلى الرسول ﷺ ولكنه قال بعده مباشرةً: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ فخاطب الجمع، فكيف ذلك؟ والجواب أن سبب ذلك أنه لما كان رسول الله ﷺ أمير القوم وإمامهم، كانت مخاطبته بمنزلة مخاطبة الجميع.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾ على وجوب عدِّ أيام العدّة والتأكد من ذلك لأن الزوجة ترث زوجها لو مات أثناء العدّة كما أن للزوج أن يُراجعها أثناء العدّة، كما أنه يحرم عليها الزواج من غير زوجها الأول طالما كانت في العدّة، كما أنه لا بدّ من تبيّن وضع حملها ولا بدّ من

إعطائها النفقة والكسوة والسكنى، ولذلك لا يجوز إخراجها من مسكنها أي من بيت زوجها، كما يحرم عليها أن تخرج هي بنفسها من بيت زوجها طالما كانت في العدّة طبقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾. وعلى كل حال، فإن في هذه الآية أحكامًا كثيرةً تُستنبط منها ومن أراد الاطلاع فليرجِع إلى كتابنا «**أحكام القرآن**» إذ أوضحنا فيه هذه المسائل بالتفصيل.

﴿وَٱلَّـٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق: ٤-٥].

الفوائد: النساء اللواتي هناك شكٌّ في بلوغهنَّ سنَّ اليأس إما بسبب سنهنَّ أو بسبب عارض آخر فعدّتهنّ في الطلاق ثلاثة أشهر وكذلك الفتيات اللواتي لم يحضنَ بعد ولكن سنهنَّ يقتضي أن يحضنَ أو أنهنَّ لا يحضنَ لسبب عارض وأمرهنَّ ملتبسٌ ومشكوكٌ فيه.

وهاتان المسألتان تُفهمان من الآية وهناك اتفاقٌ عليهما، لكن الاختلاف وقع في عدّة الصغيرة المدخول بها، واليائسة القطعية، وفي نظرنا لابدّ عليهنّ أيضًا من الالتزام بالعدّة. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أن عدّة الحامل تنقضي بمُجرّد وضع حملها حتى ولو كانت ساعةً فقط.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٦-٧].

الفوائد: يقع على عاتق الزوج تأمين نفقة زوجته وكسوتها وسُكناها، فإن طلقها وكانت لا تزال في العدّة كانت مُستحقةً أيضًا للنفقة والكسوة والسكنى حتى تنتهي عدّتها. والعدّة عبارةٌ عن عددٍ من الأيام يجب على المطلقة أن تصبر فيها ولا تتزوج من زوج آخر، حتى إذا ما كان في

بطنها ولد من زوجها يظهر حملها ويُعرف أن الولد للزوج الذي طلقها.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ أنه لو لم يستطع الزوجان التفاهم مع بعضهما وكان في تفاهمهما عسرٌ وحرجٌ فعليهما أن يستأجرا مرضعةً أخرى لإرضاع الطفل.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًاۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ۝١١﴾ [الطلاق: ٨-١١].

الفوائد: جملة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ في الآية العاشرة صفةٌ لجملة: ﴿يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. وَالـمُراد مِنْ: ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ في الآية الحادية عشرة ظلمات الكفر والجهل والخرافات، وَالـمُراد مِن: ﴿ٱلنُّورِۚ﴾ نور العلم والإيمان والحقائق. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿ذِكْرًا﴾ في الآية العاشرة القرآن الذي يُذكِّر الناس بالله وبالقيامة وبحقائق الدين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أن الأرضين سبعة مثل السماوات السبع أو هنَّ سبع طبقات. ومن الـممكن أن لا يكون التماثل في العدد بل في الـماهية والأوصاف. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على شرف العلم وأن الله خلق عالَمَ الخليقة كلَّه كي يعلم به الإنسان.

سورة التحريم

مدنية وهي اثنتا عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣﴾ [التحريم: ١-٣].

الفوائد: يُسْتَفَادُ مِنْ هذه الآيات أن رسول الله ﷺ حرّم شيئًا على نفسه وأقسم على ذلك فخاطبه اللهُ في هذه الآيات خطاب عتاب أو خطابًا مشوبًا بالتأنيب. وقد ذكروا في سبب نزول الآيات أمرين:

الأول: قيل: إن رسول الله ﷺ كان إذا صلّى الغداةَ يدخل على أزواجه امرأةً امرأةً - ليتفقّد أحوالهن - وَكان قد أُهدِيَتْ لحفصة بنت عمر بن الخطاب عُكَّة من عسل، فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وَسقته منها، وَإن عائشة أنكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية، حبشية عندها، إذا دخل رسول الله ﷺ على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع؟ فأخبرتها الخبر وَشأن العسل فغارت عائشةُ وَأرسلت إلى صواحبها فأخبرتهنَّ وَقالت: إذا دخل عليكن رسول الله ﷺ فقلن: إنا نجد منك ريح المغافير، وهو صمغ العرفط كريه الرائحة، وكان رسول الله ﷺ يكره وَيشقّ عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك. قال فدخل رسول الله ﷺ على سودة، قالت: فما أردتُ أن أقول ذلك لرسول الله ﷺ، ثم إني فرقت من

عائشة فقلتُ: يا رسول الله! ما هذه الريح التي أجدها منك؟ أكلت المغافير؟ فقال: لا وَلكن حفصة سقتني عسلاً، ثم دخل على امرأة امرأة وَهن يقلن له ذلك، فدخل على عائشة فأخذت بأنفها، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أجد ريح المعافير، أكلتها يا رسول الله؟ قال: لا بل سقتني حفصة عسلاً. فقالت: جَرَسَتْ إذًا نحلها العُرْفُطَ[١]. فقال ﷺ: حرَّمْتُ العسلَ على نفسي فوَالله لا أطعمه أبدًا. فحرمه على نفسه. فنزلت الآيات[٢].

الثاني: قيل إن رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله! إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريته مارية القبطية وَكان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقًا فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ﷺ وَوجهه يقطر عرقًا، فقالت حفصة: إنما أذنتَ لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وَعلى فراشي أما رأيتَ لي حرمةً وَحقًّا؟ فقال ﷺ: أليس هي جاريتي قد أحلَّ اللهُ ذلك لي، اسكتي فهو حرام عليَّ، ألتمس بذلك رضاكِ فلا تخبري بهذا امرأة منهن وَهو عندك أمانة. فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وَبين عائشة فقالت: ألا أبشرك؟ إن رسول الله قد حرَّم عليه أَمَتَهُ مارية وَقد أراحنا الله منها، وَأخبرَتْ عائشةَ بما رأتْ[٣]، ولما دخل النبيُّ على عائشةَ قالت له شيئًا بالكناية فهمَ منه أنها علمت بالخبر. وَلما حرم رسول الله ﷺ على نفسه مارية القبطية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر ثم عمر فسُرَّت حفصه من ذلك الخبر، وأخبرت عائشة بكلا الخبرين (تحريم مارية وحكم أبي بكر وعمر)، وقامت كل واحدة منهما (أي عائشة وحفصة) بإخبار أبيها بذلك فعاتبهما رسول الله في أمر مارية وَما أفشتا عليه من ذلك وَأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر. وَهذا هو المقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ

١- أي رعت نحله الشجر المعروف بالعرفط الذي يخرج صمغًا ذا رائحة كريهة.

٢- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٣١٣ - ٣١٤.

٣- إلى هنا الرواية مستقاة من الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٣١٤.

﴿وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ﴾. وَيُسْتَفَادُ مِنْ جملة: ﴿قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ أنه كانت تُوحى إلى النبيّ معلوماتٌ أخرى غير القرآن الكريم، ومن هنا يُستفاد أن سنة النبيّ ﷺ كانت من الوحي وأنها كانت بتأييد الله عزّ وجلّ.

ولا يخفى أنه لو غيّر إنسانٌ قانون الله بمعنى أن يعتبر ما أحله اللهُ حرامًا فإنه يكون قد ارتكب إثمًا كبيرًا بل مثل هذا العمل يُعدُّ كفرًا، ولكن عمل رسول الله ﷺ لم يكن كذلك لأنه حرَّم على نفسه شيئًا حلالاً إما تقشفًا ومن باب الزهد أو إرضاءً لخاطر زوجته وحرَّم ذلك على نفسه فقط ولم يُحرّمه على عامة الـمسلمين بل كان يؤمن بأن ذلك الشيء حلالٌ، ومثل هذا الأمر لا يُعدّ ذنبًا لأنه ليس تغييرًا لحكم الله بل هو امتناعٌ عن شيء من الحلال مع اعتقاد حليته. وسيأتي في سورة عبس فوائد مثل هذا العتاب الربَّانيّ.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾ [التحريم: ٤-٥].

الفوائد: «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ عَدَلَ عُمَرُ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِالإِدَاوَةِ فَتَبَرَّزَ ثُمَّ أَتَانِي فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ فَتَوَضَّأَ فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ! مَنِ الْـمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّتَانِ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾؟ قَالَ عُمَرُ وَاعَجَبًا لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ - قَالَ الزُّهْرِيُّ: كَرِهَ وَاللهِ مَا سَأَلَهُ عَنْهُ وَلَمْ يَكْتُمْهُ - قَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ. ثُمَّ أَخَذَ يَسُوقُ الْحَدِيثَ قَالَ (عُمَرُ): كُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ - قَالَ - وَكَانَ مَنْزِلِي فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ بِالْعَوَالِي فَتَغَضَّبْتُ يَوْمًا عَلَى امْرَأَتِي فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي. فَقَالَتْ مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ؟ فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ. فَانْطَلَقْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ أَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: أَتَهْجُرُهُ إِحْدَاكُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُنَّ وَخَسِرَ، أَفَتَأْمَنُ

إِحْدَاكُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ لاَ تُرَاجِعِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَلاَ تَسْأَلِيهِ شَيْئًا وَسَلِينِي مَا بَدَا لَكِ.

قَالَ (عُمَرُ): وَكَانَ لِي جَارٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَنْزِلُ يَوْمًا وَأَنْزِلُ يَوْمًا فَيَأْتِينِي بِخَبَرِ الْوَحْيِ وَغَيْرِهِ وَآتِيهِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ [قبيلة] غَسَّانَ تُنْعِلُ الْخَيْلَ لِتَغْزُونَا، فَنَزَلَ صَاحِبِي ثُمَّ أَتَانِي عِشَاءً فَضَرَبَ بَابِي ثُمَّ نَادَانِي فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ. قُلْتُ: مَاذَا أَجَاءَتْ غَسَّانُ؟؟ قَالَ: لاَ بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، طَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ نِسَاءَهُ. فَقُلْتُ: قَدْ خَابَتْ حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ قَدْ كُنْتُ أَظُنُّ هَذَا كَائِنًا، حَتَّى إِذَا صَلَّيْتُ الصُّبْحَ شَدَدْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ثُمَّ نَزَلْتُ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ وَهِيَ تَبْكِي فَقُلْتُ: أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: لاَ أَدْرِى هَا هُوَ ذَا مُعْتَزِلٌ فِي هَذِهِ الْـمَشْرُبَةِ (بيت مارية القبطية). فَأَتَيْتُ غُلاَمًا لَهُ أَسْوَدَ فَقُلْتُ اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ فَقَالَ قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْـمِنْبَرِ فَجَلَسْتُ فَإِذَا عِنْدَهُ رَهْطٌ جُلُوسٌ يَبْكِي بَعْضُهُمْ فَجَلَسْتُ قَلِيلاً ثُمَّ غَلَبَنِي مَا أَجِدُ ثُمَّ أَتَيْتُ الْغُلاَمَ فَقُلْتُ اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ. فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ إِلَـيَّ. فَقَالَ: قَدْ ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ. فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا فَإِذَا الْغُلاَمُ يَدْعُونِي فَقَالَ: ادْخُلْ فَقَدْ أَذِنَ لَكَ.

فَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى رَمْلِ حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْتُ: أَطَلَّقْتَ يَا رَسُولَ اللهِ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيَّ وَقَالَ: «لاَ». فَقُلْتُ: اللهُ أَكْبَرُ! لَوْ رَأَيْتَنَا يَا رَسُولَ اللهِ وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَوْمًا نَغْلِبُ النِّسَاءَ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْـمَدِينَةَ وَجَدْنَا قَوْمًا تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا يَتَعَلَّمْنَ مِنْ نِسَائِهِمْ فَتَغَضَّبْتُ عَلَى امْرَأَتِي يَوْمًا فَإِذَا هِيَ تُرَاجِعُنِي فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي. فَقَالَتْ: مَا تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ فَوَ اللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ الْيَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ، فَقُلْتُ: قَدْ خَابَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ وَخَسِرَ أَفَتَأْمَنُ إِحْدَاهُنَّ أَنْ يَغْضَبَ اللهُ عَلَيْهَا لِغَضَبِ رَسُولِهِ ﷺ فَإِذَا هِيَ قَدْ هَلَكَتْ. فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ دَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْسَمُ مِنْكِ وَأَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكِ. فَتَبَسَّمَ أُخْرَى. فَقُلْتُ: أَسْتَأْنِسُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَجَلَسْتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فِي الْبَيْتِ فَوَ اللهِ مَا رَأَيْتُ فِيهِ شَيْئًا يَرُدُّ الْبَصَرَ إِلاَّ أُهُبًا ثَلاَثَةً فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْ يُوَسِّعَ عَلَى أُمَّتِكَ فَقَدْ وَسَّعَ عَلَى فَارِسَ وَالرُّومِ وَهُمْ لاَ يَعْبُدُونَ اللهَ فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ «أَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا». فَقُلْتُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ. وَكَانَ أَقْسَمَ أَنْ لاَ يَدْخُلَ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِهِ عَلَيْهِنَّ. حَتَّى

عَاتَبَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا مَضَى تِسْعٌ وَعِشْرُونَ لَيْلَةً دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَدَأَ بِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا وَإِنَّكَ دَخَلْتَ مِنْ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ أَعُدُّهُنَّ. فَقَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ - ثُمَّ قَالَ - يَا عَائِشَةُ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكِ أَمْرًا فَلاَ عَلَيْكِ أَنْ لاَ تَعْجَلِي فِيهِ حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكِ». ثُمَّ قَرَأَ عَلَيَّ الآيَاتِ من سورة الأحزاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٨] حَتَّى بَلَغَ ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾. **فَقَالَتْ عَائِشَةُ: قَدْ عَلِمَ وَاللهِ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا لِيَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ قَالَتْ فَقُلْتُ أَوَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟؟ فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. فراجع رسولُ الله ﷺ زوجاتِهِ»**[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم: ٦-٨].

الفوائد: تقديم ﴿أَنفُسَكُمۡ﴾ على ﴿أَهۡلِيكُمۡ﴾ يدل على أنه يجب على الإنسان أن يُربّي نفسه أولاً ويعمل بأحكام الله ثم يحث عائلته على العمل بتلك الأحكام. وقد جاء في الحديث: «**أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله**». وجاء في الخبر أنه إذا علَّم المؤمن أهل بيته أمور الدين قالوا له يوم القيامة: «**جزاك الله من قيم عنا خيرًا، تُعلِّمنا وتأمرنا وتنهانا فنجيت نفسك**

١- الحديثان: حديث ابن عباس وعائشة، رواهما الشيخان البخاري ومسلم في **الصحيحين** وأصحاب **السنن** النسائي والترمذي وأبو داود، وأحمد في **المسند**، وغيرهم واللفظ المذكور لمسلم.

ونجيتنا»، وإن لم يُعلِّمهم أمور الدين قالوا له: «**لا جزاك من قيّمٍ عنَّا خيرًا لا تُعلِّمنا ولا تأمرنا ولا تنهانا أهلكت نفسك وأهلكتنا فساق بأجمعهم إلى النار**»[١].

والتوبة النصوح هي أن لا يعود التائب إلى الذنب من جديد، وقد جاء في نهج البلاغة وسائر الكتب أن عليًّا عليه السلام سمع رجلاً يقول: « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، فقال له: «**يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين**»[٢] «**إن التوبة تقع على ستة أشياء...**»[٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم: ٩].

الفوائد: جهاد الكفار هو قتالهم ومحاربتهم ولكن جهاد المنافقين يكون بالبحث والاستدلال والمجادلة والاحتجاج، ودفع ضررهم عن الإسلام.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ

١- لم أجد هذا الخبر ولا الذي قبله في أي مصدر من المصادر الحديثية المعروفة سواء السنية منها أم الشيعية. والله أعلم.

٢- ليس في نهج البلاغة الجملة الثانية أي قوله «يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين» بل هذه الجملة موجودة في موضعين من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١١/ ٢٨٣، و١٨/ ٢٣٩) بلفظ: «الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذَّابين»، ونسبها الشارحُ في الموضع الأول لذي النون المصري، وفي الموضع الثاني للفضيل بن عياض.

٣- هذه الجملة في نهج البلاغة فعلاً: ونصها: «**وَقَالَ** عليه السلام **لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! أَتَدْرِي مَا الاِسْتِغْفَارُ؟؟ الاِسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ الْعِلِّيِّينَ، وَهُوَ اسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ: أَوَّلُهَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى. وَالثَّانِي: الْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ الْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَالثَّالِثُ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى اللهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ. وَالرَّابِعُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا. وَالْخَامِسُ: أَنْ تَعْمِدَ إِلَى اللَّحْمِ الَّذِي نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ فَتُذِيبَهُ بِالأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ. وَالسَّادِسُ: أَنْ تُذِيقَ الْجِسْمَ أَلَمَ الطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلاَوَةَ الْمَعْصِيَةِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ**». نهج البلاغة، قسم الحكم، الحكمة ٤١٧، ص ٥٤٩ - ٥٥٠.

ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم: ١٠-١٢].

الفوائد: ضرب اللهُ للكفار مَثَلَ امرأة نوح وامرأة لوط ليرفع العذر ويُتمّ الحُجَّة ولكي لا يقول الكافر: لو كانت بيئتي أو أسرتي جيدةً لكنت إنسانًا صالحًا مؤمنًا، ولكي لا تقول الـمرأة: لو كان زوجي مؤمنًا لكنت مؤمنةً، فاللهُ تعالى يُبيِّن لنا هنا أن الأمر ليس كذلك وأن مثل هذه الأعذار ليست مقبولة، لأن بعض نساء الأَنْبياء - رغم نُبُوَّةِ أزواجهنَّ - لم ينَلْنَ السعادة ولم يستفِدْنَ شيئًا من نبوة أزواجهنّ، وعلى العكس من ذلك فإن زوجة فِرعون حافظت على إيمانها وسعادتها رغم فساد بيئتها وكفر زوجها وفساد بلاط فِرعون.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ جملة: ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ أن لا شيء يوجبُ النجاة إلا الإيمان والعمل الصالح، وأن الأَنْبياء العظام ليس بوسعهم أن يُنقذوا الـمُسيئين من عذاب الله.

وَتدُلُّ كلمة: ﴿عِندَكَ﴾ في جملة: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ على أن عبارة: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ في جملة: ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٩] مثلها مثل عبارة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ تدل على: «جنَّة الرحمة».

سورة الـملك

مكية وهي ثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤﴾ [الـملك: ١-٤].

الفوائد: تقديم الجار والـمجرور ﴿بِيَدِهِ﴾ على الـمبتدأ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ يُفيد الحصر، يعني أن الـمُلك «**بيده لا بيد مخلوق**». وجملة: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ مطلقة تشمل قدرته على الـمعدومات أيضًا، هذا إذا اعتبرنا أن الـمعدوم شيءٌ، ولكن القدرة لا تشمل الـمحال **لعدم قابلية الـمحل**.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ﴾ على أن الـموت أمرٌ وجوديٌّ. وهذان الأمران -أي الـموت والحياة- يدلان على وجود قادرٍ عالمٍ مُدبِّر، كما يدلان على حدوث العالَم، وذلك لأنه لما كانت حياةُ الـموجودات وموتُها أمرين عارضين (أي غير ذاتيين) وأنهما حدثا بعد أن لم يكونا، دلَّ ذلك على حدوثهما، وكل حادث يحتاج إلى مُحدِثٍ. وتقديم الـموت على الحياة لأن العِبرة والخوف الذي يوجد في الـموت لا يوجد في الحياة.

﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ

ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا
سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ
خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن
شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩﴾ [الملك: ٥-٩].

الفوائد: ليس المقصود من جملة: ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أن الشياطين يُرجمون بالنجوم والكواكب ذاتها، وذلك لأن الكواكب تتحرك في مساراتها سواءً كانت هناك شياطينٌ أم لم تكن. بل يُرجم الشياطين بالشرارات والشهب التي تُرمى في الفضاء.

وعندما يدخل كل فوج من أهل النار في جهنم يوم القيامة، يسألهم خزنتها ألم يأتكم نبيٌّ؟ ألم يكن لديكم كتابٌ؟ فيقولون: بلى! لكننا لم نكترث بهم بل كذبناهم، وتشتعل الجحيم غيظًا وغضبًا. فإن قيل: هل للجحيم حياةٌ وشعورٌ؟ فالجواب: إنه من الممكن أن يجعل الله لها في الآخرة حياةً وشعورًا، ومن الممكن أن يكون غيظ جهنم وصفًا للسان حالها.

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ
فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ
۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ
وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ
مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥﴾ [الملك: ١٠-١٥].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أنه يجب على كل إنسانٍ أن يُصغي ويستخدم عقله وفهمه، كما يدلُّ أن العاقل هو من لا يغتر بالدنيا ولا يبيع سعادته الأبديَّة بمتعة أيامٍ معدودة في الدُّنْيَا. وفعل ﴿نَسۡمَعُ﴾ يتعلَّق بالشرع، وفعل ﴿نَعۡقِلُ﴾ يتعلَّق بالقوة العاقلة، أي أن أهل جهنم يقولون: لو استمعنا إلى كلام الشرع واتبعنا العقل لما كانت النار مأوانا، ومن هذا يتبيَّن أن القوة العاقلة حُجَّةٌ على البشر.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ أن للأرض مناكب أي أكتافًا وأكتافها هي

أطرافها المرتفعة التي تتجه نحو الشمس، وهذه الجملة دليلٌ على صحة قول علماء علم الفلك الجديد.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ١٧ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ١٨ أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ١٩﴾ [الملك: ١٦-١٩].

الفوائد: لا يجوز الأمن من عذاب الله، وخسف الأرض هو كالعذاب الذي نزل بقوم لوط، وإرسال الريح الحاصب هو كالعذاب الذي نزل بقوم هود. والآيتان ١٦ و١٧ تُشيران إلى هاتين الأُمَّتَيْن.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَ﴾ أن الله جعل الطيور قسمين، قسمٌ يضرب بجناحه فيصفُّ وقسمٌ يُمسك جناحه فيدفُّ (ومنه الصفيف والدفيف) وقد جعلها الحقّ تعالى خفيفة الوزن وجعل صدورها كالـمغزل مثل صدر السفينة وجعل أجنحتها من الريش كي يدخل الهواء في جوفها وبهذا يحفظها في الهواء، وهذا دليلٌ على أن خالق الأشياء بصيرٌ بها: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ﴾.

﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ٢٠ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ ٢١ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٢ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤﴾ [الملك: ٢٠-٢٤].

الفوائد: يُريد الحقّ تعالى أن يُفهم عباده أن لا أحد سواي ينصركم ويرزقكم والاستفهامات في هذه الآيات إنكارية.

وشبَّه اللهُ تعالى بقوله: ﴿أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ﴾ الكافرَ الـمُقلِّدَ أو كلَّ مُقلِّدٍ لا

يُحقِّقُ فيما يُقلِّدُهُ ويتَّبعُ الآخرين اتِّباعًا أعمى ويسير على دين الآخرين وطريقتهم دون تفكير، شبَّهَهُ بالشخص الذي يسير ورأسه مُتجهٌ نحو الأسفل فلا يرى أمامه ولا خلفه ولا يدري ماذا يوجد في الطريق الذي يسير عليه، وهل يسير في طريق الحقّ أم في طريق الباطل؟ بعكس المؤمن الذي شبَّهه الحقّ تعالى بالشخص الذي يستوي واقفًا وينظر حوله ليتأكد من عدم وجود أي خطر أو حفرة في الطريق.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ
تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ
عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾
[الملك:٢٥-٣٠].

الفوائد: كان كفار مكة يقولون: متى يموت محمَّد ونرتاح منه؟ وكانوا يدعون عليه بالهلاك، فأجابهم الله تعالى قائلاً: قل لهم: إن أهلكني اللهُ ومن معي فهل ستبقون أنتم في الدُّنْيَا أحياءً إلى الأبد! سواءً بقينا نحن أم ذهبنا فلا خلاص لكم من عذاب الله.

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ ماء بئر زمزم وبئر ميمون التي كانت في مكة فقال تعالى لهم: أرأيتم لو جفَّ هذان البئران، فما أنتم صانعون؟

يقولون: إن الطبيب محمد بن زكريا الرازي لما سمع قوله تعالى: ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ قال: الرجال الأقوياء بمجارفهم الحادة، فلما قال ذلك ونام أصبح وقد عمي بصره ورأى في المنام من يقول له: يا فلان لقد جفَّ ماء عينيك «**فَمَنْ يَأْتِيكَ بِمَاءٍ جديد**»؟ ومن هذا يتبيَّن أن كلمة ﴿مَآؤُكُمْ﴾ مطلقة ولا تنحصر بمياه الآبار.

سورة القلم

مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٧﴾ [القلم: ١-٧].

الفوائد: «**ن**» من حروف الهجاء وكُتبت لبيان أنها تُستخدم في تركيب الكلمات، وذكروا لها معانيَ متعددة مع أن هذه الحروف الـمُقطعة لم تُوضع لأداء معنى مُحدد، ومن الـممكن أن نقول: إن «نون» هو الحوت لـمجيء قصة ذي النون أي صاحب الحوت في الآية ٤٨ من هذه السورة، ولكن النون التي بمعنى الحوت لا تُكتب «**ن**» مفردة.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ على عظمة القلم وأهله وأهميتهما، وقد أولى الحقّ تعالى القلم والـمكتوبات أهميةً كبيرةً، لأن الإنسان يُمكنه بقلمه أن يهدي أمةً أو يُضلّ أمّةً، وعن رسولِ الله ﷺ: «**قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ**»[1].

١- ساقه الخطيب البغدادي في كتابه «**تقييد العلم**» من طرقه وقال: «وهذا حديث **موقوف** لا يصح رفعه، والذي عندنا والله أعلم أن عبد الحميد بن سليمان وَهَمَ في رفعه، وقد حدث به مرة موقوفًا».اهـ. قلتُ: حديث أنس الـمرفوع: ذكره الحكيم الترمذي في **نوادر الأصول**،١/ ١٦٩، والخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، ١٠/ ٤٦، وابن عساكر في **تاريخ دمشق**، ٣٧/ ٣٥٣. وحديث عبد الله بن عَمْرو (الـمرفوع): أخرجه الحاكم في **الـمستدرك**، ١/ ١٠٦، وابن عساكر في **تاريخ دمشق**، ٤٣/ ٥٢٣.

وجاء في حديث آخر [عن علي بن أبي طالب عليه السلام]: «**الْكُتُبُ بَسَاتِينُ الْعُلَمَاءِ**»[١]. وفي حديث آخر له أيضًا: «**من تسلى بالكتاب لم تفته السلوى**»[٢]. وفي حديث آخر [عن الإمام الصادق عليه السلام]: «**الْقَلْبُ يَتَّكِلُ عَلَى الْكِتَابَةِ**»[٣].

وعلى كل حال، إنما بقيت معلومات السابقين جميعها ببركة القلم:

(خمس أبيات بالفارسية للمؤلف في فضل القلم):

الكتـــاب أنيــس الوحـــدة ... الكتــاب ضـيـاء صـبـح الـمعرفة
الكتـاب أسـتاذٌ بـلا أجـر ولا مِنَّـة ... يُعطيـك الـمعرفة كـل حـينٍ تريـده
أحيانًـــا يكشـــف أسرار القـــرآن ... أحيانًا يُحدِّثك عن سر قول النبيّ العدنان
إن لم يكـن لـك بـدٌّ مـن جليسٍ ... يُنقـذك مـن غوغـاء الـنفس الأمّـارة
فعليك بالكتب النفيسة فهي خير أنيس ... وهـي في هـذا الزمـان خـير جلـيس

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القلم: ٨-١٦].

الفوائد: نزلت هذه الآيات في الـمُشْرِكين لا سيما الوليد بن لمغيرة، وهي تدل على أنه لا تجوز

أما حديث أنس الموقوف: فأخرجه الطبراني في **الكبير**، ١/ ٢٤٦، والحاكم في **المستدرك**، ١/ ١٠٦. وحديث عُمَر بن الخطاب الموقوف: أخرجه الدارمي في **السنن**، ١/ ١٣٨، رقم (٤٩٧)، والحاكم في **المستدرك**، ١/ ١٠٦. وأخرجه أيضًا: ابن أبى شيبة في **المصنَّف**، ٥/ ٣١٣، رقم (٢٦٤٢٧). وصحَّحه الألباني في السلسة الصحيحة برقم (٢٠٢٦).

١- عبد الواحد بن محمد تميمي الآمُدي (من علماء القرن ٦ هـ)، **غُرر الحِكم ودُرر الكَلِم** (من كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، ص ٤٩، من غير سند، وعنه النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ١٧/ ٣٠٢.

٢- الآمُدي، **غُرر الحِكم ودُرر الكَلِم**، ص ٤٩ من غير سند.

٣- الكُلَيْني، **الكافي**، ١/ ٥٢.

طاعة من يتصف بهذه الصفات وَمِنْ ثَمَّ فلا يجوز أن يكون حاكمُ المسلمين ومن بيده زمام أمورهم شخصًا فيه هذه الصفات، وإحدى هذه الصفات الذميمة الإدهان أي الفرك بالدهن والمقصود منها اللين في الدين والمساومة فيه، فالمشركون كانوا يرغبون أن لا يقول رسول الله ﷺ كلمة الحقّ بصراحة ويُمالئ المُشْرِكين ويُصانعهم، أي أن يفعل ما يفعله معظم الخطباء والمُتلبِّسين زورًا بلباس علماء الدين في زماننا، الذين لا ينقضي العجب من حالهم؛ إذْ بدلاً من أن يقولوا كلمةَ الحقِّ، تراهم إذا سمعوا شخصًا يقول الحقَّ ينبري هؤلاء العلماء المُزوَّرون إلى معاداته ومهاجمته والطعن به!.

والنقطة الأخرى التي تُستفاد من هذه الآيات أن على الإنسان أن ينتبه إلى قسمه بالله وأن لا يُقسم باسم الله بلا ضرورة، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**»[١]. وقال كذلك: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[٢].

وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أننا سنُعلِّم عليه بشيء يشينه وهو ما ذَكَرُوا أنه ضُرب بالسيف يوم بدر ضربةً على أنفه بقيت عارًا عليه لم يُفارقه حتى مات.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ

١- متفق عليه، **صحيح البخاري** (٦٦٤٧)، و**صحيح مسلم** (١٦٤٦).

٢- أخرجه الترمذي في **السنن** (١٥٣٥)، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني)، وأبو داود في **سننه** (٣٢٥١) وأحمد في **المسند**، ٢ / ٣٤ و٦٧ و٦٩ و٨٦، وابن حبان في **صحيحه** (١١٧٧) والحاكم في **المستدرك** (٤ / ٢٩٧) وقال: «صحيح على شرط الشيخين». ووافقه الذهبي في **التلخيص**.

﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ
﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴿٣٣﴾﴾ [القلم: ١٧-٣٣].

الفوائد: لما أعطى اللهُ أهل مكة أموالاً وأولادًا، وكانت نتيجة ذلك أنهم طغوا وقاتلوا رسول الله ﷺ في أُحد حتى شجُّوا جبهته الشريفة وقتلوا عمه، دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ ابتلهم بسنين كسني يوسف**»[1] فابتلى اللهُ أهل مكة بالجوع والقحط، وضرب لأهل مكة مثلاً بصاحب بستان في اليمن قرب صنعاء كان يأخذ من ثماره قدر ما يكفيه ويكفي أهل بيته ويتصدق بما تبقَّى على الفقراء، وعندما كان يحين وقت الحصاد كان يُنادي الفقراء ليُعطيهم نصيبهم، لكنه لما مات وورثه بنوه وكانوا ثلاثة، قالوا: عيالنا كثير، ولا يمكننا أن نعطي المساكين مثل ما كان يفعل أبونا، فتحالفوا بينهم يومًا ليغدون غُدْوَةً (أي فجرًا قبل طلوع الشمس) قبل خروج الناس فليصرِمُنَّ نخلهم وليمنَعُنَّ حق الفقراء منها، وقرروا أن يذهبوا بهدوء وصمت كي لا يشعر بخروجهم الفقراء، لكنهم لما قرَّرُوا ذلك أرسل الله نارًا أحرقت بستانهم في تلك الليلة فلم يبقَ منها سوى الرماد والخشب، فلما وصلوا إلى بستانهم لم يعرفوه وقالوا: لقد أضعنا بستاننا، لكن أحد الأخوة الذي كان عاقلاً وفهم ما حدث، فقال لهم: لقد نسيتم الله عندما صممتم على فعل ذلك الأمر، فوقع بكم ما وقع، فالآن ارجعوا إلى الله و ضَعُوا أملكم به.

يقول الكاتب: لقد عذَّبهم اللهُ تعالى مثل هذا العذاب بسبب عدم قولهم: إن شاء الله، وعدم توكلهم على الله، فعلى الإنسان أن ينتبه إلى حاله ولا يجعل الدُّنْيَا همَّه كحال الـمُشْرِكين.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ
كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ
لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ

١- رواه البخاري (٣٣٨٦) ومسلم (٦٧٥). وأخرجه الحافظ عبد الرزاق الصنعاني في **المصنَّف**، ٢/٤٤٦، رقم (٤٠٢٨).

زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [القلم: ٣٤-٤١].

الفوائد: كان الـمُشْرِكُون يقولون: نحن أفضل من الـمسلمين عند الله أو على الأقل نحن مساوون للمسلمين، فأجابهم الحقّ تعالى قائلاً: بعيدٌ عن عدلنا أن نُساوي في الدرجة بين الـمُطيع والعاصي، فهل لديكم على ما تدَّعونه دليلٌ من كتاب الله تعالى يدل على أن كل ما تحكمون به صحيح؟ أم بينكم وبين الله عهدٌ وميثاق يجعل الله ملتزمًا بواسطته أن لا يُعذِّبكم؟

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٢-٤٥].

الفوائد: يُعبِّر العرب عن اليوم الذي تقع فيه حوادث عظيمة ويُبتلى فيه الناس بأهوال وشدائد كهجوم سيلٍ جرَّارٍ أو مُداهمة عدوٍّ كرَّار أو اشتعال الـمدينة بالنار بقولهم: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي يوم يُشمِّر الناسُ عن ساقهم لمواجهة أمرٍ عظيمٍ، ولما خاطب اللهُ تعالى العرب بلسانهم وكان يومُ القيامة يومًا مهولاً مخيفًا عبَّر عنه الحقّ تعالى بقوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[1].

١ - قال الإمام ابن القيم عن تفسير هذه الآية في الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢- ٢٥٣): «والصحابة متنازعون في تفسير هذه الآية: هل المراد الكشف عن الشدة؟ أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه؟ ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضوع، وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه، وإنما ذكره مجردًا عن الإضافة منكرًا، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والأصبع لم يأخذ ذلك من ظاهر القرآن، وإنما أثبتوه بحديث أبي سعيد الخدري ...: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا». ومن حمل الآية على ذلك قال: قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن
تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم: ٤٦-٥٠].

الفوائد: الآية رقم ٤٦ إحدى الآيات التي تدل على تحريم أخذ الأجر على الدعوة الدينية، إذ قال تعالى: هل طلبتَ منهم أجرًا حتى فرُّوا منكَ بسبب غلاء ذلك الأجر ولم يؤمنوا؟

والمقصود من «صاحب الحوت» ذو النون واسمه يونس وقد مضت أحواله في سورة يونس، وهنا يقول الحق تعالى لنبيِّه مُسلِّيًا ومُقوِّيًا له: لا تكن كيونس في قلَّة صبره.

سَاقِهِ...». وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال: يكشف عن ساق عظيمة، جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثل أو شبيه....».

وقال الشيخ السعدي: «﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ أي: إذا كان يوم القيامة، وانكشف فيه من القلاقل [والزلازل] والأهوال ما لا يدخل تحت الوهم، وأتى الباري لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم فكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه، فحينئذ يدعون إلى السجود لله، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله، طوعًا واختيارًا، ويذهب الفجار المنافقون ليسجدوا فلا يقدرون على السجود، وتكون ظهورهم كصياصي البقر، لا يستطيعون الانحناء، وهذا الجزاء من جنس عملهم، فإنهم كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون، لا علة فيهم، فيستكبرون عن ذلك ويأبون، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسوء مآلهم، فإن الله قد سخط عليهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، وتقطعت أسبابهم، ولم تنفعهم الندامة ولا الاعتذار يوم القيامة، ففي هذا ما يزعج القلوب عن المقام على المعاصي، و[يوجب] التدارك مدة الإمكان». [المُصحح]

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾ [القلم: ٥١-٥٢].

الفوائد: لَـمَّا كان رسول الله ﷺ يقرأ القرآن على الـمُشْرِكين كي يهتدوا به كانوا يُحدِّقون النظر إليه وينظرون إليه نظرة غضبٍ كي يصرفوه عن قراءة القرآن، وكانوا يقولون عن النبيّ: إنه لـمجنون.

والحاصل، هذا هو الـمراد من الآية وليس ما ذكره بعضهم من أن قريشًا كانت تأتي ببعض من كانوا معروفين بإصابة أعينهم لمن نظروا إليه نظرة حسدٍ، حتى يقولوا: ما أحسنه! وما أفصحه! كي يُصيبوه بعينهم! وأن هؤلاء الأشخاص كانوا كلما قالوا عن شخص ما أحسنه! أصابته عينهم فأهلكته، ورووا حديثًا يقول: «**إِنَّ الْعَيْنُ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَتُدْخِلُ الجَمَلَ الْقِدْرَ**»[1]. فهذا الأمر ليس بصحيحٍ. علاوةً على ذلك، فإن الآية لا تقول إن الـمُشْرِكين كانوا يقولون للنبيّ إذا نظروا إليه: ما أفصحه! بل على العكس كانوا يُسيئون القول بحقّ رسول الله ﷺ ويقولون عنه: إنه لـمجنون، وحسب قول القائلين بإصابة العين فإن الطعن والشتم لا يُعتبر إصابةً بالعين.

١- القاضي القضاعي، **مسند الشهاب** (١٠٥٩)، وأبو نعيم، **حلية الأولياء**، عن جابر، ٧/ ٩٠، وأبو بكر الشيرازي في سبعة مجالس من **الأمالي** (٨/ ٢)، والخطيب في **التاريخ** (٩/ ٢٤٤)، وقال الذهبي في ترجمة شعيب إنه منكر، وضعفه السخاوي في **المقاصد**. فالحديث ضعيف. ولكن حسَّنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٢٤٩).

سورة الحاقَّة

مكية وهي اثنتان وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَآقَّةُ ١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ٣ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ٤
فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦ سَخَّرَهَا
عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ
خَاوِيَةٖ ٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨﴾ [الحاقة: ١-٨].

الفوائد: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ من أسماء يوم القيامة؛ وسُمِّيت القيامة بالحاقة لأنها حقٌّ وصادقةٌ وواجبة الوقوع، ولأن حقائق الأمور تثبت فيها، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾ لبيان عظمة ذلك اليوم، ولا يمنع أن رسول الله ﷺ كان يدري عن القيامة أمورًا على نحو الإجمال، لكنه لم يكن يعلم حقيقتها وكُنهها على وجه اليقين. لذلك خاطبه اللهُ بهذه الجملة. وكلمة: ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ قد تكون وصفًا لأولئك الفريق العاتي والمجرم الذي ذبح الناقة، وقد يكون المقصود الصيحة التي تجاوزت بشدتها الحدَّ الطبيعي أو الزلزال الشديد الذي تجاوز أيضًا الحدَّ العاديّ.

﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ
أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ ١١ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ
وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ١٢ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ
فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ

وَاهِيَةٌ﴿١٦﴾﴾ [الحاقة: ٩-١٦].

الفوائد: المَقْصود مِنْ: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ قرى قوم لوط. وَالمَقْصود مِنْ: ﴿رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ جنس الرسول، أي أن كل قوم عصوا رسولهم الذي أُرسل إليهم، وتدلُّ هذه الآيات على وقائع يوم القيامة المهولة الرهيبة، **اللهم إنا نعوذ بك من أهواله.**

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٧-٢٤].

الفوائد: المقْصود مِن ﴿ٱلْمَلَكُ﴾ الملائكة المأمورة يوم الحساب، و﴿ٱلْمَلَكُ﴾ اسم جنس يُطلق على جميع الملائكة، وَالمَقْصود مِنَ ﴿عَرْشَ﴾: عرش العدل وكرسيُّ العدالة، والمأمورون بإجراء العدالة وتطبيقها يوم القيامة ثمانيةٌ من الملائكة لكل منهم بدوره مأمورون يأتمرون بأمرهم[١].

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ أن كتابي يبعث على الفخر ولست خجلاً من أن يقرأه الناس. والهاء الأخيرة في كلمة: ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ هاء السكت التي تدل على العظمة وأصلها: كتابي وحسابي، وكذلك شأن الهاء التي جاءت في أواخر كثير من كلمات هذه السورة.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

١- هذا صرف للآية عن ظاهرها وحقيقتها بدون قرينة صارفة، بل المقصود هو عرش الله عزوجل على الحقيقة. وبنص الآية الكريمة فإن ثمانية من الملائكة يحملون هذا العرش، وقد وردت صفاتهم في أحاديث صحيحة. للمزيد عن العرش، انظر تعليق المُصحح في تفسير الآية الأخيرة من سورة التوبة في هذا الكتاب. [المُصحح]

الفوائد: الذي يُعطى كتابه بيده الشمال - أي اليسرى- يضطرب عندما يرى كتابه ويقول بكل أسف وحسرة: يا ليتهم لم يُعطوني كتابي! لكثرة ما يرى فيه من السيئات، ويتمنى في تلك اللحظة الموت والفناء.

على من يعود ضمير الهاء في كلمة: ﴿لَيْتَهَا﴾؟ قيل: إنه يعود على الحالة التي أُصيب بها أي أنه يقول: يا ليت تلك الحالة كانت نهاية عمري، لأن كلمة ﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ تعني المميتة. ومن الممكن أن تعود إلى الموت يعني أن موتي كان نهاية شأني ولم أحيَ بعد ذلك. وجاءت ﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ أيضًا بمعنى القاطعة، يعني قاطعةً عمري. ويُمكن أن نُرجع الضمير إلى الأعمال، أي يا ليت أعمالي تفنى وتزول ويا ليتها لم تُسَجَّل في صحيفة أعمالي أو يا ليتها لم تتجسَّم أمامي، نعوذ بالله من الفضيحة في يوم الحسرة. رُوِيَ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**»[1].

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٧].

الفوائد: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ بتقدير فعل محذوف أي يقول (الملاك)[2]: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ، أو يُقال ذلك. وجملة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ للتعليل أي أن عِلَّة هذا العذاب عدم إيمانه، وحرف الفاء في جملة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ للتفريع وهي تدل على أنه لن يكون له يوم القيامة أيُّ صديقٍ حميمٍ لأنه لم يكن يُطعم المسكين في الدُّنْيَا، ولن يكون له من طعام سوى الغسلين، والمعنى أنه لو كان قد أطعم المسكين في الدُّنْيَا لكان له وليٌّ حميمٌ في الآخرة أي

١- صحيح مسلم (٢٩٥٨)، والنسائي والترمذي في السنن وأحمد في المسند.

٢- القائل هو الله تعالى، كما سيصرح المؤلف في نهاية هذه الفقرة.

أن هذا الـمسكين ذاته كان من الـمُمكن أن يكون سببًا في إنقاذه من العذاب. و﴿غِسۡلِينٖ﴾ هو صديد أهل النار وأوساخهم. وجاء في الحديث أنه بمُجرَّد أن يقول الله تعالى: ﴿خُذُوهُ﴾ ينهال عليه خمسون ألف ملاك بسياطهم ضربًا على رأسه.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٨ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ٤٩ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٥١ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٥٢﴾ [الحاقة: ٣٨-٥٢].

الفوائد: اعتبرنا حرف «**لا**» في جملة ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا النافية، ونفي القسم لأجل وضوح الأمر الـمُقسَم عليه وأنه لشدة وضوحه لا يحتاج إلى القسَم. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ جبريل ؈.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ...﴾ أن القرآن ليس كلام محمد ﷺ بل هو كلام الله تعالى كله ولا يحقّ لمحمد ﷺ أن يزيد فيه أو يُنقص منه شيئًا. وإذا كان الأمر كذلك، فعلى أولئك الذين يُعرِّفون أنفسهم للناس بوصفهم من علماء الدين وينشرون بين الناس أكاذيب وبِدعًا باسم الدين، فيُضلّون الناس، عليهم أن يتوبوا ويعلموا أنهم لو استمرُّوا في طريقهم الـمُنحرف هذا فإن هناك عذابًا شديدًا ينتظرهم.

وأما قوله إن القرآن ﴿حَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ فهو لأنهم عندما يرون أنهم لم يعملوا بهذا الكتاب الإلهيّ ولم يستفيدوا منه، يتحسَّرون على ذلك، وَلاتَ سَاعَةَ مَنْدَم!

تمَّ الفراغ من ترجمة سورة الحاقة في ١٤ ربيع الثاني ١٣٨٧ هـ ق والحمد لِلَّهِ.

سورة المعارج

مكية وهي أربع وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥﴾ [المعارج: ١-٥].

الفوائد: المقصود من السائل هنا في جملة: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ النضر بن الحارث وسائر المُشْرِكين الذين كانوا يقولون: إن محمدًا يُخيفنا من العذاب فمتى سيقع هذا العذاب؟ وعلى من سيقع؟ ومن الممكن أن نقول: إن النبيّ هو الذي سأل هذا السؤال لكثرة إيذاء المُشْرِكين له ولهذا قال تعالى في آخر هذه الآيات: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ والظاهر أن المقصود من اليوم الذي طوله ﴿خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ يوم الآخرة.

﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٩ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ١٤ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ [المعارج: ٦-١٨].

الفوائد: قُرئت جملة: ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا﴾ بصيغة المعلوم وبصيغة المجهول، وقد

ترجمناها على معنى المبني للمعلوم، وإن كانت بصيغة المبني للمجهول كان المعنى: لا يُسأل قريبٌ عن قريبه أي أنه لا يُسألُ أحدٌ عن أعمال أحدٍ آخر من أقربائه بل لا يكون مسؤولاً إلا عن عمل نفسه فقط. أما إن كان الفعل مبنيًا للمعلوم فمعنى الجملة: لا يَسأَلُ حميمٌ حميمًا آخر، أي لكثرة انشغال كل إنسان بنفسه لا يجد المجال للتفكير في حال الآخرين أو السؤال عن حالهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ أن نار شُعلة الجحيم تمتلك الشعور بإذن الله وقدرته، ولذلك فهي تُنادي المجرمين وتسحبهم إليها. **نعوذ بالله من غضبه**. وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ أنه وضع المال في صندوق فَحَبَسَهُ وَلَمْ يُنْفِقْهُ.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩-٣٥].

الفوائد: المَقْصود مِن الشرّ في جُمْلَة: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ الفقر والفاقة والمرض والمصائب والشدائد، وَالمَقْصود مِن الخير في جملة: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ الثروة والمال والصحة والسِّعة والجاه، ومعنى منوعًا: أنه يبخل بها.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ على أن المُصلِّين لا يُصابون بالجزع والفزع عندما تحلُّ بهم المصائب ولا ييأسون، وأنهم إذا نالوا مالاً أو جاهًا فإنهم لا يكونون أنانيين ولا يبخلون بذلك على الآخرين. وبناءً على ذلك، فالمؤمن الواقعيّ لا يكون بخيلاً ولا أنانيًا أي لا يكون ممن لا يُفكِّر إلا بنفسه، أما إذا رأينا أُناسًا يُصلُّون وهم بخلاء وأنانيون فعلينا أن نشك في صلاتهم

وتقواهم وأن نُخرجهم من وصف الـمُصلِّين.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿حَقٌّ مَّعۡلُومٌ﴾ الزكاة، ولكن لما كانت هذه الآيات قد نزلت في مكة فالحقّ المعلوم هنا ينبغي أن يكون أعمّ من الزكاة والصدقة وصلة الرحم وكل نوع من أنواع الـمساعدة للآخرين. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿ٱلۡمَحۡرُومِ﴾ هو من لا يُظهر فقره رغم احتياجه.

وَيُسْتَفَادُ مِنْ جملة: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ وجملة: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ أن على الإنسان أن يُداوم على الصلاة ويُحافظ عليها من النسيان والترك والإبطال، وإلا لدخل في الـمُستثنى منه أي في أهل نار الجحيم.

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ٣٦ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطۡمَعُ
كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ٣٨ كَلَّآۖ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ ٣٩ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ
٤١ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ
ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ
ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ٤٤﴾ [الـمعارج: ٣٦-٤٤].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ﴾ ذمُّ الذين كانوا يأتون عند رسول الله ﷺ ويجلسون عنده من الكفار والـمُستهزئين وكانوا خمس مجموعات وكانوا يسخرون من قراءة رسول الله ﷺ.

وقد اعتبرنا حرف «لَا» في جملة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ لا النافية، أي أنه لشدة وضوح الـموضوع فلا حاجة للقسم لإثباته. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ مشارق الكواكب والنجوم أو مشارق الشمس ومغاربها حيث أن للشمس ٣٦٠ مشرقًا و٣٦٠ مغربًا في السنة، أي هناك في كل يوم أيام السنة مشرقٌ للشمس ومغربٌ غير مشرقها ومغربها في اليوم الآخر. أو أن مغرب كل ناحية من نواحي الأرض هو مشرقها في ناحية أخرى منها لكون الأرض كروية.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿خَلَقۡنَٰهُم مِّمَّا يَعۡلَمُونَ﴾ أننا خلقناهم من منيٍّ نجسٍ حقيرٍ.

والـمراد من ذلك: **أولاً**: أنهم إن لم يؤمنوا ويُطيعوا الله فلن تكون لهم أي قيمةٍ ومنزلةٍ. **وثانيًا**: أننا كما خلقناهم من منيٍّ عفنٍ فإننا قادرون على إعادتهم يوم القيامة، كما أننا قادرون على أن نذهب بهم ونستبدلهم بخيرٍ منهم.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ أي أنهم كما كانوا في الدُّنْيَا يركضون نحو مرادهم وسادتهم الـمُطاعين وأصنامهم، فإنهم سيركضون يوم القيامة كذلك نحو مُنادي الحقّ. أو أن تكون كلمة: ﴿نُصُبٍ﴾ بمعنى العلامات، أي أنهم سيركضون يوم القيامة نحو العلامات التي وضعناها لهم.

سورة نوح

مكية وهي ثمان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ
يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن
ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [نوح: ١-٤].

__الفوائد__: بعد حضرة آدم وإدريس عليهما السلام نشأت أقوامٌ كانت تتأثر كثيرًا بفراق أمواتها فكانت تصنع تماثيل لآبائها لتتذكرهم ويكون ذلك عزاءً لها عن فراقهم وكانوا يضعون تلك التماثيل في بيوتهم ويُعظِّمونها، وشيئًا فشيئًا اقتدى الأطفال بآبائهم وتصوَّروا أن لأصحاب تلك التماثيل تأثيرًا في خلقهم أو مصيرهم وانتقلوا من تعظيم تلك التماثيل إلى عبادتها، فأرسل اللهُ نوحًا ليأمر قومه بعبادة الله وحده ويُبيِّن لهم أن أرواح آبائكم العظام التي صنعتم هذه التماثيل لتكون مظهرًا لها، ليس بيدها أيُّ شيءٍ من أمور الكون فلا تتوسلوا إليها لتقضي لكم حوائجكم بل اعبدوا اللهَ وحده واطلبوا حوائجكم منه وحده فَبِيَدِه كل شيء.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ
ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩
فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١

وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ٥-١٢].

الفوائد: بُعث نوح في سنّ الخمسين عامًا، ودعا قومه إلى التوحيد ٩٥٠ عامًا؛ ووعدهم أنكم لو آمنتم فإنكم ستتمتعون بحياتكم الطبيعية حتى آخر عمركم وإلا فإن البلايا ستحلّ بكم وتُهلككم وتقطع أعمارکم، لكنهم لم يستمعوا إلى كلامه بل كانوا يُغطُّون رؤوسهم وآذانهم بلباسهم كي لا يسمعوا كلامه ولا يفهموا دعوته، وكان هو بدوره يُنوِّع في طرق الدعوة ولكن قومه لم يتركوا كفرهم ولا شركهم تقليدًا لدين آبائهم وأجدادهم.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح: ١٣-٢٠].

الفوائد: الـمُراد مِن كلمة ﴿أَطْوَارًا﴾ أي أحوالاً مختلفة كالفقر بعد الغنى والغنى بعد الفقر والضعف بعد القوة والقوة بعد الضعف والطول بعد القصر والقصر بعد الطول والصحة بعد المرض والمرض بعد الصحة والجوع بعد الشبع وغير ذلك من الأحوال كخلقكم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ ثم جعلنا في المضغة عظامًا ولحمًا ثم أصبحتم أجنةً وانتقلتم بعدها إلى حالة الطفولة ومنها إلى سنّ الصبا ثم إلى سنّ الاحتلام ثم المراهقة ومنه إلى سنّ الشباب ومنه إلى الكهولة ثم إلى الشيخوخة، وهكذا.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ [نوح: ٢١-٢٥].

الفوائد: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا...﴾ أي مكروا مكرًا كبيرًا، وكان مكرهم أنهم كانوا يقولون للناس: إن هذه التماثيل والأصنام تمنحكم الأموال والأولاد والشفاء والبركة والصحة، كما يُستفاد ذلك من مفهوم قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا﴾ واعلم

أن **وُدًّا وسُواعًا ويغوث ويعوق وَنَسرًا** أسماء خمسة أشخاص من عظماء وصالحي بني آدم كانوا أولياء لِلَّهِ فلما رحلوا عن الدُّنْيَا قام مُريدوهم بتصوير صورٍ لهم ونحت تماثيل لهم اتِّباعًا لهوى النفس، وكانوا يتوجهون إليهم بالدعاء ويتصورون أنهم يستجيبون دعاءهم ويقضون حاجاتهم وكانوا أيضًا يتوسلون إلى قبورهم، وهكذا شيئًا فشيئًا تحولت تماثيلهم إلى أصنام تُعظَّم وتوقَّر، وكانت حيلة من ابتدع ذلك قوله: إنكم أيها الناس لستم أهلاً أن تنالوا فيض الله إلا إذا توجهتم إلى أولئك العباد الـمُقرَّبين، وهكذا انحرف الناس عن عبادة الله وحده وابتعدوا عن التوحيد وانصرفوا إلى عبادة الأصنام، ومن هذا الـمنطلق نهى الرسول الخاتَم ﷺ عن صناعة التماثيل وعن تعظيم قبور الأولياء والأنبياء [كي لا يؤدي ذلك تدريجيًا إلى عبادتها].

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ۝٢٨﴾ [نوح: ٢٦-٢٨].

الفوائد: قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ يعني: لا تدع في الأرض أحدًا، لأن الديَّار هو الذي يسكن الدار، ولم يرَ نوحٌ من قومه الـمعاصرين له إلا الكفر وولادة أولاد كافرين وفاجرين مثل آبائهم ولذلك قال: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ حتى أن الآباء كانوا يأخذون بأيدي أبنائهم ويأتون بهم إلى نوح ويوصونهم أن لا يؤمنوا به بعد وفاتهم، ومن الـممكن أن نقول: إن نوحًا علم بأنهم لن يلدوا إلا فاجرًا أو كفارًا بواسطة الوحي كما جاء ذلك في سورة هود التي قال تعالى فيها: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود :٣٦].

بِنَاءً عَلى ذَلِكَ، طلب حضرة نوح عليه السلام من الله أن يُهلكهم واستجاب الله دعاءه فأغرقهم جميعًا. نعم، لقد ابتُلي رسل الله جميعًا بعناد قومهم ولجاجهم وخصومتهم وعدم استعدادهم لقبول كلام الأَنْبياء الحقّ.

سورة الجن

مكية وهي ثمان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن: ١-٦].

الفوائد: يتبيَّن من هذه الآيات أن هناك موجودات عاقلةً باسم الجِنِّ وأن منهم الكافر ومنهم المؤمن وأن بعضهم اهتدى إلى الإسلام ببركة القرآن. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ أن عظماء الجِنِّ وسادتهم كانوا سببًا في إبعادهم عن الله. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ....﴾ أنهم كانوا مُقلِّدين وكان دينهم مبنيًّا على الظنّ ثم انتبهوا وعرفوا الحقيقة فيما بعد وتوقفوا عن التقليد، فهذه الآيات أيضًا تدل على بطلان التقليد.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ أن بعض الإنس من بني آدم كانوا يلجؤون إلى الجِنِّ ويتخيَّلون أن الجِنَّ يحفظونهم، وكان من عادة العرب أنهم إذا صاروا في صحراء مُقفرة يقولون: «**أعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه**». ولعلّ الآيات التي ذمَّت من يعبد الجِنّ –كقوله تعالى في سورة سبأ: ﴿يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾ [سبأ: ٤١]– كانت تُشير إلى مثل هؤلاء الأشخاص. رُوي عن أحد أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: «خرجت مع

أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف النهار جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم، فوثب الراعي فقال: **يا عامر الوادي جارك جارك**، فنادى منادٍ لا نراه، يقول: **يا سرحان أرسله**، فأتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة، فأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ بمكة ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ يعني زاد الإنسُ الجنَّ باستعاذتهم بقادتهم رهقًا»[1].

والعجيب أن هذا العمل أي اللجوء إلى الجِنّ والاستمداد منهم، الذي يدل مفهوم القرآن على أنه بمنزلة الشرك، قد نسبه بعض الغلاة من الشيعة إلى الإمام محمد الباقر في شرح أحواله كما جاء ذلك في كتاب بحار الأنوار، وقد نسب أولئك الغلاة له هذا الأمر الكاذب لإثبات معجزة له حسب ظنهم.

﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: ٧-١٠].

الفوائد: تحتمل جملة: ﴿لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ معنيين: **الأول**: وهو الأظهر، **لن يبعث اللهُ أحدًا للقيامة** كما كان مشركو مكة يعتقدون. **الثاني: لن يبعث اللهُ أحدًا للرسالة**، وهو غير ظاهر.

وجملة: ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ.....﴾ تتعلَّق بالزمن السابق للبِعثة حين كان الشياطين يتصلون

١- البغوي، **معالم التنزيل**، ٨/ ٢٣٩، والثعلبي، **الكشف والبيان**، ١٠/ ٥١، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ١٩/ ١٠. وذكره ابن كثير في **تفسيره**، ٤ / ٤٣٠ ثم قال معقِّبًا: «وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنّيًا حتى يرهب الإنسي ويخاف منه ثم ردّه عليه لَمَّا استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم». وعزاه في **الدر المنثور**، ٨ / ٢٩٨-٢٩٩ لابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي في **الضعفاء** والطبراني وأبي الشيخ في **العظمة** وابن عساكر. قال الهيثمي في **المجمع** (٧/ ١٢٩): «رواه **الطبراني** وفيه عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي، وهو ضعيف». انتهى.

بالسماوات ويسترقون السمع، ويأخذون من الـملائكة أخبار الغيب ويُعطونها للكُهَّان، ولكن عندما بُعث محمد ﷺ طُرد الشياطين بسهام الشهب الـمُحرقة طبقًا لأخبار كثيرة ولظاهر كلمات القرآن، هذا رغم أن حقيقة هذه القضية وكيفيتها مجهولةٌ بالنسبة إلينا ومستورةٌ عنا.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ١٥ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ [الجن: ١١-١٧].

الفوائد: كل هذه الآيات حتى الآية ١٥ هي نقل لكلام الجِنِّ الذي كانوا يقولونه لقومهم. وأما آية: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ......﴾ فهي كلام الله الذي ذُكر إلى جانب كلامهم.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ أن بين الجِنِّ فِرَقًا ومذاهب عديدة من الكفر والإيمان.

وعبارة: ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ أي مطرًا غزيرًا وعد اللهُ به الكفار والـمشركين إذا آمنوا، لأن أهل مكة كانوا يُعانون من الـمجاعة والقحط بسبب كفرهم. وعُبِّر أيضًا بالـماء الكثير عن العلم الغزير، فكل من استقام على الإيمان بالله آتاه اللهُ علمًا وافرًا.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ١٨ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ٢٠ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ٢٣ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ٢٤ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ٢٥ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ

رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ١٨-٢٨].

الفوائد: تدل الآيات من ١٨ إلى ٢٢ أن دعاء غير الله - سواءً كان ذلك في المساجد أو غيرها - شركٌ، بدليل الجملة الصريحة: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ وهذه الآية صريحةٌ في أنه لا يجوز دعاء غير الله ولا اللجوء إلى غيره وهذا ينطبق على الأَنْبياء وعلى الناس على حدٍّ سواء. وإذا كان الأمر كذلك؛ فعلينا أن نفهم كيف ابتعد أكثر شعبنا في هذا الزمن عن التوحيد بسبب زعمائهم المذهبيين، فهم يتصورون أن اللهَ مثل سلاطين الدُّنْيَا لا بدّ لنا من واسطةٍ كي نتمكن من مخاطبته والطلب منه وأن شأن الله حسب تصورهم أجلّ وأعلى من أن يُناديه شخص عادي ويطلب منه حاجته، لكنهم لم يعرفوا أن تشبيه الله بسلاطين الدُّنْيَا وأمرائها شرك كما أن تشبيه اللهِ الخالقِ بعباده المخلوقين كفرٌ. قال رسول الله ﷺ: «**الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة**»[1].

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ أن اللهَ وحده حاضرٌ وناظرٌ في كل مكان ولا أحد سواه حاضرٌ وناظرٌ في كل مكان، وَمِنْ ثَمَّ فلا أحد سواه مُغيثٌ ولا ملجأٌ لأن كل ما سوى الله محدودٌ ومُتحيِّزٌ في مكان واحد محدَّد.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أن الله وحده عالمٌ بالغيب وأنه لا يُظهر أحدًا على غيبه ولا يُطلع أحدًا على الأخبار الغيبية إلا من ارتضاه من رسولٍ واختاره واجتباه ليُظهر له بعض أخبار الغيب، فهذا الرسول يؤمن بتلك الأخبار، فهو إذن مؤمن بالغيب لأنه من المُتقين، والمُتقون يؤمنون بالغيب [كما

١- أخرج نحوه (بلفظ مشابه) الحكيم الترمذي في **نوادر الأصول**، والحاكم في **المستدرك**، ٢/ ٢٩١، وقال: «هذا صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه»، فتعقَّبه الذهبي في التلخيص بقوله: «عبد الأعلى قال الدارقطني: ليس بثقة». انتهى. قلتُ: وأخرجه أيضًا أبو نعيم في **الحلية**، كلهم عن عائشة مرفوعًا. وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (٣٤٣٢).

وصفهم اللهُ في الآية الثانية من سورة البقرة]، لا أنهم يعلمون الغيب بأنفسهم، كما أنه عندما أبلغ ذلك الرسول تلك الأخبار الغيبية التي تلقاها عن الله لأمته فإن الـمُتقين أيضًا آمنوا بتلك الأخبار الغيبية، كما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِم....﴾ أي أن الله يضع مأمورين من الـملائكة حرسًا مُترصِّدين لرسول الله ﷺ كي يعلموا أنه أبلغ أمته أخبار الغيب أم لا، وقد سبق بيان الـمقصود بكلمة ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ في سورة التوبة، فلتُراجَعْ ثَمَّة.

سورة الـمزمل

مكية وهي عشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ
وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ
وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ
تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾ [الـمزمل: ١-٨].

الفوائد: كان الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ في أوائل البعثة لأن رسول الله ﷺ كان خائفًا من نزول الوحي عليه وكان يلتفُّ بثوبٍ، ويتدثر به، أو كان تحمُّلُ الوحي ثقيلاً عليه ولكنه ﷺ خوطب فيما بعد بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ومعنى الترتيل في القراءة أن يقرأ الإنسان بتأمل وتأنٍ وبصوت حسن جميل فإذا مرَّ بآية فيها ذِكرٌ لنعيم الجنَّة سأل الله ذلك، وإذا مرّ بآيات العذاب استعاذ بالله منه.

وتدل آيات ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا.....﴾ على أن رسول الله ﷺ كان محتاجًا إلى التعليم والتعلم والرياضة الروحية والعبادة، والآخرون أكثر منه حاجةً لذلك، فعليهم أن لا يتركوا صلاة قيام الليل.

﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ

أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ
وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [المزمل: ٩-١٦].

الفوائد: قوله تعالى: ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾ هو الاجتناب والهجران في الباطن والدعوة إلى الحقّ بالنصيحة الـمُخلصة.

وجملة: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ تهديدٌ، أي أوكل إليَّ أمر هؤلاء الكفرة الـمُكذِّبين كي أنتقم لك منهم. وشهادة الرسول على أمته هي شهادته على أعمالهم في زمن حياته، وشأنه في ذلك شأن سائر الأَنْبياء، وقد شبَّه اللهُ تعالى هنا محمدًا ﷺ بموسى ﵇ بشكل خاص فكما أن الـمسلم لا يغلو في شأن موسى وصفاته فعليه كذلك أن لا يغلو في شأن حضرة محمد ﷺ ومقامه.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ
وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞إِنَّ رَبَّكَ
يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ
يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ
عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ
وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا
وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ١٧-٢٠].

الفوائد: لما خاطب اللهُ تعالى رسوله ﷺ بقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ كان النبيُّ ذاته وأصحابه الكرام يقومون الليل، ولما كان يشتبه عليهم نصف الليل وثُلثه فكانوا يُواصلون العبادة حتى طلوع الفجر خوفًا من أن لا يؤدوها كما أُمروا، حتى تورمت قدما رسول الله ﷺ الـمباركتان واستمرَّ الأمر كذلك سنةً، فنزلت هذه الآية الأخيرة من سورة الـمزمل وأُمِروا بأن

يقرؤوا ما تيسَّر لهم من القرآن ويؤدوا من الصلاة ما تيسَّر لهم، لأن الله يعلم أن بعضكم قد يكون مريضًا والبعض الآخر مسافرًا وآخرون يُقاتلون في سبيل الله، وباختصار، تبدل وجوب قيام نصف الليل أو قيام ثُلثي الليل إلى الاستحباب وأصبح أداء صلاة الليل أو تركها جائزًا للصحابة.

وقراءة القرآن وفهم مطالبه لازمةٌ على كل مسلم خاصةً الشباب. قال حضرة الصادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَهُوَ شَابٌّ مُؤْمِنٌ اخْتَلَطَ الْقُرْآنُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ**»[1].

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أن أعمال الإنسان ستتجسم له يوم القيامة فيراها أمامه، ومن الممكن أن يكون معنى ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي تجدوا ثوابه.

١- الكليني، **الكافي**، ٢/ ٦٠٣.

سورة الـمدثر

مكية وهي ست وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧﴾ [الـمدثر: ١-٧].

الفوائد: رُوي أن هذه السورة هي أول ما نزل من القرآن، وقال بعضهم: بل سورة العلق التي تبدأ بقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] هي أول ما نزل من القرآن. رُوي عن جابر بن عبد الله أنه قال: «حدثنا رسول الله ﷺ قال: جاورت بحراء شهرًا، فلما قضيتُ جِواري نزلتُ فاستبطنتُ الوادي فنُوديتُ فنظرتُ أمامي وخلفي وعن يميني وشمالي، فلم أر أحدًا، ثم نُوديتُ فرفعتُ رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبرائيل، فقلتُ: دثِّروني دثّروني فصبوا عليَّ ماءً، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾»[1].

وتقديم ﴿رَبَّكَ﴾ على ﴿فَكَبِّرۡ﴾ لتخصيص التعظيم والتكبير لِلَّهِ، وهذه الآية دليلٌ على وجوب التكبير، ومعنى التكبير اعتبار الله تعالى أكبر من أن يُشَبَّه بالـمخلوق أو تكون صفاته مثل صفات الـمخلوق.

ويُمكن أن يكون معنى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ ثيابَك فشمِّر، أي اشدُدْ همَّتَكَ وعزيمتَكَ، لأن من أراد العمل وهو يلبس إزارًا طويلاً اتسخ إزاره وتلوث، فكان لابدّ له من أن يلبس إزارًا

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٣٨٤.

قصيرًا [أو رفع ثوبه والتشمير عن ساقه] ليتمكن من الاشتغال في عمله بنشاط. وجاء في الحديث: «**غَسْلُ الثِّيَابِ يُذْهِبُ الْهَمَّ وَالْحَزَن**»[١]. أي أن التطهير هنا جاء على معنى التقصير، لكن هذا خلاف الظاهر، وقال بعضهم: إن معنى آية: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أي احفظ نفسك من الأخلاق الذميمة ومن الطمع والحرص. **يُقال: فلان طاهر الثياب والذيل**، يعني: **عن المعايب والمفاسد.**

ومعنى: ﴿ٱلرُّجۡزَ﴾ الرجس والقذارة (أو النجاسة) الظاهرية والمعنوية، أي ابتعد عن الإثم والذنب والشرك.

وجملة: ﴿وَلَا تَمۡنُن﴾ مطلقةٌ فيُمكننا أن نقول: إن المراد لا تمنَّ على الله في عبادتك أو لا تمنّ على الخلق بإبلاغهم رسالة الله أو لا تمنّ على المؤمنين بهدايتك لهم أو لا تمنّ على الناس في العطاء والإنعام عليهم طالبًا الزيادة. و﴿تَسۡتَكۡثِرُ﴾ أيضًا مطلقة يعني لا تطلب من الخلق الأجر أو لا تطلب الزيادة على القرض، أو قد يكون المراد: لا تمنّ كي يصير لك المزيد من الأتباع، وقد يكون المقصود كل ما سبق من المعاني.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾ ذَرۡنِي
وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ
تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ﴿١٦﴾ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾
إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ
﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر: ٨-٢٦].

الفوائد: نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان من سادة قريش ومن أغنياء المُشْرِكين وكان ذا مالٍ وأولادٍ كُثُر كانوا دائمًا إلى جانبه يحضرون في كل مجلس، وكانوا يُطلقون عليه وحيد قومه، ويقولون: ﴿وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا﴾ إشارة إلى هذا الأمر والطعن به في

١- الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، بَابُ اسْتِحْبَابِ لُبْسِ الثَّوْبِ النَّقِيِّ النَّظِيفِ، ج ٥/ ص ١٤.

هذا الأمر.

«وَذلك أن قريشًا اجتمعت في دار الندوة، فقال لهم الوليد: إنكم ذوو أحساب وَذوو أحلام وَإن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا أمركم على شيء واحد، ما تقولون في هذا الرجل، قالوا: نقول إنه شاعر، فعبس عندها وَقال: قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر، فقالوا نقول: إنه كاهن، قال: إذًا يأتونه فلا يجدونه يحدث بما تُحدث به الكهنة. قالوا نقول: إنه لمجنون، فقال: إذًا يأتونه فلا يجدونه مجنونًا. قالوا نقول: إنه ساحر، قال: وَما الساحر؟ فقالوا: بشر يُحبِّبون بين المتباغضين وَيُبغضون بين المتحابِّين، قال: فهو ساحر، فخرجوا فكان لا يلقى أحد منهم النبي ﷺ إلا قال: يا ساحر يا ساحر. وَاشتد عليه ذلك فأنزل الله تعالى «يا أيها المدثر» إلى قوله « إلا قول البشر»» (1).

وجاء في روايةٍ أخرى [عن مجاهد]: «أن النبي ﷺ لما أُنزل عليه ﴿حمٓ . تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ . غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر: ١ - ٣]، قام ﷺ إلى المسجد وَالوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته، فلما فطن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال: وَالله لقد سمعتُ من محمَّدٍ آنفًا كلامًا ما هو من كلام الإنس وَلا من كلام الجن وَإن له لحلاوة وَإن عليه لطلاوة وَإن أعلاه لُمثمر وَإن أسفله لُمغدق وَإنه ليعلو وَما يعلى عليه. ثم انصرف إلى منزله. فقالت قريش: صبأ وَالله وَالوليد وَالله لتصبأن قريش كلهم. وَكان يُقال للوليد: ريحانة قريش. فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه؛ فانطلق فقعد إلى جانب الوليد حزينًا فقال: ما لي أراك حزينًا يا ابن أخي! قال: هذه قريش يعيبونك على كبر سنك وَيزعمون أنك زينت كلام محمَّد. فقام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال: أتزعمون أن محمدًا مجنون؟ فهل رأيتموه يخنق قط؟ فقالوا: اللهم لا. قال: أتزعمون أنه كاهن فهل رأيتم عليه شيئًا من ذلك؟ قالوا: اللهم لا. قال: أتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه أنه نطق بشعر قط؟ قالوا: اللهم لا. قال: أتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئًا من

---

١ - الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٣٨٦-٣٨٧.

الكذب؟ فقالوا: اللهم لا. وَكان يُسمَّى الصادق الأمين قبل النُّبُوَّة من صدقه. فقالت قريش للوليد: فما هو؟ فتفكَّر في نفسه ثم نظر وَعبس فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يُفرِّق بين الرجل وَأهله وَولده وَمواليه فهو ساحر وَما يقوله سحر يؤثر[١].

ولما كان الوليد قد فهم نُبوَّة رسول الله ﷺ وعرف صدقه لكنه قال ذلك الرأي فيه تكبُّرًا وعنادًا قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ أي سأدخله في جهنم.

ويُمكن أن تكون كلمة ﴿وَحِيدًا﴾ حالاً للتاء في فعل ﴿خَلَقْتُ﴾ أو حالاً لـ «مِن» الـموصولة أو حالاً لكليهما.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾
وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا
مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا
هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا
لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ
بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ
﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا
تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الـمدثر: ٢٧-٤٨].

الفوائد: ﴿سَقَرُ﴾ وادٍ من أودية جهنم وهو مأوى الـمُتكبِّرين، وقد جعل اللهُ عدد الـملائكة الـمأمورين على ﴿سَقَرُ﴾ ١٩ ملاكًا، كي يقول الكفار: لماذا لم يكن عددهم أقل من ذلك، ولماذا لم يكونوا أكثر من ذلك؟ ويقولوا أيضًا: كيف جعل اللهُ الجحيم بكل سِعتها الهائلة تحت إشراف

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٣٨٧.

١٩ نفرًا فقط؟ وقد أجاب اللهُ تعالى عليهم: إن اللهَ أعطاهم قدرةً على إدارة الجحيم.

والعجيب أن حزب البهائيين جعلوا رقم ١٩ عدد رؤسائهم وعدد محافلهم أو عدد الأقمار أو كل عدد جيد!

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر: ٤٩-٥٦].

الفوائد: كان الكفار يقولون: لن نؤمن لك يا محمد حتى تُنزِّل على كل واحد منَّا كتابًا ذا صُحف وأوراق، فقال تعالى: ليس الأمر كما يقولون وإنما هم يتحجَّجون لتبرير عدم إيمانهم، علاوةً على ذلك، لو أنزل اللهُ على كل بشر كتابًا لما بقي هناك معنى لإرسال الرسل. ومعنى: ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ هو أن اللهَ تعالى أهلٌ أن يُخشى من عقابه ويُتَّقى غضبه.

سورة القيامة

مكية وهي أربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ
عِظَامَهُۥ ٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤ بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ ٥
يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ ٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ٧ وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ
وَٱلۡقَمَرُ ٩ يَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ يَوۡمَئِذٍ أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ
ٱلۡمُسۡتَقَرُّ ١٢﴾ [القيامة: ١-١٢].

الفوائد: قد تكون «لَا» في جملة: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ لا النافية كما ترجمناها، لأن الـمُشْرِكين لم يكونوا يعتقدون بالقيامة ولا بالحشر والنشر ولا يعتقدون بالنفس اللوامة التي تلوم ذاتها يوم القيامة، والقسم بشيء لا يؤمن به الطرف الآخر، لغوٌ.

واختار الحقّ تعالى لبيان قدرته على الخلق، من بين جميع أعضاء الإنسان، رؤوسَ الأصابع، وقال: ﴿قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾، وقد ثبت في العلم الحديث أن جلد رؤوس الأصابع (البصمات) مختلف لدى كل إنسان من مليارات البشر الـماضين والحاضرين والآتين في الـمستقبل، ومنه بدأ استخدام البصمات وما فيها من دوائر وخطوط ومُخطَّط خاص للتعرّف على هويّة الأشخاص وتمييز الناس عن بعضهم، فأراد اللهُ في هذه الآيات أن يُفهمنا أننا وَضَعْنا بقدرتنا وإرادتنا مثل هذا التمايز في خطوط البصمات حيث يُمكن التعرّف على كل مُجرم بواسطة بصمته ونحن قادرون على أن نُعيد هذه البصمات والخطوط من جديد يوم القيامة.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ١٣-٢١].

الفوائد: ﴿مَعَاذِيرَهُۥ﴾ جمع معذرة وهي ما يعتذر به الإنسان عن ذنوبه ويأتي به من أعذار، ومن الممكن أن تكون جمع مِعذار بمعنى الستر يعني: أنه يستر عمله.

وذُكر في معنى جملة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ.....﴾ احتمالان: **الأول**: أن الخطاب مُوجَّهٌ إلى رسول الله ﷺ الذي كان يستعجل في قراءة القرآن عندما ينزل عليه الوحي ويقرأ جبريل الآيات عليه، فكان ﷺ يُحرِّك لسانه بالقراءة مع قراءة جبريل كي لا ينسى ما يُقرأ عليه، فنهاه اللهُ عن الاستعجال. **والثاني**: إن الخطاب مُوجَّهٌ إلى الإنسان يوم المعاد بقرينة الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها لأن الإنسان عندما يقرأ صحيفة أعماله يتلجلج لسانه من الخوف ويستعجل في القراءة، فقال تعالى إنه سيُقال لهذا الإنسان: لا تستعجل لقد قمنا بجمع ما في هذا الكتاب وضبطه، فإذا قرأناه وذكرنا لك أعمالك عملاً عملاً عندئذٍ اقرأ أنت كتابك واتَّبعه بالتصديق بما فيه وسنُفصِّل لك بيان ذنوبك وآثامك. ولكن القول الأظهر والأقوى هو المعنى الأول وأن الخطاب مُوجَّهٌ إلى النبيّ الأكرم ﷺ.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب كما يدلُّ على وجوب بيان ما هو ضروريٌّ للعلم والعمل على الله، أي أنه يجب على الله أن يُبيِّن بذاته ذلك، لا الآخرين.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٣٠].

الفوائد: بالنسبة إلى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1]، عندما يتعدى فعل «نَظَرَ» إلى مفعوله

١- إن رؤية الله تعالى أو لقاءه يوم القيامة جزء من دائرة الإيمان بالغيب. وهي الدائرة التي جعلها الله أول شرط للتقوى حين قال: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ١ – ٣].
وقُطْر هذه الدائرة يتحدد بواسطة نصوص القرآن الكريم الثابتة وكلام النبيّ الأكرم ﷺ فحسب، ولا قدرة في هذا الميدان للعقل على الإطلاق، لأن هذه المسألة خارجة عن حدود إدراك العقل وحواس الإنسان.
ولما كانت أدلة ثبوت رؤية المؤمنين لربّهم في جنان الخلد واضحةً وذُكرت في الأحاديث الصحيحة مرارًا وتكرارًا كانت هذه المسألة دائمًا من المُسلَّمات والبديهيات المُتفق عليها في الأمة الإسلامية، ولم يُنكرها أحد من الصحابة أو علماء التابعين. ولم يحصل إلا عندما وصل أهل البدعة والمتفلسفون إلى السلطة أن وُضعت علامات الاستفهام حول هذه المسألة البديهية، وكان قد أنكرت الفرق المبتدعة الجَهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية رؤية المؤمنين ربَّهم يوم القيامة!!.
وللأسف فإن العلامة البرقعي لم يُدقِّق في هذا الموضوع ونفى مسألة رؤية الله استنادًا إلى ما ترسَّب في ذهنه من عقائده السابقة. وفي اعتقادنا أنه لو وجد الأستاذ البرقعي الفرصةَ كافية لدراسة هذه القضية بشكل دقيق ولم يمرّ عليها مرور الكرام، لوصل بفضل روح البحث عن الحق وطلب الحقيقة التي نُلاحظها في كتاباته، إلى كبد الحقيقة. وعلى كل حال، نسأل الله تعالى أن يعفو عن أخطائنا جميعًا. ونرى أنه من اللازم هنا أن نُوضِّحَ، بصورةٍ مختصرةٍ جدًّا وبعيدًا عن التفلسف، هذه المسألة للقارئ المحترم، ولو أراد القارئ أن يبحث أكثر في هذه المسألة فسيجد شرحها مبسوطًا على نحو أوسع في كتب أهل التوحيد العقائدية.
اتفق علماء الأمة منذ صدر الإسلام وحتى اليوم – ما عدا تلك الفرق التي أشرنا إليها– على أن المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة، وهي البشارة التي صرَّحت بها الآيتان ٢٢ و٢٣ من سورة القيامة أي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وكذلك ثبت عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، وعن خادم النبيّ ﷺ أنس بن مالك أنهم قالوا في تفسير آية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] أن ﴿الْحُسْنَى﴾ هي الجنَّة و«**الزِيَادَة**» هي النظر إلى الله الأحد. وهكذا فسَّر الآيةَ النبيُّ الأكرمُ ﷺ وأصحابُهُ ومن جاء بعدهم.
أما الأحاديث التي تُثبت لقاء المؤمنين لربِّهم يوم القيامة – أي رؤيتهم له – فهي كثيرة إلى حد أنه لا يُمكن لأحد أن يُنكرها. وقد رُويت هذه الأحاديث عن أكثر من ٣٠ صحابيًّا. من ذلك الحديث الصحيح الذي رواه الترمذيّ وابن ماجه وأحمد أن صهيبا رضي الله عنه قال: إن النبيّ الأكرم ﷺ قرأ آية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى

وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ثم قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْـجَنَّةِ الْـجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْـجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللهِ مَوْعِدًا يُحِبُّ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ. فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ أَلَمْ يُثَقِّلْ اللهُ مَوَازِينَنَا وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْـجَنَّةَ وَيُخْرِجْنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَ اللهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ**». فهذا هو معنى ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ في الآية. وثبت في روايات كثيرة أخرى أن كثيرًا من الصحابة، من جملتهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس ﷺ، فسَّروا ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ بالنظر إلى الله ولقائه.

وجاء في أحاديث كثيرة أخرى أن الـمؤمنين سألوا رسولَ الله ﷺ: هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال ﷺ: هل تُمارُون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله. قال: فإنكم ترونه كذلك. وهذه الأحاديث يُمكن أن نجدها بروايات متعددة في كتب الصحاح والـمسانيد والسنن.

لكن الجهمية والـمعتزلة والخوارج والإمامية أنكروا رؤية ربِّهم، ووضعوا جانبًا آيات القرآن الصريحة وأقوال رسول الله ﷺ الواضحة وركبوا حمار العقل الأعرج فوقعوا في بئر الخطأ والاشتباه!

إنهم يقولون: عندما طلب موسى ﵇ من ربّه أن يُكرمه بشرف الرؤية وسعادتها قال الله له: ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ويقولون أيضًا: إن الله تعالى قال: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولكننا إذا دققنا في هاتين الآيتين لرأينا أنهما بذاتهما دليلان على إثبات الرؤية لا نفيها!.

مثلاً يُمكننا القول بشأن آية ﴿لَنْ تَرَانِي﴾:

١- كلَّم موسى ربَّه مباشرةً فكان أعلم الناس بربّه فهل كان من الـممكن أن يسأل ربّه شيئًا لا يجوز عليه؟!.

٢- لم يؤاخذ الله موسى على طلبه ذاك! ولو كان طلب موسى غير جائز وكان خطأً منه لردّ الله عليه ذلك كما ردّ على نوح عندما طلب نجاة ابنه الـمنحرف فقال تعالى له: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٤٦﴾ [هود: ٤٦].

٣- قال تعالى ﴿لَنْ تَرَانِي﴾ ولم يقل «إني لا أُرى» أو «لا تجوز رؤيتي» أو «لست بمرئي» والفرق بين الجوابين واضح جدًّا.

ولو أردنا أن نأتي بمثال لمزيد من التوضيح لقلنا: لو وضع رجل في كُمّ قميصه حَجَرًا فظنه آخر طعامًا وقال له: أعطني هذا الطعام لآكله، فإن الجواب الصحيح هو: إن هذا ليس قابلا للأكل أو ليس شيئًا يؤكل. أما لو كان طعامًا لكان من الصحيح أن يقول له: إنك لن تأكله.

فهذا الجواب الإلهي دليل على أن الله قابل للرؤية لكن طبيعة موسى البشرية وقدرته الـمحدودة لم تكن تسمح له برؤية ربّه في هذه الدُّنْيَا.

٤- قال تعالى: ﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أي أراد الله بهذه

الآية أن يُفهم موسى أن جبلاً بهذه الصلابة وصخورًا بهذا الحجم الكبير لم تستطع أن تثبت أمام التجلي الإلهي فكيف يُمكنك أن تتحمل ذلك رغم ضعفك وعجزك البشريّ؟!.

٥- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان الله قد تجلى لجبل جامد لا روح فيه ولا ثواب له عند الله ولم يطلب من الله أن يتجلى عليه فلماذا لا يُمكن أن يتجلى الله على نبيّه وعلى الـمؤمنين من أحبابه في جنان خلده؟

٦- كلَّم الله موسى مباشرةً وناداه وتكلَّم معه وحده، فلماذا لا تحتملون أن من يُكلِّم مُخاطَبه مباشرةً ويسمِعُهُ كلامَهُ، أن يُسعد مُخاطَبه أيضًا برؤيته؟

أما ادّعاؤهم أن ﴿لَنْ﴾ تدل على النفي الدائم في الدُّنْيَا والآخرة فهو ادّعاء بلا أساس، لأن ﴿لَنْ﴾ حتى لو جاءت مع كلمة ﴿أَبَدًا﴾ لا تعني الإنكار في الدُّنْيَا والآخرة فما بالك لو جاءت وحدها!. قال تعالى في سورة البقرة بشأن اليهود: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم أخبرنا في سورة الزخرف أنهم سيتمنون الـموت ويقولون: ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. إذن ﴿لَنْ﴾ لا تعني إنكار وقوع الشيء في الدُّنْيَا والآخرة.

وسمعنا أن الله قال في سورة يوسف على لسان أخيه: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠]، ورأينا أن ﴿لَنْ﴾ لم تعنِ الإنكار الأبديّ.

أما الآية الأخرى التي استدلوا بها أي قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فهي تدل على عظمة الله التي لا نهاية لها وعلى كمال عظمته وجلاله، وأنه أكبر من كل شيء، فهو أكبر وأعظم من أن يستطيع أي شيء أن يُدركه، وبعبارة أخرى لا يُمكن لأي أحد أن يُحيط بالله ببصره. و«الإدراك» يأتي بمعنى الإحاطة الكاملة بالشيء. وهذا شيء أكثر من الرؤية. كما نقرأ في قصة موسى في سورة الشعراء: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ..﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٢] فلم يُنكر موسى الرؤية بل أنكر الإدراك! وهكذا أيضًا يُرى الله تعالى -وبالطبع دون تحديد الكيفية والحدود والجهات والـمسافات والصفات- ولكن لا يُدرَك أي لا يُحاطُ به، كما أنه **يُعْلَمُ ولا يُحاط به عِلْمًا**.

وهكذا نُلاحظ أن مذهب إنكار رؤية الله يوم القيامة لا أساس له من الصحة. وهو رأيٌ استند إلى إدخال العقل البشري الـمحدود في ميدان الغيب غير الـمحدود، وإلى انتهاك التفلسف العقلي لحرمة ذلك الـميدان، في حين أن هذه الـمسألة مسألة أوضحها القرآن والحديث بشكل واضح وبيِّنٍ جدًّا لا يُبقي مجالاً لبحث أتباع العقل والفلاسفة. (للمزيد يُمكن مراجعة كتاب «**شرح العقيد الطحاوية**» للعلامة ابن أبي العز الحنفي). [الـمُصحح].

بحرف «إلى» لا يكون معناه الرؤية البصرية بل معناه الالتفات والانتباه والتوجُّه. كما قال تعالى في الآية ٧٧ من سورة آل عمران: ﴿...وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ...﴾ حيث إن المراد فيها أن الله لا ينظر إليهم نظر لطف وعناية [لا أنه لا يراهم لأنه لا يغيب عن نظر الله ورؤيته شيء]، وكما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨]، كما أن النظر يأتي بمعنى الانتظار كما في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقوله أيضًا: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢١٠].

وجملة: ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ إذا اعتبرنا أن كلمة ﴿رَاقٖ﴾ مشتقة من مادة الرقية كان المعنى: من يَرقِه أي من يشفيه؟ أما إذا اعتبرنا كلمة ﴿رَاقٖ﴾ مشتقة من مادة الرُّقيّ والارتقاء، كان المعنى: من الذي سيرفعه ويرتقي به، هل هم مأمورو العذاب أم مأمورو الثواب أم المُشيِّعون من الناس؟

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ [القيامة: ٣١-٤٠].

الفوائد: المراد من جملة: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾: أبو جهل وكلُّ من كان مثله ممن لم يكن يؤمن لا بأصول ولا بفروع ويفتخر في أهله أنه مُكذِّب بدين محمد ولا يؤمن به. ومعنى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾ الذمُّ، أو بتقدير **الويلُ أَوْلَى لكَ**.

وقد استدل تعالى بالقياس العقليّ فبيَّن أن خلق الإنسان من نطفة وعلقة دليلٌ على المعاد وإعادة أجزاء البدن وولوج الروح فيها من جديد، ومن هذا يتبيَّن أن القياس العقليّ جائزٌ، لا القياس في الفروع.

سورة الدهر

مكية وهي إحدى وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤﴾ [الدهر: ١-٤].

الفوائد: لم يكن الإنسان في زمن من الأزمان شيئًا يستحق الذكر، وكان آدم في زمن من الأزمان طينًا ثم جفَّ ذلك الطين فأصبح صلصالاً، أو كان أبناء آدم نُطَفَ مَنِيٍّ ثم صار كلٌّ منهم علقةً ثم مضغةً. كلُّ إنسان مرّ بهذه المراحل سواءً كان نبيًّا أم وليًّا أم شقيًّا، هذا إن كانت ألف ولام ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ للجنس أو للاستغراق.

وقد ذكرنا إيضاحات لهذه النقطة في كتابنا «**درسى از ولايت**» أي درس عن الولاية. ولكن جاء في بعض تفاسير الشيعة أن ألف ولام ﴿ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ هنا هي ألف ولام العهد والمقصود منها حضرة عليّ عليه السلام الذي خُلق من نطفة أبيه حضرة أبو طالب وأمه فاطمة بنت أسد عليهما السلام! بِنَاءً عَلى ذَلِكَ، فإن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خُلقوا من نطفة أبٍ وأمٍّ لا من نور الله ولا قبل خلق الكون والمكان كما تذكره بعض الروايات الموضوعة التي تُسبِّب نفور الشباب المُثقف والمُتعلِّم من الإسلام.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ

يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ
ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ
مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ
شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ١٢
مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ١٣ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا
وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ١٤ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ١٥
قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ١٦ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧
عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ١٨﴾ [الدهر: ٥-١٨].

الفوائد: ينبغي أن نعلم أن الله تعالى أعدَّ للأبرار والصالحين أمورًا لا يُمكن وصفها، وما ذُكر في هذه الآيات هو من باب القياس على ما يوجد في الدُّنْيَا، وكل من كان من الأبرار كان ثوابه ما جاء في هذه الآيات، ومن جملة نماذج الأبرار حسب ما جاء في الروايات حضرة عليّ وأهل بيته عليهم السلام، الذين وفوا بنذرهم وأطعموا الـمُحتاجين.

وقد اخترع بعض مُفسِّري الشيعة هنا قصةً في شأن حضرة عليّ عليه السلام لا تتفق مع كتاب الله ولا مع العقل وهي قصةٌ مشوبة بالخرافة، وقد ذكَّرنا في الفقرة ١٦ من مقدمة هذا الكتاب بالخرافات التي وردت في كتب التفسير عند تفسيرهم لهذه السورة، ونذكر هنا روايةً أقرب إلى الحقيقة وهي ما رواه عبد الله بن ميمون عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «كان عند فاطمة شعير فجعلوه عصيدةً، فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال الـمسكين: رحمكم الله. فقام عليّ فأعطاه ثلثها، فلم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم: رحمكم الله فقام عليّ عليه السلام فأعطاه الثلث. ثم جاء أسير فقال الأسير: رحمكم الله، فأعطاه عليّ عليه السلام الثلث الباقي، وما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم»[1].

وقد نقل هذه الرواية كل من الشيخ الطبرسي والقُميّ والكاشاني. وبالـمناسبة، جاء في

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٤٠٥.

الصحيفة العلوية في دعاء اليوم الثاني والعشرين من الشهر أن عليًّا عليه السلام قال في دعائه: «**اللَّهُمَّ وَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ** ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾، **اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يُطْعِمُ** ﴿ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾...».

ويعود ضمير الهاء في جملة: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ على الله أو يعود على الطعام أو على الإطعام وكلُّه صحيح وجائز.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ٢٠ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ٢٢﴾ [الدهر: ١٩-٢٢].

الفوائد: المقصود من: ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ صبيان ذوو جمال ونضارة وحسن دائم لا يكبر سنّهم ولا يشيخون.

ومن الممكن أن تكون كلمة: ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾ حالاً لكلمة ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ أو حالاً لضمير ﴿حَسِبۡتَهُمۡ﴾ يعني ﴿وِلۡدَٰنٞ﴾.

والمُخَاطَب في فعل: ﴿رَأَيۡتَ﴾ إما رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم أو كلُّ مُكلَّفٍ.

ومعنى كون الله شاكرًا أنه يشكر عباده على سعيهم ويقول لهم: ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾ فيجعل أجرهم عشرة أضعاف.

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ٢٣ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ٢٤ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾ [الدهر: ٢٣-٣١].

الفوائد: تدلُّ جملة: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ على أن إصرار الكفار على كفرهم لم يكن مستندًا إلى دليل وبرهان، بل سببه حبّ الدُّنْيَا والشهوات.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ أنهم رغم وجود القيامة أمامهم لا يكترثون بها وكأنهم يجعلونها وراء ظهورهم. وقد عُبِّر عن يوم القيامة باليوم الثقيل لأن الذين سيشهدونه سيُعانون من المشقة والتعب لشدة الهول والخوف.

وَليس المُرَادُ مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ الجبر بل المقصود أننا نحن الذين شئنا أن تشاؤوا وأن تختاروا، ولو شئنا أن لا نجعلكم مختارين لمنعناكم من الاختيار ومنعنا مشيئتكم.

سورة الـمرسلات

مكية وهي خمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤
فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ٧﴾ [الـمرسلات: ١-٧].

الفوائد: يُمكن أن تكون الصفات التي جاءت في الآيات الخمس الأولى كلها صفات للملائكة، ويُمكن أن تكون صفات لآيات القرآن ويجوز أن تكون صفات للأنبياء، ورابعًا: قد تكون صفات للرياح، وخامسًا: قد تكون صفات للإلهامات والدواعي الإلهية، ويُمكن أن تكون الصفة الأولى والصفة الثانية اللتان ابتدأتا بالواو ثم الفاء لموصوف واحد، والصفة الثالثة التي ابتدأت بالواو ثم الصفتان الرابعة والخامسة اللتان ابتدأتا بالفاء لموصوف آخر، لأن الفاء تدل على الوصف والتعلق، أي أن مدخول الفاء مُرتب على مدخول الواو ومتناسب معه. بِنَاءً عَلَى ذَلِكَ، يُمكن أن يكون موصوف الوصفين الأولين غير موصوف الأوصاف الثلاثة الأخيرة. فإذا كانت الأوصاف الخمسة كلها للملائكة كان الـمعنى كما يلي: قَسَمٌ بالـملائكة التي تُرسل متتابعةً، لأداء الـمهام الـمُوكلة إليها أو تُرسل لأداء أعمال الـمعروف ضد الـمُنكر، حيث تذهب بسرعة كسرعة الريح وتنشر أجنحتها، أو تنشر رحمة الله وعذابه، أو تنشر صحائف أعمال بني آدم، أو تنشر الرزق وما أُمرت بنشره، ثم أقسم اللهُ بالـملائكة التي تفرق الحق عن الباطل والتي تُلقي الذكر أو الوحي أو العلم والحكمة، وعلى هذا النحو يُمكن توجيه الآيات إذا اعتبرناها صفاتٍ للأنبياء أو لآيات القرآن أو للإلهامات أو للدواعي الإلهية، وقس على هذا إن كانت

صفات للرياح، وسيأتي الكلام عن فوائد هذه الأقسام في سورة النازعات.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ۝١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ۝١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝١٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ۝٢٢ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٤﴾ [المرسلات: ٨-٢٤].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾ أن تُجمع الرسل لوقت مُعيَّن هو يوم القيامة لتشهد على أُممها وكيف تعاملت تلك الأُمم مع أنبيائها، وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ يوم الفصل في الخصومات والفصل بين الحق والباطل والقضاء بين العباد وتعيين الجزاء.

وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿قَرَارٖ مَّكِينٍ﴾ الرحم. وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى مُدَّة وضع الحمل. وجملة: ﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾ إذا قُرئت بتشديد الدال كان معناها: أننا حدَّدنا حجم الجنين وأعضاءه وجوارحه، وإذا قُرئت بتخفيف الدال كان معناها ما ذكرناه في ترجمة الآيات (أي قدرنا على خلقه فنِعم القادرون نحن).

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحۡيَآءٗ وَأَمۡوَٰتٗا ۝٢٦ وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا ۝٢٧ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٢٨ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٩ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ۝٣٣ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٤ هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ۝٣٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ۝٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ۝٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠﴾ [المرسلات: ٢٥-٥٠].

الفوائد: المَقْصود مِنْ: ﴿ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ﴾ ذلك الدخان الذي يتصاعد من الجحيم وينقسم إلى ثلاث شُعبٍ، شُعبةٌ فوق رؤوس المنافقين والكافرين، وشُعبةٌ في الطرف الأيمن وشُعبةٌ في الطرف الأيسر. وَالمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ أن كل واحدة من شرارات وشُعلات النار التي تُطلقها الجحيم هي بحجم القصر أو بحجم الجمل الأصفر.

وَالمُرَاد مِنْ: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ أنهم لا يتكلمون دون إذن إلا في موقف السؤال والجواب أما في المواقف الأخرى فلا.

والخطاب في جملة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ هو مِنْ قِبَل الله أو خزنة الجنَّة.

وكلمة ﴿وَيۡلٞ﴾ التي ترجمناها بمعنى ويح، تعني بئرًا في جهنم، وجاء في كتاب مجمع البحرين أن «ويل» وادٍ وبيداءٌ في جهنم لو رُميت فيها الجبال لذابت وصارت سائلاً يجري. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ أنه إن لم يُفِدْ القرآن الإنسان، فلا فائدة له من أي حديث بعد القرآن.

سورة النبأ

مكية وهي أربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ: ١-٥].

الفوائد: تدل كلمة ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ على وجود فريقين كل منهما يسأل الآخر وهذا بقرينة آيات التهديد التي قال تعالى فيها: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، مما يُبيِّن أن الـمُخالفين والـمشركين كانوا يسألون بعضهم بعضًا عن خبر عظيم ونبأٍ مهم. ما هو هذا النبأ العظيم؟ هل هو التوحيد أم نُبوة رسول الله ﷺ أم الـمعاد ويوم القيامة؟ يتبيَّن من الآيات التالية أن السؤال كان عن القيامة. وقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام في الصحيفة العلوية في دعاء يوم الاثنين: «**الْـحَمْدُ لِـلَّهِ الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ وَأَكْرَمَنِي بِالْإِيمَانِ وَبَصَّرَنِي فِي الدِّينِ وَشَرَّفَنِي بِالْيَقِينِ وَعَرَّفَنِي الْـحَقَّ الَّذِي عَنْهُ يُؤْفَكُونَ وَالنَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ**»(١).

يتبيَّن من هذا الدعاء أن ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ ليس عليًّا نفسه، بل هو نفسه كان مؤمنًا بالنبأ العظيم، فما أجهل من فسَّر الآية بأن الـمراد من النبأ العظيم عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولم يُفكر من وضع ذلك التفسير بأن هذه السورة نزلت في مكة ولم يكن بين أهل مكة أي اختلاف وتساؤل عن مقام ذلك الإمام الهمام عليه السلام كي يردَّ اللهُ عليهم ويُجيبهم عن تساؤلهم. وقد كتبنا رسالةً صغيرةً حول دعاء الندبة ذكرنا فيه مزيدًا من التوضيحات حول هذه النقطة، فلتُراجَعْ ثَمَّة.

١- الـمجلسيّ، **بحار الأنوار**، ج ٨٧/ ص ١٧١.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾ [النبأ: ٦-١٦].

الفوائد: استدلَّ اللهُ تعالى في هذه الآيات بإيجاده للموجودات على إثبات قدرته على إيجاد المعاد، هذا إن اعتبرنا أن ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ هو المعاد. وإذا اعتبرناه التوحيد كان الاستدلال بهذه الآيات على التوحيد صحيحًا أيضًا.

إحدى المُعجزات العلمية للقرآن إخباره أن كل شيء خُلق زوجًا ذكرًا وأنثى وقد خلق اللهُ الكائنات على هذا النحو إبقاءً للنسل وهذا دليلٌ على تدبير الخالق وحكمته وعلى انتفاء الصدفة.

كلمة «سُبَاتًا» تعني القطع أي قطع الإدراكات وتعطيلها واستراحة أجهزة الإنسان كي تتجدد قواه، ومن فوائد النوم أيضًا أن الانقطاع عن هذا العالَم بالنوم يُذكِّر الإنسان بالموت وبالذهاب من هذه الدُّنْيَا إلى عالَمٍ آخر، إضافةً إلى أن فيه دليلاً على إثبات الصانع كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الروم: ٢٣].

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أنه لا بدّ على الإنسان أن يسعى في تحصيل معيشته في النهار. وقد رُوِيَ عَنْ أَبِي عَمْرٍو الشَّيْبَانِيِّ قَالَ: «**رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ الله** عليه السلام **وَبِيَدِهِ مِسْحَاةٌ وَعَلَيْهِ إِزَارٌ غَلِيظٌ يَعْمَلُ فِي حَائِطٍ لَهُ وَالْعَرَقُ يَتَصَابُّ عَنْ ظَهْرِهِ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَعْطِنِي أَكْفِكَ. فَقَالَ لِي: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَتَأَذَّى الرَّجُلُ بِحَرِّ الشَّمْسِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ**»[1].

وذكروا في أحوال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضًا: «**كان سَيِّد المُرسلين يشتري الشيء إلى بيته بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله، فيقول: صاحب المتاع أحق بحمله**»[2].

١- الكُلَيْنِيّ، **الكافي**، ٥/ ٧٦.

٢- أبو حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، كتاب آداب العزلة، الفائدة السابعة، وقال الحافظ العراقي في تخريجه: «أخرجه **أبو يعلى** من حديث أبي هريرة **بسند ضعيف** في حمله السراويل الذي اشتراه».

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾ [النبأ: ١٧-٢٨].

الفوائد: بعد أن أثبت الحق تعالى قدرته بدأ ببيان يوم المعاد وأنه قادرٌ تمامًا على إيجاد المعاد وبيَّن المعاد طبقًا لعرف العرب وأهل الدُّنْيَا، ومن جملة ذلك قال: إنه يومٌ يُنفخ فيه في الصور، كما يفعل السلاطين والأمراء عندما يُريدون إحضار جندهم وحرسهم فينفخون بالبوق، أما كيفية الموجودات يوم القيامة وكيفية عالَم البرزخ وحقيقته فهي مجهولة لنا، وكل ما تمّ بيانه في القرآن فهو لأجل التمثيل وتقريب الأمر لأذهان العباد، وذلك لأن لغة أهل الأرض وُضعت لأداء معانٍ محدودة مأنوسة تتعلق في هذا العالَم الماديّ، وأمور العالَم الآخر عظيمة إلى درجة لا يُمكننا بيانها بالنسبة إلينا وشأن ذلك كشأن الذي يُريد صبّ ماء البحر الأحمر في إناء!

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [النبأ: ٢٩-٣٧].

الفوائد: في هذه الآيات يُبيِّن اللهُ تعالى عقاب المُجرمين وجزاءهم حسب عملهم، كما يُبيِّن لنا ثواب المُتقين وأنه سيكون ثوابًا مبنيًّا على الحساب كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً حِسَابًا﴾، فليس هناك ثوابٌ يُعطى جُزافًا دون حساب، وحتى فضل الله وعطاؤه -طبقًا لهذه الآيات- بِحِسَاب؛ فالذين يُسمُّون أنفسهم مسلمين ويعتقدون أنهم مهما عملوا من أعمال فإنهم بمُجرَّد قراءة بعض الأشعار والمشاركة في مراسم النياحة والرقص الجماعي والبكاء والعويل، سيُغيِّر اللهُ حسابهم وكتابهم بفضل تلك الأعمال التي نهى اللهُ عنها! ما أشدَّ جهلهم وغرورهم! إنهم يريدون أن يُبدِّلوا قانون الله بهذه البِدع.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾
ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: ٣٨-٤٠].

الفوائد: قال تعالى في الآية ٣٧: إنه لن يحقّ لأحدٍ من أهل السماوات والأرض أن يُكلِّم اللهَ يوم القيامة، ولذلك فلأجل أن يدفع اللهُ تعالى الغرور ولأجل أن لا يستطيع الرؤساء والسادة المتبوعون أن يقولوا للناس: إننا سنمثلكم في محكمة العدل الإلهية وسنُكلِّم الله كي يدفع عنكم العذاب والعقاب ويخدعوا الناس بهذا الكلام، قال تعالى: إن أرواح الصالحين العظام أو الروح الذي هو أعظم الملائكة والملائكة الذين سيصطفون جميعًا في صفِّ العبودية، كلهم سيلزمون الصمت ولن يكون لهم الحقّ في الكلام إلا من أَذِنَ اللهُ له ومن تكلَّم صوابًا مطابقًا لقانون العدالة الإلهية، وليس من المعلوم من الذي سيؤذن له بالكلام في ذلك المقام؛ فبِنَاءً عَلى ذَلِكَ، لا يخدعنَّكم أحد باسم الشفاعة والنصرة والوساطات يوم القيامة. وقد قال عليّ عليه السلام في الخطبة ١٨٨ من نهج البلاغة: «**فاجعلوا طاعة الله ... شفيعًا لدرك طلبتكم**». وقال في الخطبة ١٨٦: «**فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، .... فَلا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ**».

وقال في الصحيفة العلوية في دعاء اليوم الرابع عشر من الشهر: «**والشافع لهم ليس أحدٌ فوقك يحول دونهم**».

هذا رغم أننا مع امتلاكنا للآيات القرآنية الواضحة في هذا المجال لسنا بحاجة إلى نقل مثل هذه الروايات. في ذلك اليوم يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا ولم أحيَ، ولكن عددًا من الكذَّابين كتبوا أن الكافر يقول: يا ليتني كنت علويًّا أبا ترابيًّا!! إن هؤلاء لا يدرون أنه لا فرق في الحساب عند الله بين من هو علويّ النسب ومن ليس كذلك، بل المحاسبة تكون حسب قانون العدل الإلهيّ والثواب طبق العمل والحساب لا طبقًا لمن هو قرشيّ أو حبشي. أضف إلى ذلك أن هذه السورة نزلت في مكة ولم يكن حضرة عليّ عليه السلام قد كُنِّي بعد بكُنية أبي تراب، ولم تكن المذاهب

العلوية وغير العلوية قد اختُرعت بعد وكان الـمُشْرِكُون لا يؤمنون بالله ولا برسوله ﷺ ولا بالـمعاد فما بالك أن يؤمنوا بمذهب علوي.

سورة النازعات

مكية وهي ست أربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾ [النازعات: ١-٥].

الفوائد: معظم الأقسام التي جاءت في القرآن أقسم اللهُ فيها بنوع من أنواع الـمخلوقات مع أنه لو أقسم عباد الله بغير الله لما كان لذلك أي أثر، وشرعًا لا يعدُّ القسم بغير الله قسمًا.

والقَسَمُ نوعٌ من الإشهاد، ولا شاهد حاضر وناظر في كل مكان إلا الله.

أما اللهُ تعالى فيُمكنه أن يُقسم بأحد مخلوقاته، لأن قسم العباد يكون لأجل أن يُصدِّق الطرف الـمُقابل كلام الـمُقْسِم وهم يحتاجون للقسم لإثبات صحة أمر ما، أما الحق تعالى فليس بحاجة إلى إثبات أمر أو أن يُصدِّق العباد كلامه، لأن الـمؤمن يقبل كلام الله دون قسم، والكافر لن يقبل كلام الله ولو أقسم مئة قسم عليه، فما فائدة أقسام القرآن إذن؟

يُمكن أن نقول: إن للأقسام في القرآن عددًا من الفوائد نُجملها فيما يلي:

الأول: اهتمام العباد والـمؤمنين بالـموضوع الـمُقْسَم عليه والـمُقْسَم به، كي لا يمرُّوا على هذا الـموضوع وهذه الأشياء مرور الكرام بل ليتأملوا فيها ويُفكِّروا فيها.

الثاني: لفت نظر الناس إلى منافع ما يُقسِم اللهُ به، كالليل والنهار والتين والزيتون والشمس والقمر والأشياء الأخرى التي أقسم بها ربُّ العزَّة في القرآن.

الثالث: لإثبات واقعية ما أقسم الله به: كالـملائكة أو يوم القيامة أو الروح التي أقسم اللهُ

بها، فالقسم بهذه الأمور يدل على وجودها الواقعي خاصةً في مُواجهة من يُنكرها.

الرابع: ردّ الأفكار الخرافية، كشأن العرب الذين كانوا يعتبرون ساعة العصر ساعة نحس فأقسم اللهُ بالعصر ردًّا لخرافاتهم.

الخامس: تعظيم الناس، كما في هذه السورة إذا اعتبرنا أن الأوصاف التي جاءت في آياتها الأولى تتعلق بالـمُجاهدين، فأراد اللهُ أن يهتم الناس بجهاد الـمُجاهدين.

السادس: من فوائد القسم إشهاد الـمُقْسَمُ به أي إشهاد ما أقسم اللهُ به لإثبات موضوع ما. مثلاً في قسم ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ أقسم اللهُ بالزمان على ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ والزمان شاهدٌ على خُسران الإنسان كما أن العصر والزمان شاهدان على صدق كلام القرآن، والتاريخ يشهد أن انتصار كل قوم كان بالإيمان والعمل. أو أن الله أقسم بالقلم وما يسطره القلم على مقام وشخصية رسوله ﷺ، وما كتبه أهل التاريخ شاهدٌ على مقام النبيّ وعظمة خُلقه، وفي سورة النازعات مشقة الـمُجاهدين وجهادهم وسعيهم شاهدٌ على صدق كلام القرآن وشاهد على تقدّم ورُقيّ كل قوم، وهكذا....

السابع: إن القسم بالـمخلوقات التي هي مظهر قدرة الله وكاشفة عن علم الله وتدبيره وحكمته هو قسمٌ بالله نفسه في الواقع.

ومن الـممكن أن تكون الأوصاف الخمسة التي جاءت في الآيات الأولى من هذه السورة متعلقة بالـملائكة وأن الله أراد أن يُعرِّف الناس على عوالـم الغيب وعلى الـموجودات الغيبية التي تُنفِّذ ما يأمرها الله به. ومن الـممكن أن تكون هذه الأوصاف للنجوم أو لأرواح الأَنْبياء الـمُقدّسة، ولكن كما ذكرنا فإن الذي يتناسب مع السورة أكثر هو أن يكون الـموصوفون بهذه الآيات هم الـمُجاهدون أو الـملائكة.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ٦-١٤].

الفوائد: ﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾ تعني الزلزلة وتأتي أيضًا بمعنى الصيحة العظيمة، وقد رأينا أن الـمعنى

الثاني أنسب. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ﴾ أن الـمُشْرِكين كانوا يقولون دائمًا: هل سنعود إلى حياة أخرى؟ ولكن جملة: ﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ تدلُّ على أنهم قالوا مثل هذا الكلام فعلاً، ولكنهم قالوا: إن الحياة الآخرة خاسرةٌ، وهي خاسرة بالنسبة إلى الـمُنكرين طبعًا.

يقول تعالى [ردًّا على منكري الـمعاد]: سهلٌ علينا إعادتهم جميعًا بصيحة واحدة.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٦ ٱذْهَبْ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝١٧ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ۝١٩
فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ
أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن
يَخْشَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النازعات: ١٥-٢٦].

الفوائد: هذه الآيات لتسلية رسول الله ﷺ وعبرةٌ للآخرين، أمَّا تسلية الرسول فلأن الله تعالى يقول له فيها: لست أقل من موسى ومخالفوك والـمشركون ليسوا أقل أهميةً من فِرعون، فاطمئن لأننا سوف نردّ عنك أعداءك ومخالفيك، وأما كونها عبرةً للآخرين فلأن تاريخ الـماضين عبرةٌ للآتين في الـمستقبل.

العـــالَمَ كلـــه حكمـــة وعـــبرة ولكـن حظنـا منـه الجهـل والغفلـة

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۝٢٧ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝٢٨ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ
ضُحَىٰهَا ۝٢٩ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلْجِبَالَ
أَرْسَىٰهَا ۝٣٢ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٣﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣].

الفوائد: بيَّن الله تعالى في هذه الآيات مظاهر قدرته ليستدل بها على إثبات الـمعاد وقدرته عليه، فبيَّن كيف خلق السماوات والأرض بنظم وتدبير وسخَّرها لصالح الإنسان ورتَّبها، أفليس من الـمؤسف أيها الإنسان أنك تطغى وتعصي؟

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ التي تعني دحرجها وأدراها حول الشمس، حركة الأرض

بعد وجود الشمس، وهذا الذي يتناسب مع الآية التي جاءت بعدها أي قوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾، ولكن الـمُترجمين ترجموا كلمة ﴿دَحَىٰهَآ﴾ على معنى بسطها مع أن دحرجة الأرض وتدويرها معجزة من الـمعجزات العلمية للقرآن.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٤-٤١].

الفوائد: اعتبر الحق تعالى القيامة مصيبةً كبرى فعلينا أن نفهم كم من الشدائد والأهوال ستكون يوم القيامة حتى عبَّر الله عنه بهذا التعبير. وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أن كل من لم يُرجِّح الدُّنْيَا على الآخرة وصرف عمره لأجل الآخرة لن يذهب إلى الجحيم.

وأما كلمة الـمقام في جملة: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ فاعلم أن لِـلَّهِ مقام العظمة والجلال فلا يتنزَّل عنه ولا يرتقي لأن صفاته لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، فبعض الأدعية كدعاء الرجبية الخامس الذي ذكر مقامات لِـلَّهِ ليس صحيحًا لأنه اعتبر الله ذا مقامات كالعبد، وقد نسبوا لِـلَّهِ مئات الخرافات في هذه الأدعية!!

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢-٤٦].

الفوائد: كان الكفار يسألون أسئلةً لا محلّ لها، من ذلك سؤالهم عن وقت وقوع القيامة، ويبدو أن رسول الله ﷺ كان يطلب البيان من الله حول هذا الـموضوع مرارًا، لذا قال تعالى مُجيبًا عن ذلك: إن العلم بموعد الساعة خاص بي وحدي، فما الذي يُفيدك ذِكر ذلك أي السؤال عنه، أو بأي حال أنت من ذكر الساعة والخوف منها. وعلى كل حال، يُمكننا أن نفهم عبارة: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ على عدّة وجوه.

ولم يَذكُر الله تعالى في جملة: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا﴾ مكان اللبث، هل هو في الدُّنْيَا أم في عالَمَ البرزخ، ويُمكن القول: إن المقصود اللبث في عالَمَ الدُّنْيَا، يعني أنهم لما رأوا أوضاع القيامة بدت لهم الدُّنْيَا وما لبثوا فيها قصيرةً جدًّا. ومن الممكن أن نقول: إن المقصود هو اللبث في عالَمَ البرزخ أي أنهم لما رحلوا عن الدُّنْيَا صاروا في حالةٍ من الوعي الضعيف أو فقدان الوعي بحيث أنهم لم يشعروا بطول مدّة لبثهم في عالَمَ البرزخ وتخيَّلوا أن تلك المدَّة لم تعدُ ليلةً أو نهارًا، وهذا المعنى الثاني يتطابق مع آية بعث عُزير النبي، وما أجاب به، كما يتفق مع بعض آيات القرآن الأخرى، ويُوافق أيضًا ما أجاب به بعض أصحاب الكهف عن سؤال بعضهم وهذا أصحّ في نظرنا.

سورة عبس

مكية وهي اثنتان وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١﴾ [عبس: ١-١١].

الفوائد: في هذه الآية عتابٌ لطيفٌ من الله تعالى لرسوله ﷺ لأنه تعالى لم يقل له: عبستَ بل قال: ﴿عَبَسَ﴾ أي نسب العبوس لغائبٍ، ثُمَّ وجَّه العتاب شيئًا فشيئًا إلى الـمُخَاطَب فقال: لماذا أعرضت عن الأعمى وتصديتَ لمن ليس بطالب هداية.

وقد نزلت هذه الآية عندما كان رسول الله ﷺ يُكلِّم جمعًا من أشراف قريش ويدعوهم إلى الإسلام ويُنذرهم، وإذا بعبد الله بن أمِّ مكتوم الذي كان أعمى يدخل إلى الـمجلس دون أن ينتبه إلى الأشخاص الذين كانوا حاضرين مع رسول الله ﷺ ويقول: **يا رسول الله! علِّمني مما علَّمك الله**. فسكت رسول الله ﷺ ولم يُجبه، فكرَّر ابن أمِّ مكتوم نداءه، عندها عبس رسول الله ﷺ وظهرت الكراهة في وجهه لقطعه كلامه ولم يرغب أن يقول أولئك الصناديد: إنما أتباع محمدٍ العميان والعبيد، فأعرض عن ابن أمِّ مكتوم وأقبل على القوم الذين كان يُكلِّمهم، فأنزل الحق تعالى هذه الآيات على رسوله ﷺ ليؤدِّبه بها.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أن رسول الله ﷺ لم يكن لديه علمٌ بأحوال الناس

ولا كان مُطَّلعًا على ما في صدورهم، ولم يكن يعلم كل شيء. وكان عبد الله ابن أمِّ مكتوم رغم أنه كان كفيف البصر، مؤذِّنَ رسول الله ﷺ. وكان أخو عليّ بن أبي طالب عليه السلام: عقيلٌ قد عمي في آخر عمره ورحل عن الدُّنْيَا وهو كفيف البصر، ولم يستطع الإمام عليّ أن يشفيه، وكل هذا يُبيِّن أن الأنبياء والأولياء لم يكونوا قادرين على كل شيء وأن الشفاء والمعجزات ليست بأيديهم وأنه لا قدرة لهم على الأمور التكوينية، لذا نقرأ في الأدعية: «**يا من لا يشفي المرضى إلا هو**».

وعلى كل حال، إن عتاب الله لرسوله ﷺ في هذه السورة وفي غيرها من السور موجبٌ لفخره والمزيد من عُلوّ مقامه وهو تأديبٌ ربَّانيٌّ له، وقد وردت في القرآن الكريم كثير من مثل آيات العتاب هذه، كقوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١]، وقوله سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٣]. وفوائد هذه المُعاتبات كثيرة:

١- أن الله تعالى جعل رسوله ﷺ تحت مراقبته وإشرافه ولم يَكِلْهُ إلى نفسه، وهذا دليلٌ على لطف الله به، لأنه تعالى يقول: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وكان رسولُ الله ﷺ يدعو ربَّه قائلاً: « **اللهم لا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَدًا**»[1]. وقال عليٌّ عليه السلام: «**إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ**»[2].

٢- هذه المُعاتبات كانت تؤدي إلى انتباه رسول الله ﷺ لنفسه ومراقبته لأعماله بشدة وأن يعتبر أن وضعه مختلف تمامًا عن الآخرين.

٣- تؤدي هذه المُعاتبات إلى أن لا يغلو الناس في حقّ رسول الله ﷺ لأن من يُعاتبه الله ليس حرًّا في فعل أي شيء، وَمِنْ ثَمَّ فليست له صفات إلهيَّة.

٤- هذا الأمر مُؤَثِّر في تربية المسلمين لأنه عندما يُعاتب اللهُ رسولَه ﷺ على أمر فإن الآخرين يأخذون الدرسَ من ذلك ويتعلَّمون ما عليهم فعله.

٥- بيان موارد العتاب وأنها كلها من الصغائر حتى يعلم الناس أنه ﷺ لم يرتكب أي كبيرة.

١- أخرج نحوه النسائي في **السنن الكبرى** (١٠٤٠٥)، وأبو داود في **السنن** (٥٠٩٠)، وأحمد في **المسند**، ٥/ ٤٢، كلهم عن أبي بكرة رفعه.

٢- **نهج البلاغة**، ص ٥٩.

٦- إن هذه الـمُعاتبات دليل على أن القرآن ليس كلام محمد ﷺ بل كلام ربِّه ولذلك أدرك كثير من العقلاء بسبب هذه الـمُعاتبات أن القرآن كلام الله فآمنوا به.

﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٢-١٦].

الفوائد: تتعلَّق هذه الآيات بعظمة القرآن، وبعد أن ذكَّر اللهُ تعالى رسولَه ﷺ في جملة: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ﴾ بأن لا يفعل ما فعله مرَّةً ثانية أي لا يُعرض عن الفقراء وأصحاب القلوب الطاهرة لأجل بضعة نفر من الأغنياء الذين لا يعرفون الحقّ والـمغرورين وطُلَّاب الجاه والحقراء الـمُلَوَّثين بالآثام، أضاف أن هذا القرآن إنما هو تذكرة لما في روح الإنسان وفي فطرته، والتي غفل عنها الإنسان بسبب غفلته، وذكَّره الله بأن من شاء تذكَّر ومن لم يشأ التذكّر فهذا شأنه.

وَالْـمَقْصُود مِنْ: ﴿صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾ و﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾ و﴿سَفَرَةٖ﴾ و﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ كتبة الوحي من أصحاب رسول الله ﷺ الذين كانوا يكتبون له تلك الأمور الـمُطَهَّرة في الصحف، وهذا إجلالٌ وإكرامٌ كبيرٌ لهم. لكن كثيرًا من الـمُفسِّرين قالوا: إن الـمقصود بهذه الصفات الـملائكة الذين كانوا يكتبون هذه الآيات في صحائف من نور. ولكن كلام الـمُفسِّرين ليس صحيحًا في نظرنا لأن الـمُخاطَبين بالقرآن وقرَّاءَه لم يكونوا يعلمون كيفية صحائف النور والـملائكة، فلم يكن في هذا البيان من فائدة لهم، أما لو كان الـمقصود من الكَتَبَة أصحاب النبيّ ﷺ فإن في ذلك ترغيبًا وحثًّا للآخرين على كتابة القرآن وتشجيعًا للكتبة الذين كانوا يكتبونه في ذلك الوقت.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [عبس: ١٧-٢٣].

الفوائد: عندما تريد العرب أن تلعن شخصًا وتدعو عليه بالهلاك تقول: «**قُتِلَ فلان**»، ورغم

أنه لا معنى بالنسبة إلى الله في أن يدعو على شخص أو يتعجَّب منه، إلا أن هذا التعبير يُقصد به وقوع عذاب الله على من استحق اللعن من الله، والله تكلَّم في القرآن بلغة العرب الـمُتعارف عليها بينهم لذلك قال: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾.

ويُمكن أن تكون جملة: ﴿مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ استفهامية كما ترجمناها، وقد تكون للتعجب.

وفي قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ فقد حار العلماء جميعهم في تلك الذرات الصغيرة جدًّا الكائنة في ماء الـمنيّ والتي لا تُرى بالعين الـمُجَرَّدة والتي تكون على شكل ضفدع حديث الولادة أو على شكل دودة العلق الصغيرة وتُسَمَّى الحيوان الـمنوي، أما ذرات ماء الـمرأة فهي مُدوَّرة وتُسَمَّى البويضة، وتركض الحيوانات الـمنوية الذكرية نحو البويضة وتلتف حولها كالعاشق الولهان إلى أن يدخل أحد تلك الحيوانات الـمنوية أو اثنان منها إلى داخل البويضة وتصبح البويضة مخصَّبة وينشأ من اجتماع الحيوان الـمنوي والبويضة: الخلية التي تشكل نواةَ تَكَوُّنِ الإنسان، فيُنَمِّي اللهُ تعالى هذه الخلية [عن طريق انقسامها إلى خلايا جديدة وانقسام كل خلية إلى خلايا وهكذا] ويقدِّر للجنين الأعضاء والجوارح بنحو دقيق وأحجام محدَّدة بدقَّة، ويستودع فيه صفات الآباء والأجداد الجسمية والنفسية. **جلّ الخالق سبحانه وتعالى.**

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

الفوائد: إحدى الأوامر الإلهية التي غفل عنها العباد ولم يؤدوها كما يجب عليهم: التأمل والتفكير في الغذاء الذي يتناولونه سواءً كان غذاء البدن كالحنطة والأرز والعنب والخضروات وأنواع اللحوم، أو غذاء الروح كالأمور التي يتعلَّمها الإنسان، إذ إن على الإنسان أن يُدقق النظر في هذا الغذاء كي يتأكد أنه لا يتغذى روحيًا بالخرافات والأوهام بدلاً من العلم، ولا بالأباطيل والبدع بدلاً من حقائق الدين، ولو كان الـمسلمون قد عملوا بهذه الأوامر لتعلَّموا علم النبات وعلم الجيولوجيا وعلم الأجنَّة وسائر العلوم وابتعدوا بذلك عن الخرافات.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٣-٤٢].

الفوائد: الْـمَقْصُود مِنْ فرار الإنسان من أقربائه عدم رغبته في أن يتحمل وزر عمله تجاههم، فالأخ يقول لأخيه: لماذا لم تواسني؟ والزوجة تقول لزوجها: لماذا أطعمتني مالاً حرامًا؟ والأبناء يقولون لأبيهم: لماذا لم تُربّنا تربيةً صالحةً ولماذا لم تُعلّمنا الدين ومعرفة الله؟ إضافةً إلى أن الإنسان في ذلك الـموقف يكون مشغولاً وفي حالة من الهول لا تترك له مجالاً للتفكير في الآخرين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

اللهم اجعلنا ممن وجوههم مُسفرة ضاحكة مُستبشرة.

تمَّ الفراغ من ترجمة سورة عبس بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني ١٣٨٧ هـ ق وله الحمد.

سورة التكوير

مكية وهي تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ١٤﴾ [التكوير: ١-١٤].

الفوائد: بيَّن الحقّ تعالى علامات الساعة [الكبرى] تخويفًا للبشر، وإحدى هذه العلامات: ﴿وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ﴾، والعِشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها، ولما كانت هذه الناقة من أنفس المال عند العرب، بيَّن اللهُ تعالى أن يوم القيامة هو يومٌ يتخلى فيه الإنسان حتى عن أفضل ماله ويُهمله ويتركه ولا يهتمّ به.

واختلف المُفسِّرون في المقصود من عبارة: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ ولكننا نرى أن القول الصحيح هو: إنه سيُجْمَعُ في ذلك اليوم الصالح مع الصالح، والطالح مع الطالح، كما قال تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ٧﴾ [الواقعة: ٧] ولما كان والدُ الموءُودة ووالدتُها حقيرين جدًّا لم يذكرهما الله بل خاطب البنت ذاتها مُتسائلاً: لماذا وَأَدُوكِ أي دفنوك وأنت حية؟

كان من عادة العرب أن يدفنوا بناتهم اللاتي وُلدن حديثًا وهنَّ أحياء، خوفًا من الفقر أو

خوفًا من بقاء البنت في البيت وعنوستها أو خوفًا من وقوعها أسيرةً لدى العدو في الحرب فتُصبح أَمَةً وعارًا على أهلها. جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني وأدت ثمان [1] بنات لي في الجاهلية، فماذا أفعل الآن؟ [قال: فأعتق عن كلِّ واحدة منهم رقبة] ... الحديث [2]. وبعض من لم يكن يُقدم على قتل ابنته فورًا كان يحتفظ بها بكل ذلّ وعار، [وكما روى الثعلبي النيسابوري في تفسيره فقال:] «كان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحيها ألبسها جبّةً من صوف أو شعر ترعى الإبل والغنم في البادية، وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية، قال أبوها لأمها طيّبيها وزيّنيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئرًا في الصحراء، فإذا بلغ بها البئر قال لها: انظري إلى هذا البئر (فإذا انحنت لتنظر فيه) دفعها من خلفها في البئر ثم أخذ يهيل على رأسها التراب (والطفلة البريئة تبكي وتئن وتستغيث) حتى يستوي البئر بالأرض!» [3].

لكن البشر الـمُتَحَضِّرين اليوم أصبحوا أسوأ من أولئك الناس، لأنهم أصبحوا يقتلون البنات والبنين كليهما وذلك بوسائل مختلفة مثل عمليات الإجهاض وتعمُّد إسقاط الجنين، وخنق الوليد وقتله خشية الفقر أو خشية الفضيحة [إن كان قد جاء عن طريق السفاح أو الزنا] وأمثال ذلك.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ
١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١
وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ

١- الذي ورد في نسخة الـمؤلف «سبع بنات» ولكن الـمذكور في جميع الـمصادر هو «**ثمان بنات**» فآثرت أن أذكر ما جاء في الـمصادر.

٢- الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ١٠/ ١٣٩. وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٨/ ٣٣٥، والسيوطي، **الدر الـمنثور**، ٨/ ٤٣١، والشوكاني، **فتح القدير**، ٥/ ٣٩٣، ورواه معظم الـمفسرين.

٣- الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ١٠/ ١٣٩.

﴿٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير:١٥-٢٩].

الفوائد: اعتبر الـمُفسِّرون حرف «لَا» في جملة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ زائدةً، لكننا اعتبرناها «لَا» النافية وأن الـمراد نفي القسم، وإن قلنا: إنها ليست نافية وأن الجملة جملة قسم كان ذلك على النحو الذي شرحناه في تعليقنا على الآية ٧٥ من سورة الواقعة، أما إذا قلنا إنها «لَا» النافية كان الـمعنى أنه لشدة وضوح الأمر ولكون القرآن مفهومًا وواضحًا بالنسبة إلى كل شخص فلا حاجة لأن نُقسم لإثباته.

وَالْـمَقْصُود مِنْ: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ حضرة جبريل عليه السلام الـمُطاع في السماوات. وقُرِئَتْ جملة: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بالضاد وقُرِئَتْ بالظاء، ومعناها أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس مُتَّهمًا على الوحي، فهو لا يُنْقِصُ شيئًا من الوحي من عند نفسه ولا يزيد فيه.

وَالْـمَقْصُود مِنْ جُمْلَةِ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أن مشيئتكم موقوفة على مشيئة الله ولا بُدّ أن تطلبوا منه التوفيق للهداية.

سورة الانفطار

مكية وهي تسع وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ٥﴾ [الانفطار: ١-٥].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾ على الزجر عن المعصية والترغيب بالطاعة، لأن ما قام به الإنسان هو ما قدمه وما تركه هو ما أخره، فإن عمل الكبائر وترك الصالحات كان مصيره إلى الجحيم. والمعنى الآخر للجملة: ﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾ يعني **ما أدخله الإنسان في الوجود** و﴿مَّا وَأَخَّرَتۡ﴾ يعني **ما أخَّر الإنسانُ من سُنَّةٍ يُسْتَنُّ بها من بعده،** أي أنه إذا ترك الإنسان سنَّةً وعمل بها الناس بعده سواءً كانت خيرًا أم شرًا فسيعلم بها يوم القيامة. والمعنى الثالث للجملة: **ما قدمت من الفرائض وما أخرَّت** أي ما ضيَّعت. والمعنى الرابع: **ما قدَّمت في أول العمر وما أخرَّت في آخر العمر.**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾ [التكوير: ٦-٩].

الفوائد: معنى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أي من الذي أمَّنك من عقاب الله؟ وما الذي جعلك تنسى ربَّك الكريم الذي أكرم خلقك؟ ولو شاء لجعلك خنزيرًا أو قردًا أو حيوانًا حقيرًا، لكنَّهُ أكرمك فأوجدك من العدم ووهبك صورةً جميلةً وأعضاء وجوارح رشيقة، فما الذي دعاك إلى عصيانه؟

فإن قيل: لماذا استخدم الله لفظ ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ هنا مع أن المعنى يقتضي لفظ القهار أو شديد العقاب! ولفظ الجود والكرم قد يبعث على غرور العبد؟

والجواب: أنه تعالى أتى بلفظ ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ لمزيد من التهديد أي أنني لم أُعجِّل عقوبتك أيها الإنسان لكرمي، وأخرتُ مُجازاتك فأدَّى ذلك إلى جرأتك، وستفهم قريبًا نتيجة هذا الغرور الذي لا محلّ له. والجواب الآخر: أنني كريم أنتقم للمظلوم من الظالم لأن هذا مُقتضى كرمي، فالآن وقد قمت أيها الإنسان بمثل هذا الظلم كالشرك بالله فانتبه لنفسك. والجواب الآخر: إن كثرة كرمي يجب أن تدعوك للجد والاجتهاد في الطاعة وأن تستحي من الغرور والكسل والغفلة، والجواب الآخر: أنه بما أنني كريم فسارع إلى التوبة لأنني أقبل توبتك. ولا يخفى أن كرم الله ليس كرمًا دون حساب بل مبنيٌّ على الحكمة، فلا يجوز أن يبعث هذا الكَرَم على التحلل من القيود ولو كان الكرم بدون حكمة لعُدَّ تبذيرًا.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [التكوير: ١٠-١٩].

الفوائد: الْمَقْصُود مِنْ جُمْلَةِ: ﴿كِرَامًا كَـٰتِبِينَ﴾ الملائكة الذين يُراقبون كل فردٍ فردٍ من البشر وهم مأمورون بكتابة أعماله وتصرفاته. وكلمة ﴿كِرَامًا﴾ تفيد أنهم ليسوا ممن يأخذ الرشوة ولا من الجاهلين، فهم لا يُقْدِمون على كتابة شيء دون علم.

وفي جملة: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ تهديدٌ شديدٌ بأنه لا يُمكن الفرار من الجحيم.

حُكِيَ أن سليمان بن عبد الملك مرَّ بالمدينة وهو يريد مكة، فقال لأبي حازم (أحد علماء المدينة): كيف القدوم على الله غدًا؟ فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم من سفره على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه! [1]

١- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣١/ ٨٦.

سورة الـمطففين

مكية وهي ست وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [الـمطففين: ١-٦].

الفوائد: معنى التطفيف لغةً الزيادة أو الإنقاص بمقدار قليل، وَمِنْ ثَمَّ فالـمُطفِّف هو من يُنقص من كل شيء أو كل عمل أو يصنع شيئًا ناقصًا غير تام ولا يختص ذلك بالـمعاملات الـمالية، فينطبق ذلك على الأجير الذي لا يعمل بقدر أجرته، وعلى الـموظف الذي لا يخدم الناس طبقًا لواجبه، وعلى الـمهندس الذي يُنقص في البناء الذي يقوم به، والخياط يُخيط بشكل ناقص، والعابد يُنقِص من العبادة الواجبة وهكذا. والـميزان أعمّ من الـميزان الـمعروف ذي الكفتين إذْ يُطلق على كل ما يوزن ويُقاس به.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ ١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧﴾ [الـمطففين: ٧-١٧].

الفوائد: كلمة ﴿سِجِّينٖ﴾ مشتقة من مادة سِجْن الذي هو الحبس، وتدل على سجن شديد في

الأرض السفلى. وكلمة ﴿عِلِّيِّينَ﴾ مشتقة من مادة العلو والارتفاع وتدل على زيادة العلو لأنها صيغة مبالغة.

وعلى كل حال، فإن الآية تدل أن صحيفة أعمال الفجار في ﴿سِجِّينٍ﴾، وصحيفة أعمال الأبرار في ﴿عِلِّيِّينَ﴾ كما سيأتي لاحقًا، وبعد أن اختُرعت أجهزة التسجيل والتلفاز وأصبحت تفاصيل أعمال كل إنسان وأقواله تُسجَّل في الدُّنْيَا وتُخزَّن (في الأرشيف) فلا مجال للشك في قدرة الله على تسجيل أعمال العباد.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢١ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ۝٢٧ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ١٨-٢٨].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ على أمرين: **الأول**: أهمية ﴿عِلِّيِّينَ﴾ وعظمتها، **والثاني**: أن رسول الله ﷺ لم يكن يدري ما ﴿عِلِّيِّينَ﴾ لذلك قال تعالى له: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾؟؟

واعلم أن عيون الجنة وينابيعها ومشروباتها عدة أنواع: **الأول**: الكافور لأنه بارد وعذب وطيب الرائحة. **الثاني**: السلسبيل الذي ينبع من تحت العرش ويجري في الشوارع والقصور. **الثالث**: التسنيم الخاص بالمُقَرَّبين وهو أفضل أنواع المشروبات. **الرابع**: شراب الزنجبيل الذي منشؤه من أمام العرش. **الخامس**: الرحيق، الذي قال رسول الله ﷺ أن من ترك خمر الدُّنْيَا سقاه الله من رحيق الجنة[1]. **السادس**: الكوثر وهو أبيض من اللبن وأحلى من العسل.

١- يشير إلى الحديث الذي رواه ابن بابويه في «من لا يحضره الفقيه»، (٤/ ٣٥٣) وفيه: «**مَنْ تَرَكَ الْخَمْرَ ... سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ**»، وما رواه الكُلَيْني في فروع الكافي (٦/ ٣٩٧) عن الإمام الصادق عليه السلام ونصُّ الشاهد منهُ: «... **وَمَنْ تَرَكَ الْمُسْكِرَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ وَسَقَيْتُهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ** ...». ورواه أيضًا في (٦/ ٤٠٤ و٤٣٠).

وأنهار الجنَّة متعدِّدة، اسم أحدها نهر اللبن والآخر العسل الـمصفَّى والآخر الخمر[١]. **اللهم ارزُقْنا.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ۝٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾ [الـمطففين: ٢٩-٣٦].

الفوائد: إحدى الصفات الـمذمومة لأهل النفاق والكفر سعيهم على الدوام إلى السخرية من الآخرين وإلى ذمّ الـمؤمنين وثَلْبِهِم واعتبارهم جميعًا من الضالين، مع أن الـمنافقين والكفار هم أنفسهم لا يميزون بين الحق والباطل! كما بيَّنَّا مقدارًا من الخرافات الدينية للمنافقين والـمشركين.

كان أحد أولئك الـمشركين يقول لنا: يا عديم الدين! فقلتُ له: ما هو الدين عندك، بيِّنْهُ لي؟ ففكر قليلاً، وتبيَّن أنه لا يعلم ما هو الدين! إن هؤلاء يضحكون من أهل الإيمان، فاعتبر الله إثمهم كبيرًا وسوف يجازَوْنَ عليه يوم القيامة كما ذكرت الآية، أي أن الـمؤمنين سوف يضحكون منهم.

وَتدلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ أنهم كانوا يُكَفِّرون الـمؤمنين ويعتبرونهم ضالين، ولذا قال رسول الله ﷺ: «**يَدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ رُءُوسِ الْمُكَفِّرِينَ تُرَفْرِفُ بِالرَّحْمَةِ**»[٢].

تمَّت ترجمة سورة **الـمطففين وله الحمد.**

١- ورد ذكر هذه الأنهار في الآية ١٥ من سورة محمد (أو القتال).

٢- الحر العاملي، **وسائل الشيعة**، ١٦/ ٣٠٨.

سورة الانشقاق

مكية وهي خمس وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا
فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا
فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: ١-٦].

الفوائد: رُوِيَ عَنْ عليٍّ عليه السلام أن المقصود من انشقاق السماء انفصالها عن المجرَّة. ومعنى ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾: أي سمعت وأطاعت أمر ربِّها في الانشقاق وَحُقَّ لَهَا أن تأذن بالانقياد لأمر ربها الذي خلقها وتطيع له.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾ أن الأرض تُبْسَط وتُمَدَّد وتُوَسَّع كي تسع فيها الأولون والآخرون.

وقيل: إن المُخاطَبَ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: بل المُخاطَبَ هو أُبَيّ بن خلف الذي كان يسعى في تحصيل الدنيا. والظاهر أن المُخاطَبَ هو مطلق الإنسان، بدليل التقسيم الآتي بعد ذلك إلى أصحاب اليمين وغيرهم.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ
أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ١١
وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ

كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق: ٧-١٥].

الفوائد: الحساب اليسير والسهل هو ما بيَّنه رسول الله ﷺ حين قال: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**». والحديث روته عائشة فقالت: «**سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْ سيِّئاته، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ**»[1].

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ أن المسيء يُعطى كتابه من وراء ظهره بيده الشمال. ويمكن أن نقول: إن بعض المسيئين يُعْطَون كتابهم من وراء ظهورهم، وبعضهم يُعْطَون كتابهم بشمائلهم. نعوذ بالله.

والمقصود من جملة ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ أن قلبه كان مسرورًا بالدنيا فرحًا بها، وأنه كان من المتنعِّمين.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾ [الانشقاق: ١٧-٢٥].

الفوائد: المقصود من جملة ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ ما يجتمع في الليل من ظهور الكواكب والنجوم وخروج الحشرات، أو المقصود ما يجتمع للإنسان ببركة الليل من اجتماع الحواس والعبادة والراحة وأمثالها.

وذكروا عدة وجوه في معنى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ منها انتقال الإنسان في الحالات الدنيوية من النطفة إلى الشيخوخة، أو انتقاله في الحالات الأخروية وما في القيامة من أهوال

١- أخرجه أحمد في **المسند**، ٦/ ٤٨، ورويت الجملة الأخيرة منه في: **صحيح البخاري** (٤٦٥٥) و**صحيح مسلم** (٢٨٧٦) و**سنن النسائي الكبرى** (١١٦١٨) و(١١٦١٩). و**سنن أبي داود** (٣٠٩٣) و**سنن الترمذي** (٣٣٣٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومواقف وعقبات حتى يصل إلى الجنة أو النار. وَرُوِيَ عَنْ رسول الله ﷺ قوله: «**لتركبن سُنن من كان قبلكم**»[١] أي لتتبعن سنن الأمم من قبلكم وتتبعون بدعهم وطُرُقَهم النفسية.

سورة البروج

مكية وهي اثنتان وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج: ١-١٠].

الفوائد: اختلفوا في المُراد من الشاهد والمشهود، والصحيح في نظرنا أن الشاهد هو الله والمشهود هو العباد الظالمون والمظلومون، أو المشهود هو التوحيد، ويتناسب هذا المعنى مع قصة أصحاب الأخدود التي ذُكِرَت في السورة.

وَ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾:عبارة عن حفرة مستطيلة أو شق عظيم يحفرونه في الأرض (كالخندق) ويجعلون النيران تشتعل فيه، ثم يقذفون فيه كل من عارض هذا الأمير أو خالف عقيدة ذاك الأمير، وكانوا، لشدة قسوة قلوبهم، يجلسون حول الأخدود ويتفرجون على احتراق ذلك

١- أخرجه الترمذي في السنن (٢١٨٠)، عن أبي واقد الليثي وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد في المسند، ٥/ ٢١٨، والحاكم في المستدرك، ٤/ ٥٠٢، رقم (٨٤٠٤)، وقال: صحيح.

الـمظلوم. وَيَتَبَيَّنُ من التواريخ والروايات أن مثل هذا الفعل الشنيع تَعَدَّد وقوعه في أكثر من بلد، لاسيما في العراق والشام وإيران واليمن، وَرُوِيَ عَنْ علي عليه السلام أن أحد ملوك الـمجوس حلَّلَ الخمر للناس وتناولها فسكر فوقع على أخته، فلما صحا ندم وطلب الـمخرج (من الفضيحة وسوء السمعة) فقيل له: الـمخرج أن تخطب الناس فتقول: إن الله تعالى قد أحلَّ نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول: إن الله قد حرَّمَ بعد ذلك نكاح الأخوات، فخطب فلم يقبلوا منه. فاستعمل القوة معهم والضرب بالسياط فلم يقبلوا، فأعمل فيهم السيف فلم يقبلوا، فأمر بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها، فطرح فيها عددًا كبيرًا من الناس، وهم الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾[1].

وَ رُوِيَ أن ذا نواس اليهودي علم أن جماعةً من أهل نجران آمنوا بدين عيسى عليه السلام، فأمر جنوده من حمير بإحضارهم وخيّرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخدَّ الأخاديد وأحرق اثني عشر ألفًا منهم[2].

وفي إحدى الوقائع التي كانوا يرمون الناس فيها في النار، أتوا بامرأة بيدها طفل رضيع، وقالوا لها: إن لم ترجعي عن إيمانك بالله وبدينك فسوف نرميك بهذه النار، فأرادت تلك الـمرأة أن ترجع عن التوحيد شفقةً على طفلها، فأنطق الله الطفل وقال لها: **يا أمّاه! اصبري فإنك على الحقّ**، فصبرت على ذلك[3].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤

١- أصل الرواية لدى: الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣١/ ١١٨، والثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ١٠/ ١٧١، والسيوطي، **الدر الـمنثور**، ٨/ ٤٦٧، والطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٤٦٥، كلهم ذيل تفسيرهم لـ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود﴾.

٢- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣١/ ١١٨. وانظر **مجمع البيان** للطبرسي، ٥/ ٤٦٦.

٣- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣١/ ١١٨.

ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ
﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ
﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ١١-٢٢].

الفوائد:

في جملة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبۡدِئُ وَيُعِيدُ﴾ جاء ضمير الفصل بعد ضمير الوصل وهذا يدل على الحصر، يعني أن الصفات التي جاءت بعد الضمير خاصَّةٌ بالله تعالى، وليس لسواه هذه الصفات. والمقصود من ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ السيطرة على العالم ونفوذ حكم الله وتدبيره فيه.

ويمكن أن تكون كلمة ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾ صفة للعرش أي المضاف إليه، ويمكن أن تكون صفة للمضاف، وهي كلمة «**ذُو**» أي صاحب العرش (أي الله) المجيد. **وهذا هو الظاهر**.

سورة الطارق

مكية وهي سبع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا
عَلَيۡهَا حَافِظٞ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ١-٤].

الفوائد: يُراد من القَسَم بالمخلوقات التي ذُكِرت في القرآن لفت الأنظار إلى أهمية الأشياء المُقْسَم بها وعظمتها. وقد يكون المُراد القسم بقدرة الله عليها. والمُراد من كلمة ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾: وربِّ السماء، لأن القسم بالمخلوقات العظيمة قسم بقدرة خالقها. ويجوز لِلَّهِ أن يُقسِمَ بقدرته، ولا يجوز للعباد أن يقسموا بذلك، وقد نُهُوا أن يُقسموا بغير الله، لأن غير الله ليس

بشاهد وناظر، والقَسَم في حقيقته إشهاد.

نعم، إذا نظر الإنسان في الصحراء والجبال حيث لا يكون هناك برق وتكون السماء صافية إلى الكواكب وتأمل في ترتيبها وانتظام حركتها [في مساراتها] وقف على عظمة خالقها.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ۝١١ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ۝١٢ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ۝١٧﴾ [الطارق: ٥-١٧].

الفوائد: ﴿ٱلصُّلْبِ﴾: فقار الظَّهر من الكاهل إلى أسفل الظهر (أي فقار الظَّهر عند الجَنْب أي الخاصرة)، كما جاءت كلمة **الصُّلْبِ**» بمعنى الشيء القوي المتين. كما جاءت بمعنى العِرْق والذُّرِّيَّة[١]. وعلى كل حال فالصُّلْب هو بالنسبة إلى الأب، و﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ بالنسبة إلى الأم. والترائب جمع تريبة بمعنى العظم والمُراد بها هنا أضلاع الصدر.

والمقصود من جملة: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ القياس العقلي، أي أن القدرة التي خلقت الإنسان من المني تستطيع أن تعيد خلقه من جديد وتحييه ليوم القيامة، كما يقول العقلاء: إن الذي اخترع الراديو الذي يلتقط الصوت ويوصله يستطيع أن يلتقط صورة صاحب الصوت ويعكسها أيضًا.

١- كما في قوله تعالى: ﴿وَحَلَاۤئِلُ أَبْنَاۤئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ﴾ النساء/ ٢٣.

سورة الأعلى

مكية وهي تسع عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ٥﴾ [الأعلى: ١-٥].

الفوائد: تؤثِّر عظمة المعنى والمُسَمَّى في الاسم وتجعل الاسم عظيمًا أيضًا، وقد جاء الأمر في القرآن أحيانًا بتسبيح اسم الله، كما في هذه السورة، وجاء أحيانًا بتسبيح ذات الله. ومن الممكن القول: إنه إذا كان التسبيح بالقلب، فينبغي أن نعتقد أن ذاتَ الله تعالى منزَّهةٌ من كل نقص، وإذا كان التسبيح باللسان فيجب أن نذكر أسماءه تعالى بألسنتنا ونسبِّح أسماءه، خاصة الآيات التي جاءت فيها الباء الجارة التي تفيد السببية، كقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ والحاصل أنه لا بد من اعتقاد بتنزُّه الله تعالى ولا بد كذلك من ذكر اسمه تعالى بالتنزيه والتقديس. وأما معنى التنزيه فذُكِرَت فيه عدة وجوه:

الأول: أن المراد نزِّه اسم ربك عن أن تسمي به غيره.

الثاني: أن لا يفسِّر أسماءه بما لا يصح ثبوته في حقه سبحانه نحو أن يفسر ﴿ٱلۡأَعۡلَى﴾ بالعلوّ المكاني، أي احترز من هذا المعنى.

الثالث: أن يُصان اسم الله عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم بل بالتصغير والتحقير، ويدخل فيه أن يذكر تلك الأسماء عند الغفلة، وأيضًا يدخل فيه النهي عن كتابة اسم الله في الصحف اليومية التي يدوس عليها الناس بأقدامهم، وأنه إذا رأيتَ اسم الله مكتوبًا على ورقةٍ فلا تتعامل مع الورقة بازدراء كأن تركلها بقدمك مثلاً.

والرابع: أن يكون المراد بـ ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾، أي مَجِّدْهُ بأسمائه التي أنزلها عليك ولا تطلق على الله أسماءً لم تُذْكَر في الوحي، إذ ليس كل اسم يليق بذاته تعالى وليس كل اسم مقدَّسًا

(إلا ما جاء في الوحي والتنزيل)، فأسماء الله توقيفية ومُنحصرة فيما أجازه الشرع فقط[١]. وأما معنى تسبيح الذات فقد جاء مفصَّلاً في موضعه.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾
ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾
وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا
لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ٦-١٩].

الفوائد: من الـمُعجزات الإلهية أنه لما كان رسول الله ﷺ يخاف أن ينسى شيئًا من الوحي أو يزيد فيه أو يُنقص منه، وعده اللهُ في هذه السورة التي نزلت في أوائل البعثة قائلاً: سنقرأ عليك القرآن ولن تنساه، فلم ينسَ رسول الله ﷺ بعد ذلك شيئًا من القرآن وأصبحت حافظته قوية إلى درجة أن جبريل كان يقرأ عليه السورة الكبيرة مرَّةً واحدةً فكان رسول الله ﷺ لا ينساها بعد ذلك، ولذلك فإننا نعتقد أن رسول الله ﷺ لا ينسى شيئًا مما أُوحي إليه، أما في سائر أمور الحياة والأمور الشخصية فإنه قد ينسى ﷺ لأنه بشر كسائر أفراد البشر، كما تدل على ذلك آياتٌ أخرى.

١- استفاد الـمؤلف هذه الوجوه من الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣١/ ١٣٦، بتلخيص وتصرف.

سورة الغاشية

مكية وهي ست وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾ [الغاشية: ١-٧].

الفوائد: إحدى أسماء القيامة: ﴿ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾. وسُمِّيت القيامة بالغاشية لأن هولها يغشى جميع الناس. وَالـمُرَاد مِنْ: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ الذين يعملون كثيرًا ويتعبون كثيرًا في عملهم ولكن ذلك كله في طريق البِدع والباطل، كالذين يجتمعون في زماننا من أوَّل الليل حتى نصفه باسم الدين ويقرؤون كتبًا مُعيَّنةً باسم الدين، ويرقصون ويلطمون صدورهم بشكل جماعي وأحيانًا يذكرون اسم أحد شهداء صدر الإسلام ويُطلقون الهتافات بصوت عال. أو كالذين يدعون أشخاصًا رحلوا عن الدُّنْيَا، وهم – طبقا للقرآن- لا يسمعون أصوات الذين يدعونهم، مع أن اللهَ أمر في كتابه السماويّ أن ندعوه هو ولا ندعو غيره، ولو كان هؤلاء الـمدعوون أحياء حاضرين اليوم لضربوا رقاب أولئك الذين يدعونهم. أو كالذين يضيئون الـمصابيح أحيانًا احتفالاً بولادة أحد أئمة صدر الإسلام. فكل ذلك لغوٌ وبِدَعٌ، وتُصرَفُ في مثل هذه البِدع أموالٌ كثيرة.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦﴾ [الغاشية: ٨-١٦].

الفوائد: يتضح من هذه الآيات أن الناس فريقان وأن ذلك يظهر يوم القيامة في وجوههم. وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ أنه ليس في الجنَّة بذاءةٌ ولا ثرثرةٌ ولا كلامٌ بلا

فائدة وهذا كي يبتعد عن مثل هذه الأمور في الدُّنْيَا. وَالـمَقْصود مِنْ عبارة: ﴿عَيۡنٌ جَارِيَةٌ﴾ جنس العين لا مُفردها.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية: ١٧-٢٦].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ أنه ليس لرسول الله ﷺ تسلُّطٌ على الناس ولا يستطيع التصرف في أمرهم، وفي الاصطلاح العلمي ليس له ولايةٌ تكوينية.

وَجُمْلَة: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ استثناءٌ مُنقطع، أي أن حرف «**إِلَّا**» بمعنى ولكن. وفي جملة: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾ تمّ تقديم الخبر على المبتدأ لإفادة الحصر أي إن حساب العباد هو على الله فقط ولا علاقة للأنبياء ولا لغيرهم به، وفي ذلك تهديدٌ عظيم، كما قال تعالى في آيات أخرى: ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وقال أيضًا: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء: ١١٣]، وهذه الآيات دليل على بطلان الزيارة الجامعة التي ابتدعها الوضاعون والكذابون، وفيها يقولون لإمامهم: **إيابُ الخلق إليكم وحسابُهم عليكم!** وقد شاعت مثل هذه الزيارات بسبب عدم التفات الـمسلمين إلى القرآن الكريم وعدم اعتنائهم بتعلّمه.

سورة الفجر

مكية وهي ثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ
لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ
مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ٨﴾ [الفجر: ١-٨].

الفوائد: الـمَقْصود مِنْ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾ ساعة الصبح الصادق الـمباركة التي هي وقت العبادة ومناجاة الخالق ودعائه، وَالـمَقْصود مِنْ: ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ الأيام العشر الأولى من شهر ذي الحجة التي هي أيام عبادة واجتماع للمسلمين في مناسك الحج. ومعنى ﴿شَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ أي العدد الزوجي والفردي، وفي ذلك إشارة حسب الظاهر إلى صلاة قيام الليل التي تكون ركعتين ركعتين وآخرها ركعة الوتر، وذُكرت للآية معان محتملة أخرى أيضًا.

لما كان قوم عاد طائفتين قال تعالى: عاد أولاد إرم وهم الذين وصفهم بقوله: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ [النجم:٥٠]، ونسب هؤلاء القوم هو: عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، واعتبر بعضهم كلمة: ﴿إِرَمَ﴾ بمعنى البستان وقال: لعله كان لدى أولئك القوم بستانٌ ممتازٌ لم يكن مثله في البلاد. ويُمكن أن يكون وصف ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ وصفًا لإرم كما يُمكن أن يكون وصفًا لقوم عاد لأنهم كانوا أصحاب قصور ذات أعمدة أو أنهم كانوا أصحاب أبدان قوية كالأعمدة. ويُمكن أيضًا أن نعتبر جملة: ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ وصفًا لقوم عاد أو وصفًا لـ ﴿ٱلۡعِمَادِ﴾. وكان هؤلاء القوم في الأحقاف التي تقع بين عُمان وحضرموت.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ
١١ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ١٢ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ١٣ إِنَّ رَبَّكَ
لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ٩-١٤].

الفوائد: كان نبيُّ قومِ ثمودَ: صالحًا ﷺ، وقد تكرَّر ذكر قصته في القرآن، فجاءت في سورة هود وفي الأعراف والشعراء وغيرها من السور. وكان قوم صالح يسكنون في بيوت محفورة في الصخر في الجبال في موضع بين الشام والحجاز.

أما فِرعون الذي وُصف بأنه ﴿فِرۡعَوۡنَ ذِى ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ أي صاحب الأوتاد (أي المسامير التي تُدقُّ في الأرض) فسبب هذا الوصف هو أنه كان يُثبِّت أجساد الناس في الأرض بواسطة المسامير التي يغرسها في أيديهم وأرجلهم، وقيل: إن سبب هذا الوصف أن المقصود من الأوتاد جيشه لأن الوتد بمعنى القوة وجيشه يُمثِّل قوته. أو المراد أنه كان صاحب الأهرامات التي تُشبه المسامير المغروسة في الأرض، لكن المعنى الأول هو الأظهر.

وفي جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ تهديد عظيم.

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٥-٢٠].

الفوائد: المَقْصود مِنْ: ﴿أَكۡرَمَنِ﴾ أن العبد الذي يُنعم الله عليه بالمال يُعجب بنفسه ويقول: بما أن الله منحني الثروة والمال والصحة فأنا إذن عزيز على الله ومن أحبّائِهِ، ويغترُّ بذلك ويصرف المال الذي وصله من إرث أو غيره في اللهو واللعب، بل يضمّ إرث الآخرين إلى ماله. وإذا أصبح الإنسان فقيرًا لم يعلم أن الفقر في صالحه بل يتصور أن الله أراد إذلاله! فهذه الآيات تريد أن تقول: إن ميزان العزة عند الله ومحبة الله للعبد هي الأعمال الصالحة وليس الفقر أو الغنى.

وكلمة «لَّمًّا» تعني الضمّ والجمع، أي أنكم تضمون مال الآخرين إلى مالكم. وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ**»[1].

١- أخرج نحوه البزار في **مسنده** والطبراني في **المعجم الكبير** والديلمي في **مسند الفردوس** عن أنس، قال الهيثمي في **مجمع الزوائد** (٨/ ٣٠٥ - ٣٠٦): «رواه الطبراني والبزار وإسناد البزار حسن». انتهى. قلتُ: وحكم الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، رقم (٥٥٠٥) بأنه صحيح.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ
يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى
﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ
ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى
﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢١-٣٠].

الفوائد: قُرئت ﴿يُعَذِّبُ﴾ و﴿يُوثِقُ﴾ بصيغة المبني للمعلوم وبصيغة المبني للمجهول كليهما، وقد ترجمناها على صيغة المبني للمجهول، والمقصود أنه لن يُعذَّب أحدٌ مكانه ولن توضَعَ الأغلالُ والسلاسلُ على أحد آخر بدلاً منه.

وَيَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أن معرفة الله أمرٌ فطريٌّ لدى الإنسان وأن الإنسان يسعى وراءها حتى يصل إلى طمأنينة القلب، وما لم يعرف الإنسان خالقه لن يحصل على الطمأنينة وسكينة النفس.

سورة البلد

مكيَّة وهي عشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا
ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾
[البلد: ١-٦].

الفوائد: اعتبرنا أن حرف «لَا» في جملة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ «لا» النافية وقد لا تكون كذلك ويكون القسم قسمًا حقيقيًّا ويكون الله قد أقسم بمدينة مكة كما أقسم بها في سورة التين

حين قال: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣]. ولمزيد من التوضيح يُراجع تعليقنا على الآية ٧٥ من سورة الواقعة.

وفي جملة: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يُمكن القول: إن المقصود من ﴿وَالِدٍ﴾ حضرة آدم ومن ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أولاده، ويُمكن أن نقول: إن المقصود من ﴿وَالِدٍ﴾ حضرة إبراهيم ومن ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ حضرة محمد ﷺ الذي جاء من ذريته. ويُمكن القول إن « **وَالِدًا**» هو رسول الله ﷺ الذي أتى بدين وجيل جديدين.

وكلمة«﴿كَبَدٍ﴾ تعني المشقة والتعب والنَّصَب وتأتي أيضًا بمعنى القوة وبمعنى اشتداد الشيء حتى يبلغ الذروة، وَالمَقْصود مِنْ: ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أولئك الملأ والأعيان والأشراف المُترفون والمُسرِفون الذين يصرفون المال في طريق الباطل ويمدحون أنفسهم دائمًا بأنهم صرفوا مالاً كثيرًا ولا يدرون أن الله تعالى يرى عملهم كما قال تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝١٣ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ۝١٧﴾ [البلد: ٧-١٧].

الفوائد: استدل الله في الآيتين ٧ و٨ على حضوره في كل مكان بالعين وآلة الرؤيا التي أعطاها للإنسان وقال: ألا يُفكِّر هذا الإنسان الذي يعيش في غفلة بعيدًا عن الله ولا يلتفت إلى خالقه وإلى مُراقبة الله لأعماله، فيمن خلق عينيه؟ إن الله الذي أعطى الإنسان العينين حتى يرى بهما الأشياء هو أكثر بصرًا ورؤيةً من هذا الإنسان وهو مُطَّلع على تفاصيل أعماله وخبير بها. أجل، لقد أعطى الله الإنسان وسائل تتجلَّى فيها قدرة الله حتى يعرف هذا الإنسان ربَّه وخالقه، وهداه إلى الرُّقيّ في الدُّنْيَا والآخرة. والاستفهام هنا استفهام تقريري أو توبيخيّ.

وَالمَقْصود مِنْ: ﴿ٱلْعَقَبَةُ﴾ أنه لم يُقدم على عمل صعب مثل مُخالفة النفس لأن هذا العمل يُشبه الصعود في الجبل.

وكان معنى ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ في صدر الإسلام تحرير العبد، أما في زماننا فهو تحرير العبد من الهوى واتّباع الشهوات وإنقاذه من الكفر والشقاء والخرافات.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ١٨-٢٠].

الفوائد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ إشارة إلى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ والمراد أن كل من آمن وصبر وسيطر على هوى نفسه وأكرم الأيتام والمساكين ورغَّب الآخرين بذلك أيضًا كان وجوده وجودًا ميمونًا مباركًا وإلا فلا.

سورة الشمس

مكيّة وهي عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ١-١٠].

الفوائد: تَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أن اللهَ جعل معرفة الخير والشر أمرًا فطريًّا لدى الإنسان أي أن الإنسان يُدرك بفطرته خيره وشره، والهداية الإلهية على خمسة أقسام:

١- الهداية الغريزية الموجودة في كل حيوان مثل هداية الطفل إلى الرضاعة من ثدي أمّه وإلى البكاء لإفهام الآخرين حاجته.

٢- الهداية الحسية حيث يطلب الإنسان الاهتداء إلى الأمور بواسطة حواسه الخمس البصر والسمع والذوق والشم واللمس.

٣- الهداية العقلية حيث أن حواسه كلها تحتاج إلى الهداية وإرشاد العقل.

٤- الهداية الشرعية والدينية وذلك أنه حتى العقل يحتاج إلى إرشاد الوحي وهدايته.

٥- هداية خاصة وهي التوفيق الإلهيّ وعنايته التي يطلبها المؤمن من الله كل يوم في صلاته بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

والإلهام هو تلك الهداية الغريزية والفطرية.

وكلمة ﴿دَسَّىٰهَا﴾ مشتقة من مادة الدسيسة والتي تعني المكر والعداوة الخفية والخداع أي أن يُعادي الإنسان نفسه ويخدعها.

﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ [الشمس: ١١-١٥].

الفوائد: تُشير الآيات إلى قصة ثمود ودعاء نبيّهم صالح كي يُخرج الله لهم ناقةً من الصخرة، وكان المُقرَّر أن تُجعل ماء العين التي كان يشرب منها الناس خاصة للناقة في يوم وفي اليوم الآخر يشرب الناس منها، وقد قام عدّة نفر من قوم صالح في نهاية المطاف بعقر تلك الناقة أي ذبحها فأهلكهم الله كما ذُكر ذلك بالتفصيل في سور القرآن.

سورة الليل

مكية وهي إحدى عشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا

مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل: ١-١١].

الفوائد: القَسَم بالـمخلوقات هو في الحقيقة قَسَمٌ بقدرة ربِّ هذه الـمخلوقات، وهنا أقسم اللهُ بالليل والنهار إذْ هما منشأ النباتات جميعها وأقسم بالقدرة التي خلقت الذكر والأنثى والذي يوجب بقاء النسل. فإن قيل: لمَ أتى بحرف «**ما**» فالجواب: كي يقبل الذين لا يعرفون الله.

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ۝١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٢-٢١].

الفوائد: تدلُّ جُمْلَةُ: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾ أن الله تعهَّد أن يقوم بهداية جميع عباده بنفسه فهو يهديهم هدايةً فطريةً وعقليةً ودينيةً.

ونزلت جملة ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ وسائر آيات هذه السورة - طبقًا لإحدى الروايات[١] - بشأن أبي الدحداح، إذ كان لـ «سمرة بن جندب» شجرة نخيل فرعها في دار رجل فقير ذي عيال وكان «سمرة بن جندب» إذا جاء فدخل داره وصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان [جاره] الفقير فينزل «سمرة بن جندب» من النخلة حتى يأخذ التمر من أيديهم فإن وجدها في فِي [أي فم] أحدهم أدخل إصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه، فشكا ذلك الرجل الفقير إلى النبي ﷺ وأخبره بما يلقى من صاحب النخلة فاستدعى النبيُّ ﷺ «سمرة» وقال له: تعطيني نخلتك الـمائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة، فأبى أن يعطيه

١- الرواية نقلها الطبرسي في **مجمع البيان** عن عكرمة عن ابن عباس، ٥/ ٥٠١. وانظر القصة أيضًا لدى البغوي، **معالـم التنزيل**، ٨/ ٤٤٦ -٤٤٧، والثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ١٠/ ٢٢٠، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٤ / ٥٢٠ - ٥٢١، والواحدي، **أسباب النزول**، ص ٥٢٣، والسيوطي، **الدر الـمنثور**، ٨ / ٥٣٢ - ٥٣٣. بذكر اسم «رجل من الأنصار» بدلاً من «سمرة بن جندب».

إياها، فجاء «أبو الدحداح» فاشترى تلك النخلة من «سمرة» بأربعين نخلة، ثم ذهب إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إن النخلة قد صارت في ملكي فهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال له: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله تعالى ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ السورة.

ولكن ينبغي أن نعلم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر لأنه كان يشتري الضعفة من العبيد الذين يسلمون فيتعرضون إلى تعذيب المشركين لهم، فيعتقهم دون أن ينتظر من عمله هذا أجرًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٍ تُجۡزَىٰٓ . إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، ومن جملة أولئك العبيد كان بلال عبدًا لعبد الله بن جدعان، فسلح على الأصنام (أي لطَّخ أصنام المشركين بالنجاسة) فشكا إليه المشركون فعله، فوهبه لهم، ومائة من الإبل ينحرونها لآلهتهم، فأخذوه وجعلوا يعذبونه في الرمضاء[1] وهو يقول: أحد، أحد، فمرَّ به رسول الله ﷺ وقال: ينجيك أحد، أحد. ثم أخبر رسول الله ﷺ أبا بكر أن بلالاً يُعذَّب في الله؛ فحمل أبو بكر رطلاً من ذهب فابتاعه به وأعتقه[2]. ولهذا نزلت هذه الآيات في شأنه وشأن أمثاله.

سورة الضحى

مكية وهي إحدى عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ① وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ④ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ⑤ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ⑥ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ⑦ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ⑧ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ⑨ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ⑩

١- الرمضاء: هي الأرض التي حميت من حرارة الشمس، خاصة إذا كانت أرضًا رملية صخرية.

٢- الثعلبي النيسابوري، **الكشف والبيان**، ١٠/ ٢٢٠، والفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ٣١/ ٢٠٦.

وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ [الضحى: ١-١١].

الفوائد: نزلت هذه السورة بعد انقطاع الوحي ١٢ يومًا وقيل: بل انقطع الوحي سنتين ونصفًا، وكان الـمُشْرِكُون يطعنون بمحمد ﷺ ويقولون: لقد ترك ربُّ محمد محمدًا وقلاه أي عاداه، فأجابهم الحق تعالى فقال: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾.

وقال بعضهم: إن الـمقصود من جملة: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أن آخر عمرك الذي سينتشر فيه الإسلام أفضل من أوائل عمرك.

وَالـمَقْصود مِنْ جُمْلَة: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ العطاء الدُّنْيَوي بأن نشر الله دينه ورفع اسمه وسخَّر له العالَم. وقال بعض من لا علم له: إن هذه السورة نزلت على النبيّ ﷺ وهو مريض في فراش الـموت، وأنها تتعلق بالشفاعة، وهذا ليس بصحيح لأن هذه السورة مكية وهي السورة الثالثة عشر نزولاً ونزلت في السنة الأولى أو الثانية للبعثة ولا علاقة لها بأيام وفاة النبيّ ﷺ.

وأما بالنسبة إلى جملة: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ فقد كتبنا في مقدمة الكتاب أن الـمقصود منها الضلال الديني وليس إضاعة الطريق في الطفولة، لأن إضاعة الطريق أمر يحدث لجميع الأطفال وليس بالأمر الـمهم حتى تنزل بشأنه الآية، بل يجب القول: إن حضرة رسول الله ﷺ لم يكن مهتديًا هدايةً تفصيليةً إلى أصول الإسلام وفروعه، وإن كان يؤمن بالله إيمانًا إجماليًّا. وقد ذكر الـمرحوم الفخر الرازي عشرين وجهًا لكلمة: ﴿ضَآلّٗا﴾ لكن الأظهر هو ما ذكرناه.

سورة الانشراح

مكية وهي ثماني آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ ٢ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ٣ وَرَفَعۡنَا
لَكَ ذِكۡرَكَ ٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٦ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ٧
وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ٨﴾ [الانشراح: ١-٨].

الفوائد: شرح الصدر أحد النِّعم الإلهية الكبرى ومعناه إزالة ضيق الصدر والغمِّ والحزنِ مما يجعل الإنسان منبسطًا رحب الصدر طويل الأناة صبورًا حليمًا يتحمل الشدائد ومثل هذا الإنسان يكون نشيطًا دائمًا ومستعدًّا للعمل. وعلى العكس من ذلك من وصفه الله بقوله: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] أي أن من يُصعَد به إلى السماء يشعر بالاختناق وضيق النَّفَس لأن نسبة الأوكسجين في الهواء تقل كلما ابتعدنا عن سطح الأرض، ولذا فإن روَّاد الفضاء يحتاجون إلى وضع وسائل تنفس صناعية معهم ليستخدموها في المرتفعات الجوية. والذي شَرَحَ اللهُ صدرَه يكون نشيطًا في المسائل الدينية وفي النضال الاجتماعي. ولكن يكون حزينًا ضيِّق القلب في مواجهة امتلاك الدُّنْيَا والقهر والتسلط، ومن أراد التصدي إلى مقام الإرشاد لا يُمكنه فعل شيء إذا لم يكن يتمتع بانشراح الصدر.

سورة التين

مكية وهي ثماني آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ [التين: ١-٨].

الفوائد: نشأ عيسى عليه السلام في جبل تينا حيث يوجد كثير من التين، وكان محلّ رسالة موسى عليه السلام جبل زيتا حيث الكثير من ضجر الزيتون، وكان جبل طور سيناء محلّ مناجاة موسى ربَّه، و﴿ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ يعني مكة وهي محلّ نشأة محمد ﷺ ونُموِّه، فأقسم الله تعالى بها. وقد رُويت للتين خواص كثيرة فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**كُلوا التِّينَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ فاكِهَةً نَزَلَتْ مِنَ الجَنّةِ بِلاَ عَجمٍ لَقُلْتُ هِيَ التّينُ، وَإِنَّهُ يَذْهَبُ بِالْبَوَاسِيرِ، وَيَنْفَعُ مِنَ النّقْرِسِ**»[١]. وعن علي بن موسى الرضا أنه قال: «**التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج**»[٢].

وعلى كل حال، أقسم الله عزّ وجلّ بمحلّ ولادة رسله ونشأتهم ونموِّهم.

وَيُمكن أن يكون الـمُرَاد مِنْ: ﴿أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ سنّ الشيخوخة، وقد يكون الـمراد الدرك الأسفل من النار.

١- ابن السني (ت ٣٦٤هـ)، **الطبّ النبوي**، وأبو نعيم، **حلية الأولياء**، والديلمي، **مسند الفردوس**، كما في «**الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير**» للسيوطي، حديث رقم (٨٦٦٧). وضعَّفه الألباني كما في **ضعيف الجامع الصغير**، رقم (٤٢٠١).

٢- لم أقف على مصدر الرواية رغم كثرة البحث.

وقد يكون الـمُخاطَب في جملة: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ رسول الله ﷺ وقد يكون الـمُخاطَب كل إنسان.

سورة العلق

مكية وهي تسع عشرة آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

الفوائد: هذه السورة أول سورة نزلت من القرآن، ومقصودنا هو الآيات الخمس الأولى منها. وقال بعضهم: إن سورة الحمد هي أول السور نزولاً، وقد يكون كلا القولين صحيح، أي أن أول سورة نزلت كاملة سورة الحمد، وأول سورة نزل جزء منها هذه الآيات الأولى من سورة العلق، بمعنى أنه بعد نزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق التي قال تعالى فيها: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ تساءل النبيّ ﷺ في نفسه، كيف أقرأ باسم ربِّي؟ فأنزل الله عليه سورة الحمد ليُعلِّمه كيف يقرأ باسم ربّه وأمره بأداء الصلاة.

رُوي أن رسول الله ﷺ قال: «ظهر لي ملاك الوحي وقال: اقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ فقال: اقرأ باسم ربّك» وكان كل ما يقرأه النبيّ ﷺ من الوحي يُسجَّل ويُنقش في لوح صدره فلا ينساه. وفي زماننا كان هناك رجل يُدعى «مشهدي كاظمي» من مدينة أراك في إيران يحفظ القرآن كله رغم أنه أميّ وكان يقول: لقد حفظت القرآن بفضل الله عليّ، وقد رآه آلاف من الناس من المعاصرين والتقيت به بنفسي عن قريب وهذا في حين أنني -العبد الحقير- أقرأُ الشيءَ عشرات المرات ومع ذلك أنساه بعد ذلك، فهذا نوع آخر من فضل اللهِ عزّ وجلّ.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب۩ ١٩﴾ [العلق: ٦-١٩].

الفوائد: رغم أن جملة: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾ عامة إلا أنها نزلت أساسًا في حقّ أبي جهل، إذْ «كان النبي ﷺ يصلِّي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا التصرُّف؟ فانصرف إليه النبيُّ ﷺ فزَبَرَهُ (أي انتَهَرَهُ)، فقال أبو جهل: والله إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تعالى ﴿فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ . سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾»[1]. «وكان أبو جهل يقول: هل يُعَفِّرُ محمَّدٌ وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم، قال: فوالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن رقبته»[2].

وَ رُوِيَ أنه لما نزلت سورة الرحمن ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ قال ﷺ لأصحابه: مَن يقرؤها منكم على رؤساء قريش؟ فتثاقلوا مخافة أذيتهم، فقام عبد الله بن مسعود وقال: أنا يا رسول الله! فأجلسه ﷺ، ثم قال: من يقرؤها عليهم؟ فلم يقم إلا ابن مسعود، ثم ثالثًا كذلك إلى أن أذن له، وكان ﷺ يُبْقِي عليه لما كان يعلم من ضعفه وصغر جثته، ثم إنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة، فافتتح قراءة السورة، فقام أبو جهل فلطمه فشقَّ أذنه وأدماه، فانصرف وعيناه تدمع، فلما رآه النبي ﷺ رقَّ قلبه وأطرق رأسه مغمومًا، فإذا جبريل عليه السلام ينزل بهذه الآيات[3].

١- الواحدي، **أسباب النزول**، ص ٣٣٩. وانظر الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٥١٦، والبغوي، **معالم التنزيل**، ٨/ ٤٨٠.

٢- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٥١٥، وانظر: الطبري، **جامع البيان**، ٢٤/ ١١٥، **والفخر الرازي**، التفسير الكبير، ج ٣٢/ ص٢٠، والواحدي في أسباب النزول وغيرهم.

٣- الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣٢/ ص ٢٣ - ٢٤. ولكن ليس فيه أن تلك الحادثة كانت السبب في نزول السورة.

سورة القدر

مكية وهي ثماني آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ [القدر: ١-٥].

الفوائد: تدلُّ هذه السورة أن القرآن نزل في ليلة القدر، يعني أن ابتداء نزوله كان في ليلة القدر. وبِناءً عَلى ذَلِكَ، فإن مبعث رسول الله ﷺ كان في تلك الليلة أيضًا، وقد بيَّن تعالى في هذه السورة أن الرحمة والبركة والسلامة كانت تنزل بالليل حتى طلوع الفجر. وأصل ﴿تَنَزَّلُ﴾: تَتَنَزَّلُ بتاءين، ومعناها النزول المتلاحق والمتتابع، وهذه قرينة أنه لما نزل القرآن في هذه الليلة ولو بضع آيات منه فإن الرحمة والبركة الإلهية حلّت بالعباد، لذا كان لهذه الليلة قدرٌ ومنزلةٌ عظيمان ومنه سُمِّيت بليلة القدر.

ومعنى ﴿ٱلۡقَدۡرِ﴾ العظمة والأهمية، هذا رغم أنهم ذكروا للقَدْر معاني أخرى أيضًا، فبعضهم فسَّرَ ﴿ٱلۡقَدۡرِ﴾ بمعنى المُقدَّر والمصير الذي يُحدَّد في هذه الليلة، أي هي ليلة المُقدَّرات وظهور مصائر الناس وما قُدِّر عليهم للملائكة. وليس على هذا القول دليل قوي.

والعجب أن الله يقول في الآية الثانية من هذه السورة لرسوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾؟ ولكن جماعة من أهل الخرافات كتبوا: إن الملائكة تنزل على الإمام في ليلة القدر ويتمّ تعيين مُقدَّرات الناس بيده، وهذا يُبيِّن أن الخرافيين يعتبرون الإمام أعلى شأنًا من رسول الله ﷺ! والواقع أنه لا وجود لمثل هذا الإمام الخيالي إلا في أذهانهم، وإضافةً إلى ذلك، لم ينزل على أحد خبرٌ من الوحي بعد خاتَم الأَنْبياء ﷺ.

سورة البيِّنة

مكيَّة وهي ثماني آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ
١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيّنة: ١-٥].

الفوائد: المراد من ﴿أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى الذين كانوا مُتعصِّبين في دينهم ولا يتخلَّوْنَ عنه، لكنَّ عددًا منهم كانوا مُنصفين وكانوا يعملون بأوامر التوراة فلما رأوا في القرآن الكريم وفي كلمات محمد ﷺ أدلةً واضحةً أسلموا. في هذه الآيات يُسلِّي اللهُ تعالى نبيَّه قائلاً: إنْ رأيت أن أكثر أهل الكتاب لا يُسلمون فليس ذلك دليلاً على بطلان رسالتك، لأنهم هم أيضًا رغم أنهم كان لديهم الدليل الواضح في دينهم تفرقوا ولم يعتنوا بالدليل الواضح ولم يكترثوا به، في حين أنهم كانوا قد أُمروا بأن يجعلوا دينهم خالصًا لِلَّهِ لا لأجل التعصب والأغراض النفسية، وقد نهت التوراة عن التفرقة.

نعم، لو كان أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر خالصًا لِلَّهِ لما حصلت بينهم تلك التفرقة ولكن لَمَّا لم يكن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر خالصًا لِلَّهِ - مع أن هذا الواجب من أهم العبادات ويجب أن يكون خالصًا لِلَّهِ- بل كان يُراد به الدُّنْيَا والمال والرئاسة، تفرقوا واستبدلوا الوحدة في الحق والتوحيد بالشركَ. وعلة انحطاط المسلمين الأساسية اليوم هي هذا الأمر بالذات، أي أن علماءهم جعلوا الدين وسيلةً لتحصيل الدُّنْيَا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧

جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البيّنة: ٦-٨].

الفوائد: إن ما يُنتظر من أهل الكتاب والمشركين المعاصرين للنبي ﷺ أكثر مما يُنْتَظر من الآخرين، لأن أهل الكتاب لديهم كتاب يأمرهم بالإخلاص في الدين وينهاهم عن التعصب، كما أن المشركين شاهدوا كل هذه الآيات وكانوا يعرفون محمدًا ﷺ، ورغم ذلك لم يؤمنوا به اتِّباعًا منهم لأهوائهم النفسية، ولذا هدَّدهما الله تعالى في هذه الآيات تهديدًا شديدًا.

سورة الزلزلة

مكية وهي ثماني آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة: ١-٥].

الفوائد: المقصود بـ «إذا» [وهي ظرف زمان وتتضمَّن معنى الشرط] يوم القيامة. والمقصود بأثقال الأرض: ما فيها من أموال وكنوز ومجوهرات ومعادن يهتم بها عبيد الدنيا فتزداد حسرتهم عليها، ويشعرون بالأسف والحسرة على عمرهم الذي أضاعوه في تحصيلها.

والمقصود من ﴿تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾ أن الأرض تبين أعمال الناس وسلوكهم الذي قاموا بها فوقها. وحضور الأقوام والملل وآثارهم في أرض المحشر يوم القيامة هو بحد ذاته تحديث الأرض بأخبارها.

يقول الشاعر:

إن نتـوءات كـل قصـر تعطيـك موعظـةً جديـدةً جديـدةً

فأصْغِ إلى نصح كل نتوء من جذور هـذه النتـوءات الظـاهرة

ويمكن أن تكون جملة: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ مفعولاً لـ«تحدِّث» ومن الـممكن أن تكون الباء فيها باء السببية.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

الفوائد: لم يعرف العربيُّ شيئًا أصغرَ من «**الذَّرَّةِ**»، ولا يمكنه أن يفهم أصغر من ذلك، وقد تكلم الله تعالى بلغة العرب الـمتعارفة بينهم، والذرَّة هي الهباءَة الـمنبثّة في الهواء التي يمكن رؤيتها في شعاع الشّمس الداخل من خلال ثقب أو نافذة. والـمُراد أن كل عمل خير أو شر مهما كان صغيرًا فإن العبد سيُحاسَبُ عليه يوم القيامة[1]، فالذين أبْقَوا الناس جاهلين بكتاب الله، وقرؤوا عليهم أحاديث موضوعة وأشاعوا بينهم البدع واخترعوا لهم شفاعةً مخالفةً للتوحيد، عليهم أن يرجعوا إلى الله ويتوبوا من ذنبهم.

١- كما قال تعالى: ﴿... وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

سورة العاديات

مكية وهي إحدى عشرة آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ٥ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ ٨ ۞أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ٩ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ ١١﴾ [العاديات: ١-١١].

الفوائد: تتعلّق هذه الآيات بالـمجاهدين الـمسلمين، فقد أقسم الله بخيول الـمجاهدين التي تعدو بسرعة، بل أقسم بقوائم الخيل وحوافرها التي توري النار عندما تسير فوق صخور الصحراء، وهذا كله إجلال وتعظيم لها. كما أقسم الله بليل الـمجاهدين الذي يغيرون في فجره على العدو ويدخلون متحدين أرض الـمعركة، ويهزمون العدوّ بشجاعة.

نزلت هذه الآيات بشأن الـمجاهدين الذي بعثهم رسول الله ﷺ في سرية إلى حي من كنانة، وقيل: نزلت السورة لما بعث النبي ﷺ عليًّا عليه السلام إلى ذات السلاسل فأوقع بهم[1] [وذلك بعد أن بعث عليهم مرارًا غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله ﷺ دون فتح] وكان الـمشركون أعداءً أَشِدَّاء وأَلِدَّاء، وقام الـمنافقون بافتراء أخبارٍ تقول: إن الـمجاهدين قُتِلوا وهُزِموا مما أحزن الـمسلمين، فأخبر الله تعالى رسولَهُ وأنزل عليه هذه السورة كي لا يحزن الـمسلمون.

والـمقصود من الإنسان الكنود الـمنافقون، وقد ذكروا للكنود معاني متعدِّدة كلها مذموم.

١- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٥٢٨.

سورة القارعة

مكية وهي إحدى عشرة آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡقَارِعَةُ ١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ٣ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ
ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٦ فَهُوَ
فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ
١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ١١﴾ [القارعة: ١-١١].

الفوائد: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾ اسم من أسماء القيامة والقرع الضرب بشدة وسميت القيامة بذلك لأن السموات والأرض تضرب ببعضها وتُهدَّم.

وتكررت عبارة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ في القرآن لِتُفْهِمَنَا أن رسول الله ﷺ لم يكن يعلم هذه الأمور قبل أن ينزل عليه الوحي، كي لا يغلو المسلمون في حقه، وكي يكف المداحون عن كلمات الكفر والمغالاة التي يقولونها.

وكلمة ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾: جمع «ميزان»، وقد تكون بمعنى المفعول، وجمع «موزون»: أي الأعمال التي وُزِنَتْ. ويستفاد من هذه الكلمة أن لكل إنسان عدَّة موازين، فتوزَنُ عقائده في أحدها، وتوزَنُ الأخلاق في ميزان آخر، ويوزن السلوك والأعمال في ميزان ثالث وهكذا.

سورة التكاثر

مكية وهي ثماني آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: ١-٨].

الفوائد: يتفاخر أهل الدنيا بكثرة الـمال أو القوة أو العلم، قيل: نزلت في حيين من قريش؛ بني عبد مناف بن قصي، وبني سهم بن عمرو، كان بينهم تفاخر، فتعادَّ السادة والأشراف أيهم أكثر عددًا؟ فقال بنو عبد مناف: نحن أكثر سيدًا وأعزُّ عزيزًا وأعظم نفرًا وأكثرُ عددًا، وقال بنو سهم مثل ذلك، فَكَثَرَهُمْ[1] بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدُّ موتانا! حتى زاروا القبور فعدُّوهُم، فقالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فَكَثَرَهُمْ بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثرَ عددًا، فأنزل الله هذه الآية[2]. والإسلام يمنع كل هذا التفاخر.

ومن الـممكن أن نفهم جملة ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ على معنى: لقد شغلكم طلب الزيادة في الدنيا حتى [نسيتم ربكم] وأدرككم الـموت ودخلتم القبور.

ويُراجَع في موضوع زيارة القبور كتابنا: «**الخرافات الوافرة في زيارات القبور**».

١- كَثَرَهُم: من فعل كثَرَ يَكثُر، كَثْرًا، فهو كاثِر، والـمفعول مَكْثور، يُقال: كثَر جارَه بالأولاد: غَلَبَهُ أو فاقه في العدد. فَكَثَرَهُمْ بنو عبد مناف يعني فاقوهم في العدد.

٢- الطبرسي، **مجمع البيان**، ٥/ ٥٣٣-٥٣٤، والبغوي، **معالم التنزيل**، ٨/ ٥١٥، وأخرجه الواحدي في **أسباب النزول**، ص ٥٣٧. وانظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ٤ / ٥٤٤.

سورة العصر

مكية وهي ثلاث آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣].

الفوائد: هذه السورة على صغر حجمها جامعة لأصول الفلاح وسعادة الدنيا والآخرة. أقسم الله فيها بالعصر كي يعلم العباد قَدْر الزمن وأهميته فلا يضيعوا الوقت بلا فائدة. قال الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا

وليس للزمان والدهر حسن أو سوء إلا باعتبار الناس الذين يعيشون فيه.

وألف ولام كلمتا ﴿ٱلۡعَصۡرِ﴾ و﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ للاستغراق. أي أن جميع أفراد الإنسان في كل عصر وزمان هم في خسر إلا أهل الإيمان والعمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويُسْتَفادُ مِنْ هذه الآيات ومن آيات أخرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على كل إنسان. وأنه من الواجب على كل مسلم أن يسعى بقدر استطاعته إلى التعلم ومعرفة المعروف ومعرفة المنكر، فالإسلام إذن دين التعلُّم والتعليم والتحقيق وليس دين التقليد.

وقد أقسم الحق تعالى بأربعين شيئًا في القرآن والقَسَم الذي جاء في هذه السورة آخر ما أقسم الله به في كتابه، وقد بينا فوائد القَسَم في السور السابقة خاصةً في سورة النازعات.

سورة الهمزة

مكية وهي تسع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ
لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى
ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧ إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ مُّمَدَّدَةِۭ ٩﴾ [الهمزة: ١-٩].

الفوائد: ﴿وَيۡلٞ﴾ كلمةٌ يُراد بها التوبيخ والذمّ والدعاء على شخص بالعذاب والهلاك، مثل كلمة «**واي**» بالفارسية التي تُقال عند الحزن. وعلى وزنها كلمة «**وَيْس**» التي تُسْتَخدَم للتصغير والتحقير، وكلمة «**وَيْح**» التي تُقال عند الترحُّم والتوجُّع على الشخص [الذي حلَّت به مصيبة].

وذكروا فروقًا بين ﴿هُمَزَةٖ﴾و ﴿لُّمَزَةٍ﴾ فقالوا: «**الـهُمَزَةُ**» الذي يطعن بالناس ويعيبهم بالإشارة بيده، و«**اللُمَزَةُ**» الذي يعيبهم بلسانه وبعينه، وقيل: «**الـهُمَزَةُ**» الذي يطعن علانيةً أي يطعن في الوجه بالعيب، و«**اللُمَزَة**» الذي يطعن خُفْيَةً (أي في غياب الـمطعون به). و﴿ٱلۡحُطَمَةُ﴾ من مادة الحَطْم وتعني التكسير والتدمير، فيبدو وكأن نار جهنّم تحطِّم أهلها. نعوذ بالله.

سورة الفيل

مكية وهي خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ۝٢ وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾ [الفيل: ١-٥].

الفوائد: يمكن أن يكونَ الـمُخاطَبُ بقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ ....﴾ رسولَ الله ﷺ، ويمكن أن يكون الـمُخاطَبُ كلَّ إنسانٍ مُكلَّفٍ. هذا رغم أن رسول الله ﷺ لم يكن قد شاهد قصة أصحاب الفيل، لأنها وقعت في سنة ولادة رسول الله ﷺ، إلا أن القصة لما كانت من القطعيَّات الـمسلَّم بها فاعتُبر كأنه رآها كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ [الفجر: ٦]. أضف إلى ذلك أن ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ تأتي أيضًا بمعنى: أَلَمْ تعلم؟ وعلى كل حال فإن قصة هلاك أصحاب الفيل قد شاهدها أهل الحجاز جميعهم لا سيَّما كبار السن والكهول الـمعاصرين لرسول الله ﷺ، ولما اعتبروها حادثةً مهمَّةً جدًّا جعلوها مبدأ تأريخهم، وسموا عامها بعام الفيل، وكانت تلك الحادثة إرهاصًا بقدومه ﷺ. وذلك لأن مثل هذه القضية أي طيران جماعات من الطيور سربًا سربًا بشكل منتظم كالجنود وقذفها الحجارة على رؤوس جماعة مجهزين بعدة القتال وإهلاكهم جميعًا لا يمكن اعتباره أمرًا عاديًا.

وكلمة ﴿أَبَابِيلَ﴾ تعني الطيور التي تسير سربًا سربًا. وقد اعترف الـمؤرخون جميعًا بأن هذه الحادثة لم تكن حادثةً عاديةً، إلا أن الـمؤرخين الغربيين (الأورُبيين) قالوا: إن أبرهة الحبشي وجنوده الذين جاؤوا على فِيَلِهِم الحربية ابْتُلُوا بمرض الجُدَرِيِّ[1] على إثر هطول مطر الحصباء

١- مرضٌ تنتج عنه قروح وبثور في الجسم ممتلئةً ماءً وقيحًا، وقد تؤدي مضاعفاته إلى الـموت.

عليهم. ونقول ردًا عليهم: إن إصابة جيش من مئة ألف نفر خلال مدة ساعة واحدة بمرض الجُدَرِيّ وهلاك جميع أفراده بهذا المرض أمر غير طبيعي وخارق للعادة ومُعجِز أيضًا.

وقد ذُكِرَت تفاصيل تلك الحادثة في كتب التاريخ. والأمر المسلَّم به أن أبرهة الذي كان من الأحباش (من أهل الحبشة) الذين حكموا اليمن، بنى بصنعاء كنيسةً يُقال لها «**القُلَيْس**» لم يُبنَ مثلها قط في جلالها وزينتها، وأراد أن يحج إليها العرب وتصبح مركزًا دينيًا مُهمًّا، وأن يزيل الكعبة التي أصبحت مركزًا للوثنية وعبادة الأصنام. وكان سبب عزمه على هدم الكعبة أن رجلاً من بني كنانة جاء إلى «**القُلَيْس**» واعتكف فيها وتَغَوَّطَ فيها في منتصف الليل وفرَّ هاربًا، فصمَّم أبرهة على التحرك نحو الكعبة لهدمها وتخريبها ووصل حتى الحرم، وهناك لم تتحرك الفيلة إلى الأمام، وظهرت الطيور الأبابيل فوجًا فوجًا.

سورة قريش

مكية وهي أربع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش: ١-٤].

الفوائد: ﴿قُرَيۡشٍ﴾ مأخوذة من القَرْش وهو الكسب إذ كانت القبيلة من ولد النضر بن كنانة، وكانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد. وقد قال الله: إننا دفعنا عن مكة أصحاب الفيل لتتمكن قريش من مواصلة ما أَلِفَتْهُ من تجارة وكسب، ولكي تعبد الله. وجاءت ﴿قُرَيۡشٍ﴾ أيضًا بمعنى التفتيش لأن تلك القبيلة كانت تفتش في أحوال زوار الكعبة والمستحقين، وكانت تساعد من رأته مستحقًّا للمساعدة.

وكانت لقريش رحلتان: رحلة بالشتاء إلى اليمن لأن اليمن أدفأ، ورحلة بالصيف إلى الشام لأن طقس بلاد الشام في الصيف أطيب وأجمل. وكان أول من نظَّم أمر هاتين الرحلتين: هاشم ابن عبد مناف. وإضافة إلى الإطعام والأمن الذي منَّ اللهُ به على قريش، أنقذهم أيضًا بواسطة نزول القرآن من الكفر والضلال. وقيل: إن الفيل وقريش سورة واحدة.

سورة الـماعون

مكية وهي سبع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣ فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ٦ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ ٧﴾ [الـماعون: ١-٧].

الفوائد: الفاء في ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ﴾ فاء التفريع أي أن من لا دين له فإن نتيجة ذلك ستكون قسوة قلبه حتى أنه لا يرحم اليتيم ولا الـمسكين، ولا يحض الآخرين على فعل ذلك . وإن صلَّى صلَّى غافلاً وكانت صلاته رياءً وسمعةً. و﴿ٱلۡمَاعُونَ﴾ الأشياء البسيطة التي يستعين بها الناس في أمورهم مثل الكبريت والإبرة والسكين ويحتاجها الناس في بعض الظروف بشدَّة، ولا يجوز للإنسان الـمتديِّن أن يمتنع عن تقديم هذه الأشياء لمن طلبها منه.

سورة الكوثر

مكية وهي ثلاث آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر: ١-٣].

الفوائد: ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ في اللغة: الخير الكثير. وهو صيغة مبالغة من الكثرة. والمقصود منه مجموع الخيرات والنِّعَم التي أكرم الله بها رسوله ﷺ، كالنبوَّة وإعلاء الذكر، والسيطرة على الكفر، والعلم الكثير وهداية الخلق بواسطة كتاب الله، والخُلُق العظيم، ونهر الكوثر في الجنَّة. ولمَّا كانت لفظة ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ مطلقة فإنها تشمل بإطلاقها كلَّ ما ذُكِر.

والمُراد من ﴿شَانِئَكَ﴾ العاص بن وائل [السهمي] الذي كان يقول: دعوا محمَّدًا فإنه رجل أبتر لا عقب له [أي لا وَلَد ذَكَرَ لَهُ] فإذا هلك انقطع ذِكْرُهُ، فأنزل الله تعالى هذه السورة وقال في حقِّ النبيِّ ﷺ وأنصاره: إن عدوَّك ومبغِضَك هو الأبتر مقطوع الخير، وأعداؤك هم الذين سيزول ذكرهم وينطفئُ اسمهم بعد موتهم، أما اسمك أيها الرسول فسوف يرتفع في جميع المنابر والمساجد وينتشر بين عامَّة البشر ويُذْكَر على الدوام وسيقتدي بك الطاهرون جميعًا وسيبقى ذكرك بالخير ولن يزول أبدًا.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ أن نحر الأضاحي عبادةٌ كالصلاة لا تُقَدَّم إلا لِلَّهِ تعالى، ولا يجوز تقديمها لأحد سواه. بناء على ذلك فإن الذين يقومون بطرح الحيوان أرضًا أمام المسافر الذي يعود من سفره، ويقومون بذبحه أمامه ويقولون: إن لحم هذه الذبيحة لا يصل إلى المسافر وأنهم يقومون بذلك من باب الاحترام والتواضع فقط، وأن الأضحية ماله ونحن نهديها إليه. كل ذلك أعمال مخالفة للقرآن الكريم، لأن الله تعالى يقول في سورة الحج: ﴿لَن يَنَالَ

ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ﴾ [الحج: ٣٧]. أي أن لحم الذبيحة ودمها لن يصلا إلى الله بل ما يصله هو تقوى قلوبكم، والناس يقدمون هذا الاحترام والتعظيم - الذي ينبغي أن يُقدَّم لِلَّهِ فقط - إلى ذلك الشخص العائد من السفر أو إلى ذلك الصالح من ذرية الإمام. وقال عليٌّ عليه السلام سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «.... **وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»[1].

---

١ - رواه مسلم في **صحيحه**، والنسائي في **السنن** وأحمد في **المسند**.

سورة الكافرون

مكية وهي ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾ [الكافرون: ١-٦].

الفوائد: نزلت هذه السورة ردًّا على اقتراح الـمُشْرِكين الذين قالوا: هَلُمَّ يا محمَّد فلنجعل بيننا صلحًا وصفاءً؛ تتَّبعُ دينَنَا ونتَّبعُ دينَكَ، فتعبد أصنامنا سنةً ونعبد إلهك سنةً، فقال الله تعالى لرسول الله ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ....﴾ الآية، من هذا يتبيَّن أن الله تعالى لم يُخاطب الـمُشْرِكين مباشرةً لأنهم لم يكونوا أهلاً للخطاب الإلهيّ؛ بل قال: قل لهم: إن عبادة الأصنام تتنافى مع عبادة الله.

وجملة: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ جملةٌ اسمية تدل على الدوام والاستمرار، وتشمل الـماضي والحاضر والـمستقبل.

وجملة: ﴿مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ فعلٌ ماضٍ يعني أنني لم أعبد معبودكم فيما مضى، ومن الـممكن أن نقول استدلالاً بهذه الآية: إن رسول الله ﷺ لم يعبد صنمًا قط قبل نُبُوَّتِه.

وكانت جملة: ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ طبقًا لمقتضى الزمان أي الزمن الذي كان رسول الله ﷺ فيه ضعيفًا، وهذه الآية لا تُنَافي أنه ﷺ أعلن دعوته فيما بعد وأُمر بدعوة الناس إلى الإسلام وأن يُدافع بالسيف في مواجهة مخالفيه.

سورة النصر

مكية وهي ثلاث آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ١-٣].

الفوائد: «**إِذَا**» ظرف زمان للاستقبال، ومن القرائن يتبيَّن أن هذه السورة نزلت قبل فتح مكة، ذلك أن أكثر أهل الجزيرة العربية كانوا ينظرون إلى أهل مكة وإلى قريش ليروا ما ستفعله الأصنام والـمُشْرِكُون حول الكعبة أمام هذا الدين الجديد، فلما فُتحت مكة زال خوف الناس وأصبحوا أحرارًا في دينهم، وآمن كل من أعمل عقله ومال إلى الدين الجديد، أما من كان دينه تقليديًّا فبقي ثابتًا على تقليده، وأما من كان يؤمن لأجل الـمصالح الدُّنْيَوية فإنه آمن كذلك، ولم يكن الأمر كذلك قبل فتح مكة. ونزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ ومنها يتبيَّن أنه قد أدَّى واجبه وأن عليه أن يستعدّ لسفر الآخرة وأن يستغفر لما بدر منه من استعجال وقلَّة صبرٍ، ولقوله الـمتكرّر: متى نصر الله؟

سورة الـمسد

مكية وهي خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ [الـمسد: ١-٥].

الفوائد: كان اسم أبي لهب: عبد العُزّى بن عبد الـمُطلب، وكان عمَّ النبيّ ﷺ، وكان ذا ثروة، وكان وجهه مُحمرًّا مشرقًا ووجنتاه كأنهما تلتهبان، وقد عرَّفه الله بهذه الكُنية ليتناسب ذلك مع لهيب نار جهنم. وعلى كل حال، لم يذكر الله تعالى اسم شخص من الـمُشْرِكين والـمنافقين في القرآن لأن الله ليس بهتاك للستر ولا يضر الله شرك عباده وعصيانهم، ولم يكن اللهُ في صدد الانتقام حتى يذكر اسم شخص في كتابه إذ لا فائدة من ذكر اسم شخص في كتاب دستور خالد. لكنه ذكر أبا لهب وامرأته لعدَّة أسباب:

الأول: كان ضرر أبي لهب أشدَّ من ضرر أي كافر ومشرك آخر لأنه كان سببًا في جرأة الـمُشْرِكين على إيذاء رسول الله ﷺ، إضافةً إلى أن الله كان يعلم أنه سيرحل عن الدُّنْيَا على حال الكفر، ولذا أخبر عن ذلك، وهذه معجزةٌ من معجزات القرآن.

الثاني: ذكره الله كي يُفهِم أهل الدُّنْيَا أن رسول الله ﷺ لم يكن له من ناصر إلا الله ولم يكن يستخدم في دعوته أي وسائل للإجبار والإكراه بل حتى أسرته وأقرباؤه كانوا يعادونه.

الثالث: كي يعلم الناس أن الحسب والنسب لا يُفيدان الإنسان شيئًا، فلا فرق أمام قانون الجزاء الإلهيّ بين سيد هاشميّ وغلام حبشيّ، فعلى الإنسان أن لا يغترَّ بانتمائه إلى عظماء الدين غرورًا فارغًا لا وجه له.

ومن الـممكن القول: إن امرأته كانت حَمَّالَةَ حطبٍ بمعنى أنها كانت تحمل حطب الإفساد والنميمة بين الناس. وكانت تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ.

سورة الإخلاص

مكية وهي أربع آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الفوائد: سُمِّيَتْ هذه السورة بسورة التوحيد وسورة الأمان وسورة الإخلاص. وسبب نزولها أن الـمُشْرِكين واليهود والنصارى طلبوا من رسول الله ﷺ أن يُعرِّف لهم ربَّه فنزلت هذه السورة، ولذلك بدأت بكلمة ﴿قُلۡ﴾ لأنها جاءت جوابًا عن سؤال الكفار.

وقد نُفيت أنواع الشرك وأقسامه كلها في هذه السورة:

١- الكثرة في الذات والصفات. ٢- النقص. ٣- العدد.

٤- التغيير. ٥- العليّة. ٦- الـمعلوليّة.

٧- الـمصدريّة. ٨- الـمُشابهة. ٩- الضد.

١٠- الأبوَّة والبُنوَّة. وهي ردٌّ على من اعتقدوا أن لِـلَّهِ ولدًا.

سورة الفلق

مكيَّة وهي خمس آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ٥﴾ [الفلق: ١-٥].

الفوائد: يَدُلُّ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أنَّ الشرَّ هو من ناحية المخلوق لا الخالق، والشرُّ ينشأ من تزاحم المخلوقات **ولولا التزاحم لما وُجِد الشرُّ**، والحقُّ تعالى عرَّف نفسه بأنه الملجأ والملاذ لدفع كل شرٍّ، وهو العليم بجنود الشر والمُدافع عن عباده، وقد ذَكَرَ لنا كنموذج ثلاثة أقسام من الشرور:

الأول: شرّ الظلام الظاهريّ والظلمات المعنوية التي هي الكفر والشرك والخرافات، خاصةً الجور والظلم والظلمة التي عمَّت أكثر الناس وأصبح الأشخاص المُنوَّرون مفقودين تمامًا أو نادري الوجود.

الثاني: شرّ الذين ينفثون ويحيكون، فيُثبِّطون عزيمة الناس أو يقطعون الروابط فيما بينهم مثل السحرة والنمامين والنساء المُحتالات والذين ينسجون الأكاذيب على المنابر والذين يُبرّرون الخرافات ويُعلِّمون الناس الأدعية المليئة بالشرك بدلاً من أن يُعلّموهم التوحيد، وبدلاً من العمل يقترحون على الناس البكاء والتوسل ويسلبون عقل الناس وذلك لأن النفاثة على وزن العلامة يُطلق على كل من ينفث سواءً كان امرأةً أم رجلاً، وكلمة: ﴿ٱلۡعُقَدِ﴾ جمع عقدة وتدل على جميع الروابط وعلى العقود والعزائم.

الثالث: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ﴾ وهو الأمر الذي ابتُلِي به أكثر الناس فأبعدهم عن الحقائق، فإذا أراد شخصٌ أن يُبيِّن حقيقةً من الحقائق أو أراد أن يُنقذ الناس من الخرافات قام الآلاف من زملائه من المشايخ بمنعه من نشر كلامه حسدًا، وإذا قام شخصٌ بكتابة كتاب من الحقائق لإنقاذ الناس، حَسَدَهُ الآلاف من زملائه ووصفوا كتابه وما أَلَّفه بأنه من كُتب الضلال ومنعوا

نشره وحالوا دون تأثيره في الناس. فمثلاً هذا التفسير الذي كتبتُهُ منذ سنةٍ تقريبًا، تمَّت سرقة أربعمئة صفحة مخطوطة منه أثناء طبعي له على الآلة الكاتبة، فاضطُرِرْتُ إلى إعادة كتابتها من جديد، وقد حذفتُ منه مطالب مهمة بسبب العجلة. وبعد أن طبعناه منعت إدارة المطبوعات من نشره بسبب تدخل علماء الدين المرتبطين بقصر الشاه (الملك)، بل حرَّموا قراءته، وحتى أن اثنين من المشايخ الذين يعملون في إدارة المطبوعات أخذوا رشوة ليقولوا: إن هذا التفسير مخالف للمذهب وللدين (!) مع أنهما أنفسهما -حسب الظاهر- تعاملا معنا بكل مديح وثناء، وأحدهما كان الشيخ كاظم سنكلجي والآخر الشيخ عباس المهاجراني الهمداني، اللذَيْن غرّتهما الدُّنْيَا ولكنهما لم يريا منها ما أمّلاه، وغرّهم الوسواس الخنَّاس.

ومن جهة أخرى قام شخص آخر أي الحاج «أحمد نوانديش» بالحصول على إذن نشر هذا التفسير ذاته أي «تابشى از قرآن» بعد أن قام بحذف موضوعات مهمة منه، واعتبرت إدارة المطبوعات هذه السرقة حلالاً. وفي هذا التفسير «تابشى از قرآن» أوردتُ في مواضع عديدة منه بعضًا من أشعاري واقتباسات من كتبي الأخرى ككتابي «أحكام القرآن» وكتابي «گلشن قدس» وهذا دليل على كذب من نسب هذا التفسير لنفسه. هذا كله عدا عن الأذى الكثير الذي استباحوه بحق هذا العبد الفقير.

وعلى كل حال، فإن الحسد يحول دون نشر العلم والحقائق ويسلب الحرية من الناس فهو أحد أسباب شقاء البشر، أما إذا كبح الحسود حسده ولم يَدَعْ أي أثر للحسد يظهر في كلامه أو فعله، كان الحسد مُضرًّا به فقط، وإذا كان نبيّ الله ﷺ نفسه قد أُمِر بأن يستعيذ بالله من شر الحاسدين فما بالك بالآخرين!.

رُمي حضرة يوسف عليه السلام في البئر بسبب الحسد، وتحمل رسول الله ﷺ كل تلك المشقات والمصائب بسبب حسد المُشْرِكين واليهود له الذين ما كانوا يستطيعون أن يُشاهدوا لطف الله بحقه. ومعنى الحسد أن يُحبّ الحاسدُ زوال النعمة عن المحسود وعدمها وأن لا يتحمَّل مُشاهدة النعمة عند غيره. وقال علي عليه السلام: «**الْحَسَدُ دَاءٌ عَيَاءٌ لَا يَزُولُ إِلَّا بِهَلَكَةِ الْحَاسِدِ أَوْ مَوْتِ الْمَحْسُودِ**»[1].

١- النوري الطبرسي، **مستدرك الوسائل**، ج١٢/ ص ٢٢.

سورة الناس

مكيَّة وهي ست آيات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ٦﴾ [الناس: ١-٦].

الفوائد: ذكر الـمُفسِّرون لهاتين السورتين (الفلق والناس) قصصًا عن اليهود وبناتهم اللواتي كنَّ في الـمدينة في حين أن هاتين السورتين نزلتا في مكة لا في الـمدينة، فكل تلك القصص ساقطة من الاعتبار ومليئة بإهانة رسول الله ﷺ. وعلى كل حال، فإن آخر حرف من هذه السورة هو حرف «س» وأول حرف من حروف القرآن هو حرف «الباء» في «**بسم الله**»، وهما يُشكِّلان كلمة بَسْ أي: كَفَى، [بَسْ: اسم فعل بمعنى حَسْب] أي أن هذا الكتاب كافٍ لنا.

وينبغي أن نعلم أن الله تعالى ذَكَرَ لذاته -في السورة السابقة- اسمًا هو ﴿بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ لدفع الشرور جميعها، ولكنه ذكر في هذه السورة ثلاثة أسماء له لدفع شرّ الشيطان ووسوسته، كي يفهم العبد أن وسوسة الشيطان وهوى النفس خطيرةٌ ومهمةٌ جدًّا، وأن عليه أن ينتبه إليها ولا يُخدع بها. أضف إلى ذلك أن الشرور الـمذكورة في السورة السابقة تتعلَّق بالدنيا، أما الشرور في هذه السورة فتتعلق بالدين.

وأضاف الله تعالى أسماءه في هذه السورة إلى ﴿ٱلنَّاسِ﴾ كي يعلم العباد أن لا ربَّ لهم أي لا مالك مُتصرِّفًا بهم إلا الله، ويعلموا أن لا أثر لأي قوة وسلطان إلا لقدرة الله وأن لا إله ولا ملجأ لهم إلا الله، وأن عليهم أن لا يلجؤوا إلى غيره ولا يعوذوا به.

وَتَدُلُّ جُمْلَةُ: ﴿مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ أن شياطين الإنس الذين يُوسوسون للإنسان ويُخفون كيدهم دائمًا مُهِمُّون وخطيرون جدًّا وذلك مثل الخطباء الـمذهبيين الذين يُوسوسون للناس ليلاً ونهارًا ويُضلُّونهم. **نعوذ بالله من شر النفس ومن شر الجنة والناس.**

انتهى هنا ما قصدنا إليه من ترجمة القرآن وبيان معانيه بشكل سهل ومُيسَّر وَذَكَرْنَا فوائدَ مُستنبطةً من الآيات الإلهية، وذلك في اليوم الثاني من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ هـ . ق. فإن بَدَرَ منِّي فيه اشتباه أو سهو أو قصور في الفهم فأسأل الحق تعالى العفو وأن يغض الطرف عني وأطلب منه الغفران.

وهنا لا بدّ من التذكير بأمر: اعلم أن أكثر سور القرآن مُتفق على أن آياتها جميعًا مكية أو مدنية، ولكن العلماء اختلفوا في بعض سور القرآن أو بعض آيات بعض السور، وقد ذكرنا ما كُتب في بداية السور في عامة المصاحف، فمثلاً سور العنكبوت والسجدة والشعراء والزمر وغافر والجاثية وق والـمُزَّمل مكية، لكن بعض آيات هذه السور اعتُبرت مدنية، لكننا اتِّباعًا لما ذُكر في عامة المصاحف اعتبرنا في بداية هذه السور أن جميع آياتها مكية.

ولا يخفى أن هذه الترجمة خالية من العصبيات المذهبية وخرافات الفِرق، آمل من إخوتي في الإسلام أن يُبادروا إلى طباعتها ونشرها لتنوير أفكار المسلمين وتقوية الوحدة الإسلامية والاتحاد بين المسلمين.

والسَّلام على من اتَّبع الهدى وخاف من عواقب الرَّدى

الأقل السيد أبو الفضل ابن الرضا (**البرقعي**)

ملخص كتب مجموعة الموحدين

المطبوعة ضمن هذا المشروع

١- سوانح الأيام

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

سيرة ذاتية كتبها المرحوم أبو الفضل البرقعي -أحد أعمدة وأعلام المحاربين لخرافات الشيعة وبدعهم في إيران المعاصرة - عن حياته. تنبع أهمية الكتاب الحالي من روايته لتاريخ التحولات السياسية - الدينية في إيران المعاصرة في عهد الحكم البهلوي (رضا شاه ومحمد رضا شاه) وإلى ما بعد الثورة الإيرانية وحتى سنة ١٤١٤ هـ(١٩٩٢ م)، ويحلل ويشرح دور ومواقف علماء الدين الشيعة في الحوادث المختلفة التي عرضت للمجتمع الإيراني ويميط اللثام عن حقائق مجهولة لكثير من القراء؛ بناءً على ذلك، فإن كتاب «سوانح الأيام» إضافة إلى كونه شرحاً شخصياً لحياة العلامة البرقعي، يبين كثيرًا من الوقائع التاريخية المكتومة ويكشف النقاب عن حقيقة الحكومة المتظاهرة بالإسلام في إيران. بعد أن يُعَرِّفَ المؤلِّفُ بِنَسَبِهِ وأُسْرَتِهِ، يذكر نبذة عن مرحلة طفولته ودراسته الابتدائية ثم يشرح دراساته الحوزوية. ويواصل كلامه ببيان نشاطاته السياسية والاجتماعية في مرحلة الشباب ويعرفنا بأساتذته في الحوزة ويذكر نصوص إجازات رواية الحديث التي نالها منهم. ومن أقسام الكتاب المهمة بيان لقاءات البرقعي وحواراته مع كثير من علماء الشيعة المرموقين في إيران ومكاتباته مع كثير منهم - بما في ذلك الخميني والخامنئي - التي غطت جزءًا كبيرًا من الكتاب، في حين تغطي الفصول الأخيرة منه طريقة تعامل الحكومة الإيرانية مع المؤلف وبيان الأذى الذي تعرض له على أيدي رجال الحكم وحوادث السجن والاغتيال الفاشل التي تعرض لها.

٢- عرض أخبار الأصول على القرآن والعقول

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

بحثٌ جامعٌ حول أحاديث كتاب (أصول الكافي)، وبيان تعارضها مع القرآن الكريم وسنة النبي الأكرم ﷺ ومناقضتها لمعايير العقل والمنطق. اعتبر المؤلف أن متون كثيرٍ من أخبار أصول الكافي مخالفةٌ للعقل وللقرآن. وبيّن في المقدمة المفصلة إلى حد ما للكتاب الدلائل على رجحان القرآن وحجيته مقارنةً بالسنة والروايات مستفيدًا في ذلك من المصادر الشيعية الأساسية. في بداية الكتاب، بيّن المؤلف باختصار طريقة تدوين أحاديث الشيعة وأسباب نفوذ الأحاديث الموضوعة في كتبهم وكيفية انتشارها في تلك الكتب وتأثيرها في بناء الفكر الشيعي، كما بيّن الدوافع والعوامل التي ساعدت على اتساع هذا الأمر. ثم بدأ المؤلف بدراسة أحاديث كل باب من أبواب أصول الكافي على حدة وعقد ١٨٢ فصلاً محّص في كل فصل الأحاديث الواردة فيه مبيناً الأحاديث الموضوعة منها بذكر الدلائل على كونها موضوعة من القرآن والسنة النبوية وروايات أئمة الشيعة ومن حال رواة أسانيد تلك الأحاديث. إن هذا الكتاب إلى جانب كتابي (صحيح الكافي) لمحمد باقر البهبودي من أهم الكتب التي أُلِّفَتْ في تنقية كتاب أصول الكافي للكُلَيْني وتنقيحه وتصفيته من الأخبار الموضوعة وغير الصحيحة.

٣- تعارض «مَفَاتيح الجِنان» مع القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقِعِيّ القُمِّيّ

الكتابُ دراسةٌ وتحليلٌ لأدعيةِ كتاب "مفاتيح الجنان" تأليف الشيخ عباس القمي ومقارنتها بقيم الإسلام وحقائقه. يبتدئ المؤلف كتابَه بالتعريف بقاعدة (التسامح في أدلة السنن) ورواية (مَنْ بَلَغَهُ شَيْءٌ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى (شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ) فَعَمِلَهُ، كَانَ لَهُ أَجْرُ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ.) وينقد تلك القاعدة والرواية ويبطلهما. ثم يشرح حالة الشيخ عباس القمي ويبين دوافعه لتأليف كتاب مفاتيح الجنان ثم يبدأ بتحليل وتمحيص أدعية هذا الكتاب واحدًا واحدًا وينتقد الأدعية التي تتعارض مع الأفكار والعقائد الإسلامية الأصيلة. يعتبر المؤلف - استناداً إلى دلائل متعددة- أن دعاء كميل ودعاء العشرات ودعاء السمات تحتوي على عبارات صوفية وأنها تنشر العقائد الفكرية لمدرسة الصوفية. ثم يقوم المؤلف بنقد الأدعية الناقصة والمعيوبة ويذكر في هذا المجال: أدعية المشلول ويستشير والعدلية والجوشن الكبير والجوشن الصغير والقاموس. ثم يعقد المؤلف فصلاً آخر يستعرض فيه ثمان شبهات مهمة في توحيد العبادة ويرد عليها. ثم يُمَحِّص المؤلفُ دعاءَ التوسل وحرز الإمام زين العابدين ومناجاة أمير المؤمنين. ويتابع المؤلف بحثه بتمحيص فصولٍ أخرى من كتاب مفاتيح الجنان التي تتعارض مع القرآن الكريم وتعاليم الإسلام الأصلية.

٤- دراسة علمية لأحاديث المهدي

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتاب بحث علمي في الأخبار والأحاديث المروية حول المهدي – إمام الشيعة الثاني عشر- وفحص وتمحيص صحتها وسقمها. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى فحص عقيدة وجود إمام الزمان (المهدي المنتظر) وتمحيصها بالاستناد إلى الآيات القرآنية والروايات التاريخية والأحاديث المنسوبة إلى أئمة الشيعة. يورد المؤلف في بداية كتابه مقالةً مستقلة قصيرة كتبها أحد زملائه في الفكر والعقيدة (دون ذكر اسمه) كي يتمكن القارئ من خلال ذلك من إدراك مضامين الكتاب والاطلاع على هدفه الكلي. يختص الفصل الأول من الكتاب بدراسة الروايات الشيعية حول إمام الزمان (المهدي) وولادته وحياته. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف مسألة الرجعة كمًا وكيفًا وما سيقع خلالها من حوادث طبقاً لما يعتقد به الشيعة والتي ستقع بعد ظهور المهدي طبقاً لعقيدة الشيعة. وبعد أن ينقل المؤلف كل رواية حول المهدي المنتظر يعقبها ببيان معارضتها لمعايير العقل والمنطق ويثبت تعارضها مع القرآن الكريم ومع أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته. وفي الفصل التالي يشرح المؤلف آيات القرآن التي يستند إليها مُدَّعُو وجود المهدي ويفسرها. ثم ينقل الروايات التي تتنبأ بالحوادث المستقبلية التي ستقع بعد وفاة المهدي. ويتابع المؤلف بحثه بدراسة أحاديث أهل السنة حول المهدي. ولما كانت أهم الأخبار والأحاديث الواردة حول المهدي قد جاءت في كتاب بحار الأنوار للمجلسي؛ قام المؤلف بدراسة وتمحيص تلك الأحاديث الواردة في ٣٢ بابًا من أبواب بحار الأنوار حديثاً حديثاً، وناقش تلك الأحاديث وأثبت سقمها وضعفها جميعًا.

٥- الخرافات الوافرة في زيارات القبور

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

يدرس المؤلف في هذا الكتاب نظرة الإسلام والقرآن إلى موضوع زيارة القبور ويزن زيارات القبور بميزان العقل ومعاييره. يبتدئ الكتاب بطرح مجموعة من الأسئلة حول المكان الذي تذهب إليه أرواح الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم، وهل يطلعون على زيارة زوار قبورهم. وضمن إجابته المدلّلة على هذه الأسئلة يبحث المؤلف مدى مشروعية بناء القباب والأضرحة على القبور وينقل الأحاديث والروايات الواردة عن أئمة الشيعة في هذا المجال. ثم يطرح في الفصول التالية من الكتاب، الروايات التي يرويها الشيعة حول زيارة النبي الأكرم ﷺ وحضرة الزهراء رضي الله عنها وأئمة البقيع وحضرة علي رضي الله عنه ويفند تلك الروايات ويدحض الاحتجاج بها. ثم يمحص نصوص الزيارات التي نُقِلَت عن بعض كبار علماء الشيعة أمثال الشيخ المفيد وصفوان وابن طاووس وجابر الجعفي والكفعمي والسيد مرتضى... ويبين تناقض متونها ومعارضتها للعقل والدين، وفي ختام الكتاب يعدد المؤلف الأضرار والمفاسد الدينية والاجتماعية التي نجمت عن انتشار خرافة زيارات القبور في مجتمع الشيعة وشيوعها.

٦- طريق الاتحاد (دراسة وتمحيص نصوص الإمامة)

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

بحث جامع في تمحيص النصوص والمتون الدينية المعتبرة (القرآن والأحاديث والروايات) المتعلقة بمسألة الإمامة ونقدها وتحليلها. يُعَدُّ هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي كُتبت باللغة الفارسية في مجال نقد مفهوم الإمامة الشيعي. يذكر المؤلف تلك الآيات القرآنية التي يستدل بها الشيعة على حقية سلسلة الإمامة المنصوصة حسب عقيدتهم، ويفسر تلك الآيات ويشرحها، وكما يفحص الأحاديث والأخبار التي وصلتنا عن الرسول الأكرم ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم وأئمة الشيعة حول هذا الموضوع متنًا وسندًا بكل دقة وبعد أن يفصل ويميِّز الأخبار الشاذة والكاذبة (التي تشكل الجزء الأعظم من هذه الروايات) من الأخبار الصحيحة، يبين مفهوم تلك الأخبار ومصداقها الحقيقي واحداً واحداً. وبعد أن يبين المؤلف في بداية كتابه الأسباب والعلل الأساسية لاختلاف أمة الإسلام وجذور افتراق أبنائها بعضهم عن بعض يبحث في حادثة سقيفة بني ساعدة والمفاوضات والنقاشات التي دارت فيها مبينًا خلال ذلك كيفية مبايعة حضرة عليٍّ لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما، وينقل لنا روايات الشيعة حول هذا الموضوع. وفي الفصل التالي يبحث واقعة غدير خم وحقيقتها. يدور الكلام في هذا الفصل حول شرح واقعة الغدير والدافع الذي دعا نبيَّ الله إلى إلقاء خطبة الغدير المشهورة ونقد ما يستنبطه الشيعة منها. وفي الفصل التالي ينقل المؤلِّف لنا حادثة سقيفة بني ساعدة كما يرويها الطبرسي في كتاب «الاحتجاج»، ويبين لنا كيف أن الحب والبغض المذهبيين شوها الحقيقة وقلباها رأساً على عقب. ثم يذكر المؤلف عشرة أحاديث شيعية مهمة يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم في الإمامة ويحللها ويمحصها سنداً ومتناً بكل دقة. ثم يبين دوافع ثورات السادة العلويين زمن الأمويين وأقوال أئمة الشيعة الصريحة حول الخلافة ودلائلها التاريخية التي تدل جميعها على عدم وجود نص بشأن الإمامة. وهذا هو موضوع الفصل التالي من الكتاب. في الختام يعرفنا المؤلف بفرَق الشيعة المتعددة التي ظهرت بعد وفاة كل واحد من الأئمة ويشرح لنا عقائد كل فرقةٍ من هذه الفرق.

٧- طريق النجاة من شر الغلاة

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

كتاب مفصل مبسوط يُبيِّن أكثر الخرافات وأقوال الغلاة الشائعة بين الشيعة وينقدها وَيَرُدُّ عليها. يبتدئ المؤلفُ كتابَه ببحث علم الغيب ويثبت أن هذا العلم مختص بالله تعالى وحده، ويشير في هذا الصدد إلى الروايات الشيعية المتعددة التي تنفي علم الغيب عن الأئمة. ثم يتعرض إلى رسالة «سهو النبي» للشيخ محمد تقي الشوشتري ويستند إليها في هذا المجال. أما الفصل التالي فخصصه المؤلف لبحث الولاية وحقيقتها. في هذا الفصل ينقل المؤلف ادعاء الشيعة حول ولاية أمر علي وأبنائه ويستند إلى عدد من آيات القرآن وأقوال الأئمة أنفسهم للرد على هذه العقيدة وتفنيدها. ثم يتابع المؤلف كتابه بفصل يبحث فيه حقيقة الشفاعة؛ فيبين في بداية هذا الفصل مفهوم الشفاعة في القرآن الكريم، ثم يحلل القراءة الشيعية للشفاعة وتأثيرها السلبي في عقائد الشيعة. وفي الفصل التالي يبين المؤلف كيفية انتشار هذه الخرافة في مذهب الشيعة ويبين المسيرة التاريخية لكتب الغلاة وعقائدهم. وفي الفصل التالي يبحث المؤلف بشكل مفصَّل موضوع زيارات القبور والخرافات التي انتشرت حولها، فيبين في بداية هذا الفصل الدلائل العقلية والتاريخية على نفي زيارة القبور من قبل الرسول الأكرم ﷺ وأئمة الشيعة. ثم يبين علة اهتمام الشيعة بزيارات القبور ويعدد الدلائل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أدت إلى شيوع هذا الطقس الخرافي في المجتمعات الشيعية. ومن مباحث هذا الكتاب الأخرى بيان تعارض أحاديث الزيارة مع القرآن الكريم وتمحيص أسانيد تلك الأحاديث وبيان حكم تعمير القبور في الإسلام. ويختص الفصل النهائي من الكتاب بنظرة عامة إلى ظاهرة الغلو وآفاتها وخبائثها الاجتماعية والدينية.

٨- الخُمْس

حيدر علي قلمداران القُمِّيّ

بحثٌ جامع ومبسوط حللَّ فيه المؤلف الأسس الشرعية والمنطقية للخُمْس في الفكر الاقتصادي للإسلام ومحَّص هذه الأسس وفحص صحتها وبيَّن الحُكم الصحيح بشأنها. يُعَدُّ هذا الكتاب أشمل تأليف مستقل كُتِبَ في عالم الإسلام حتى اليوم في نقد موضوع الخُمس بالمفهوم الشيعي، وقد أُلِّفَ بهدف دراسة أهم أحاديث الشيعة ومستنداتهم حول إيجاب أداء الخُمس وتمحيصها ونقدها. يهدف المؤلف في كتابه إلى تنقية الخمس من الزوائد والإضافات التي أضافها بعض علماء الشيعة إليه، وعلى حد قوله: (جعلوا الخمس وسيلة مطمئنة للاسترزاق وملء جيوبهم). بعد تحليله العميق والدقيق للآية ٤١ من سورة الأنفال التي نزلت بشأن غنائم الحرب، يشرح المؤلف موقف سنَّة نبي الإسلام الكريم ﷺ والأئمة من هذا الموضوع بشكل مفصَّل. بدأ المؤلِّف كتابه بدراسة مستند الخُمس في القرآن الكريم، وبعد أن أوضح استخدامات الخُمس وموارده في المجتمع الإسلامي، قام بدراسة أحاديث الخُمس التي حصرتْه برسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام فقط. ثم واصل المؤلف بحثه ببيان الأمور التي يشملها الخُمس وقام بدراسة منطقية وعقلية للأحاديث التي نصت على وجوب الخمس، وبعد أن قارن تلك الأحاديث بالقرآن الكريم وسنة الرسول الأكرم ﷺ، قام بدراسة دقيقة لرواة أسانيد تلك الأحاديث واحداً واحداً. بعد ذلك أورد المؤلف الأخبار التي تبين أن الأئمة وهبوا الخُمس لشيعتهم، وقام بتحليل هذه الروايات، وفي الختام فحص المؤلف مصارف الخمس وسهم الإمام في زمن الغيبة. ثم نقل المؤلف فتاوى علماء الشيعة الكبار في موضوع دفع الخمس أمثال الشيخ الإسكافي، وابن الجُنَيد، والشهيد الثاني، والمحقق السبزواري، وابن عقيل،

والشيخ الصدوق، والشيخ الطوسي، والمقدس الأردبيلي، والمحقق الثاني، والقطيفي، والملا محسن فيض الكاشاني، والشيخ الحر العاملي، والشيخ يوسف البحراني، وشمس الدين العاملي، والشيخ باقر النجفي (صاحب الجواهر)، وآخرين أجمعوا كلهم على إسقاط خمس أرباح المكاسب عن الشيعة في زمن الغيبة، ولأجل هذا الغرض استعرض المؤلف أقوال أولئك العلماء وفتاواهم واحداً واحداً. ويتضمن الجزء الأخير من الكتاب مجموع إجابات المؤلف على الردود التي ألفها كل من ناصر مكارم الشيرازي، ورضا استادي أصفهاني، وسيد حسن إمامي أصفهاني على كتابه الخمس، وقد أضيفت هذه الإجابات إلى النسخة الجديدة المنقَّحة لكتاب الخمس.

9

٩- رَدٌّ قُرَوِيٌّ عَلَى السَّيِّدِ المَحَلَّاتِيِّ

حيدر علي قلمداران القُمِّي

قام مؤلف هذا الكتاب بدراسة استدلالات وادعاءات ذبيح الله محلاتي التي ذكرها في كتابه «رَدٌّ على المناقشات بشأن خطبة الغدير ووجوب خمس أرباح المكاسب ومسألة الشفاعة»، وتمحيصها، وتفنيدها والردّ عليها. وقد كان المحلاتي ألف كتابه الأخير للرد على مقالة بعنوان «رد خطبة الغدير» كان السيد أبو الفضل البرقعي قد كتبها ونشرها في مجلة «رنگين كمان» [قوس قزح]. ولما كان السيد محلاتي قد ألَّف كتابَه على شكل أسئلة افتراضية والإجابة عنها، اتخذ مؤلف هذه الرسالة نهجًا مشابهًا وبين إجاباته عن أسئلة السيد المحلاتي واعتراضاته. في بداية الرسالة، بيَّن المؤلف قصة الغدير وما وقع فيها وذكر دلائل تثبت أنه لا يمكن أن يكون قصد الرسول الأكرم ﷺ من تلك الواقعة هو النص على خلافة علي رضي الله عنه للنبي ﷺ في الحكم والرئاسة. وقسَّم المؤلف أدلته إلى أربعة أقسام هي: الأدلة العقلية والأدلة النقلية والأدلة الوجدانية والأدلة التاريخية. ثم قام المؤلف ببحث مفصل في سند حديث الغدير الطويل وعَنْوَنَه بـ (السند الفاضح لحديث الغدير) حيث محّص رجال السند أي رواة حديث الغدير بالاستناد إلى مصادر كتب الرجال الشيعية المهمة مُبيِّنًا حال أولئك الرواة ومدى ثقتهم وإمكانية الاعتماد على روايتهم ليصل بالنتيجة إلى أن أكثر أقسام حديث الغدير الطويل موضوعة مختلَقة، وبالتالي فالنتائج والمفاهيم المستنبطة منها باطلة.

١٠- قبس من القرآن

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

أصل الكتاب، ترجمة معاني القرآن الكريم وتفسيره باللغة الفارسية باسم «تابشى از قرآن»، فتُرجم إلى العربية باسم «قبس من القرآن». هدف المؤلف من كتابه المذكور الذي يقع في أربعة مجلدات بيان مفاهيم آيات القرآن وشرح رسالته الهادية بعيداً عن العصبيات المذهبية وأهواء الفرق. يُقدِّم المؤلف في المجلد الأول من كتابه ضمن مقدمة مفصلة مبسوطة شملت نصف حجم المجلد الأول معلومات وفوائد جامعة حول أهم مباحث علوم القرآن كي يتعرف القارئ غير المتخصص، إلى حد ما، على المفاهيم والمصطلحات القرآنية الخاصة، ومن جملتها مباحث من علوم القرآن مثل: طريقة تدوين القرآن، القراءات المختلفة، دوافع وكيفية تدوين القرآن في زمن عثمانرضي الله عنه، تحريف القرآن، المحكم والمتشابه، إعجاز القرآن وأنواعه، خصائص نص القرآن الفريدة، وغير ذلك من الأبحاث. طريقة المؤلف في تفسيره، هي الابتعاد عن استخدام اصطلاحات العلوم والفنون، ونتيجة لذلك فإن القارئ يواجه نصًا سلسًا وبسيطًا ومفهوماً بيسر. بعد أن يذكر المؤلف المعنى العام للآية الكريمة يقوم بتوضيح معاني المفردات الواردة فيها -لاسيما المفردات ذات الوجوه المتعددة أو المفردات التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح خاص - فيقوم بتفسيرها، مما يساعد القارئ على إدراك مفهوم كل آية ورسالتها.

يتضمن المجلد الأول من هذا التفسير تفسير سورة الفاتحة حتى النساء، ويتضمن المجلد الثاني تفسير سورة المائدة حتى سورة يوسف، والمجلد الثالث يواصل تفسير سورة يوسف حتى سورة فاطر، في حين يتضمن المجلد الرابع تفسير سورة يس حتى سورة الناس.

١١- نقد المراجعات

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

يتضمن الكتاب نقدَ ادعاءاتِ السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه «المراجعات» وتمحيصها. لقد أُلِّف كتاب «المراجعات» بهدف مناقشة عقيدة أهل السنة (في موضوع الإمامة) ونقدها، فقام البرقعي في هذا الكتاب بالرد على بيانات شرف الدين مستنداً في ذلك إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والروايات المنقولة عن أئمة الشيعة. يبتدئ الكتاب بطرح مفهومي السنة والتشيع ثم يستعرض اتجاه الكُلَيْني المذهبي -بوصفه من أهم محدثي الشيعة- تجاه الحديث وتدوينه. ثم يشرح منهج الباطنية في تفسير القرآن وتأثير هذا النهج في استنباط المفاهيم الحديثية. ثم يبحث المؤلف موضوع ادعاء علم الأئمة بالغيب ويثبت بطلان هذه العقيدة مستنداً في ذلك إلى الروايات الشيعية ذاتها. وفي ختام الكتاب، يبين المؤلف أسباب نزول آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة في فكر الأئمة ولدى مفسري الشيعة.

١٢- كيف اهتديت؟ ولادة جديدة واختيار جديد

١٢

حجة الإسلام والمسلمين مرتضى رادمهر

الكتابُ سيرةٌ ذاتيةٌ كتبها «مرتضى راد مهر» – من علماء الدين الشيعة المعاصرين- شرح فيها عِلَل هدايته إلى مذهب أهل السنة وما لاقاه في هذا الطريق من مصائب ومشكلات. كان المؤلف من الطلاب البارزين في الحوزة العلمية في قم. يشرح في كتابه، الدوافع التي دفعته إلى ترك الأفكار الشيعية الخرافية والاتّجاه إلى مذهب أهل السنة، ويعرِّف القراءَ خلال بيانه لهذا الأمر بالأسس الفكريّة لأهل السنة ونقاط اختلافها مع عقائد الشيعة. كما يتضمن الكتاب بيانًا للحوادث التي تعرض لها في حياته عندما كان طالباً للعلوم الدينية وشرحاً لمناظراته واحتجاجاته مع علماء أهل السنة وكيف كانوا يجيبون عن أسئلة الشيعة وشبهاتهم حول أهل السنة؛ ولذلك فالكتاب ليس مجرد سيرة حياة ذاتية بل هو درسٌ عقائديٌّ حول أفكار أهل السنة وعقائدهم. في بداية الكتاب، يشرح المؤلف باختصار حال أسرته ومرحلة طفولته والأسباب التي دعته إلى التحاق بالحوزة العلمية والجامعة. ثم في الفصل التالي يتكلم عن سفره إلى بلوشستان وتعرفه على مولانا (الزعيم الروحي والعقائدي لأهل السنة في تلك المنطقة). ويشرح كيف التقى فيه وتحدث معه. ثم يبين سفره إلى الحج وزيارته لمدينة السليمانية في العراق وزيارته لسوريا وتأثير تلك الأسفار عليه. في الفصول الختامية للكتاب يبين المؤلف التحولات الروحية العميقة التي عرضت له واعتقاله المتكرر من قبل المخابرات الإيرانية وتعاملهم السيء معه وأنواع التعذيب الشديدة والرهيبة التي تعرض لها في السجن. تتضمن الفصول النهائية للكتاب شرحاً لآخر أيام حياة رادمهر بقلم شخصٍ آخر، لأن المؤلف كان قد توفي بسبب العلل الجسيمة الناجمة عن التعذيب التي تعرض له على أيدي المخابرات في بلاده.

١٣- مفتاح فهم القرآن

شريعت سنگلجی

بيانٌ لطرق تدبر القرآن وكيفية فهمه وكيفية استخراج الفوائد والأحكام من آياته. يشير المؤلف في بداية كتابه إلى أن رسالة الإسلام رسالة عامة لجميع الخلق. وكذلك تعاليم الإسلام موجهة لعامة البشر. ويعتبر أن القرآن الكريم كتابٌ يخاطب عامة البشر ولا ينحصر فهم معانيه ورسالته بجماعة خاصة، ويسعى في بيان أصول فهم القرآن بلغة ميسرة بسيطة. ولأجل هذا الغرض، يبين في بداية الكتاب المفاهيم الأساسية الضرورية لفهم آيات القرآن ويقدم توضيحاً مختصراً حول كل واحد من تلك المفاهيم؛ ومنها: الظاهر والباطن، المحكم والمتشابه، التفسير بالرأي الممدوح والتفسير بالرأي المذموم، الضروريات والناسخ والمنسوخ. ويواصل المؤلف فصول كتابه ببحث أنواع القَسَم في القرآن ومفاهيمه ثم يبحث فواتح السور وأمثال القرآن. ثم يبحث طرق استدلال القرآن وماهية الوحي وكيفيته. ثم يتعرض المؤلف إلى بيان مناهج الفرق والنحل الفكرية المختلفة مثل السفسطائيين والحِسّيين والتجريبيين والصوفية في فهم القرآن وتفسيره. وأخيراً يستعرض المؤلف موقف القرآن وتعاليمه حول النبوة والقيامة والمعاد.

١٤- الدعاء

آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

تحليل لمفهوم الدعاء في الإسلام وبيان شروط الأدعية التوحيدية وكيفية التمييز بينها وبين الأدعية الشركية والباطلة. يُمحِّص المؤلف في هذا الكتاب بعض أهم كتب الأدعية الشيعية ويبين علة انحراف مضامينها. ويسعى بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم والأحاديث الموثوقة إلى بيان الأضرار التي ألحقتها الأدعية المخترعة والمُضِلَّة في الفرد والمجتمع. ثم يطرح المؤلف بعض الشبهات والأسئلة الشائعة حول الدعاء والتوسل ويرد عليها ردًا مدللًا مبرهنًا.

١٥

١٥- منهاج السنة في رد أهل البدعة

تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقَعِيّ القُمِّيّ

الكتاب ترجمة إلى الفارسية لكتاب «المنتقى» تأليف محمد بن عثمان الذهبي. وكتاب المنتقى اختصار لكتاب «منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة والقدرية» تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحرَّاني الدمشقي الذي ألفه في الرد على أفكار الشيعة وعقائدهم الباطلة. طريقة المؤلف في هذا الكتاب هي الابتداء بنقل عقائد الشيعة حول الإمامة والخلافة ثم تفنيد هذه العقائد بالاستناد إلى آيات القرآن الكريم وكلام نبي الإسلام الكريم ﷺ وإلى المنطق والعقل السليم. في هذا الصدد ذكر المؤلف الدلائل التي ساقها العلامة الحلي لإثبات لزوم زعامة عليٍّ رضي الله عنه للمسلمين بعد رحلة النبي ﷺ وأنه أولى بخلافة النبي ﷺ من سائر الصحابة رضي الله عنهم، لإثبات إمامة علي رضي الله عنه في القرآن الكريم ثم قام بالإجابة عن هذه الأدلة واحداً واحداً بشكل مفصل مُبيِّناً ضعفها وتهافتها. وأما مترجم الكتاب إلى الفارسية، آية الله البرقعي، فقد علَّق وشرح بعض الموضوعات في هامش الكتاب للرد على عقائد الشيعة الإمامية، مما زاد ذلك في أهمية الكتاب.

١٦- تأمل في آية التطهير

آية الله العظمى نعمت الله صالحي نجف آبادي

شرح وتفسير لآية التطهير ودراسة وتمحيص لما يقوله الشيعة بشأن من تنطبق عليهم هذه الآية والرد على قولهم هذا. من المعلوم أن الآية ٣٣ من سورة الأحزاب المشهورة بآية التطهير إحدى أهم الآيات القرآنية التي يستند إليها الشيعة لإثبات عقيدتهم بعصمة أهل البيت. يسعى المؤلف في هذا الكتاب إلى بيان الوقائع التي أدت إلى نزول هذه الآية. ولأجل إثبات كلامه في هذا المجال يفحص المؤلف بكل دقة الآيات التي جاءت قبل هذه الآية وبعدها ويبين ترابط الآيات ووحدتها في بيان رسالة واحدة للقارئ، وبهذه الاستدلالات المختصرة والمنطقية يبطل إدعاء الشيعة حول هذه الآية.

١٧- التناقضات في العقيدة

محمد باقر سجودي

الكتاب تحليلٌ ودراسةٌ تاريخيةٌ للوقائع التي حدثت بعد رحلة النبيﷺ وأدت إلى وصول الخلفاء الثلاثة إلى منصب الخلافة وزعامة المسلمين. ليس هدف المؤلف من هذه الرسالة إهانة عقائد الشيعة بل مساعدتهم في إدراك حقانية الصحابة ومعرفتهم معرفة صحيحة. في بداية الكتاب عدَّدَ المؤلفُ الدلائل التي دعت الرسول الأكرمﷺ إلى تجنب تعيين وصي له. وتابع المؤلف بحثه بذكر الآيات القرآنية التي نزلت في الثناء على الصحابة ﷺ وبيان عظيم منزلتهم وقام بتفسير هذه الآيات. وذكر المؤلف الخصائص والمزايا التي بينها الله تعالى في وصفه للصحابة للنبيﷺ وجعل تلك الخصائص في ١٣ مجموعة شرحها واحدة واحدة. ثم عَرَّفَ في الفصل التالي بالمنافقين وبيَّن صفاتهم استنادًا إلى آيات القرآن الكريم. ومن موضوعات الكتاب الأخرى دراسة وتحليل أسباب الاختلاف بين الصحابة ﷺ ومحبي أهل النبيﷺ وخصائصهم وتحليل واقعة الإفك وسلوك النبيﷺ مع بناته.

١٨- توحيد العبادة

شريعت سنگلجي

يبين الكتاب قواعد ومعايير التوحيد في الإسلام ويشرح العقائد الخرافية الشركية ويعرفها للقراء. يبتدئ المؤلف كتابه بطرح أصل التوحيد ومعناه ومصاديقه. ثم يقوم ببيان مفهوم العبودية وشروط تحققها ويشرح العبودية العامة والخاصة ويتابع كتابه ببيان معنى الشرك والأعمال والأفكار الشركية التي وجدت طريقها لآداب المسلمين ومناسكهم ولاسيما الشيعة منهم. ويقسم الشرك إلى نوعين: الشرك الأكبر والشرك الأصغر؛ ويبين مصاديق كل منهما. ومن جملة مباحث هذا الفصل من الكتاب بحث التبرك، وذبح الأضاحي لغير الله والتوسل لغير الله والرياء والشفاعة. في الفصل التالي يبين المؤلف معنى قانون السببية وحقيقته وخطأ العوام في فهمه ثم يقوم بتحليل طقوس زيارة قبور عظماء الدين كالنبي ﷺ والأئمة بوصفها نماذج شركية لهذا الفهم السيئ لقانون السببية. ويختص الفصل النهائي للكتاب ببيان الأسباب التاريخية والاجتماعية لظهور عبادة الأصنام وشيوع الشرك والخرافة في الإسلام.

١٩- الخلافة والإمامة

١٩

حيدر علي قلمداران القُمّيّ

طرحٌ لأسئلةٍ أساسيةٍ حول عقائد الشيعة بشأن إمامة الأئمة وخلافة صحابة نبي الإسلام الأجلاء. يطرح المؤلف في هذا الكتاب مسائل مهمة حول أمر الخلافة والإمامة مستعيناً بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والتابعين الأجلاء، ويدعو الشيعة إلى التفكُّر فيها وتأمُّلِها بإنصاف. في بداية الكتاب يبحث المؤلف موقف حضرة عليٍّ ﭬ من مسألة انتخاب الخلفاء الثلاثةﭫ الذين سبقوه وينقل لنا خطب الإمام علي ورسائله التي تدل على رضاه عن ذلك. ثم يتعرض المؤلف إلى موضوع ذكر أسماء الأئمة الشيعة في القرآن ويذكر تفسير الآيات التي يستند إليها الشيعة في ادعائهم ويثبت خطأ استنباطهم لعقيدتهم من تلك الآيات. في هذا الفصل وبعد أن يذكر المؤلف أدلة عديدة من القرآن الكريم ينقل لنا روايات متعددة عن الأئمة أنفسهم حول عدم عصمتهم من الخطأ والزلل.

٢٠- العقيدة الإسلامية

٢٠

تأليف: الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب

الشرح والتعليق: آية الله العظمى العلامة سيد أبو الفضل بن الرضا البُرقِعِي القُمِّيّ

الكتاب بيان للعقائد الإسلامية الأصيلة استنادًا إلى آيات القرآن الكريم النورانية وأحاديث نبي الرحمة والمغفرة - محمد المصطفى ﷺ - الشريفة. يشير المترجم في مقدمته على الكتاب إلى العداء الأعمى والجاهل للشيعة - خاصة في إيران - تجاه الموحدين في شبه الجزيرة العربية الذين يُعرفون في إيران باسم الوهابيين. الدافع الأصلي الذي دعا المؤلف إلى ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية هو رغبته في الدفاع عن المنهج الفكري والعقائدي للموحدين في شبه الجزيرة العربية ومعرفة عقائد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - مصلح الحجاز الديني في القرن الثاني عشر الهجري- وتعاليمه من خلال مؤلفاته. يُعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المؤلفة في بيان العقيدة الإسلامية الأصيلة في أسلوب سهل وميسر مما يجعله نبراسًا للمسلمين الأحرار الذين يعتَبِرون كتابَ الله وسنَّةَ رسوله المطهَّرة كافيين ووافيين للهداية ونيل السعادة الأبدية وينحازون بعيداً عن كل تعصب إلى تعاليم الإسلام الأصيلة. يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة رسائل لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: في الرسالة الأولى بيان لأسس التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وكيفية معرفة النبي ﷺ، والآثار الدينية لذلك التوحيد والمعرفة الصحيحة في المجتمع وواجبات المؤمنين تجاه الله تعالى ورسوله. وفي الرسالة الثانية، يشرح المؤلف معايير تمييز الحق من الباطل في اتباع الدين الحنيف، وفي الرسالة الثالثة يطرح المؤلف الشبهات التي يوردها المغرضون والمشركون على الإسلام وأفكاره التوحيدية ويرد عليها ردًا مُدَلّلًا. وأما المترجم آية الله البرقعي رحمه الله، فقد علق على الهامش بتعليقات علمية نافعة. جزى اللهُ تعالى المؤلفَ والمترجمَ عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.